أشكال الخطاب النثري النبوي
في عصر صدر الإسلام

أشكال الخطاب النثري النبوي في عصر صدر الإسلام

جميع الحقوق محفوظة
لصاحب الموسوعة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

ترجمة المؤلف

حسين علي الهنداوي

أ- أديب وشاعر وقاص ومسرحي وناقد وصحفي

ب- له العديد من الدراسات الأدبية والفكرية

ج-نشر في العديد من الصحف العربية

د- مدرس في جامعة دمشق . كلية التربية - فرع درعا

هـ- ولد الأديب في سوريا - درعا عام ١٩٥٥ م

و- تلقى تعليمه الابتدائي والإعدادي والثانوي في مدينة درعا

ح- انتقل إلى جامعة دمشق كلية الآداب - قسم اللغة العربية و تخرج فيها عام ١٩٨٣

ك- حائز على إجازة في اللغة العربية

ص-حائز على دبلوم تأهيل تربوي جامعة دمشق

ع- عمل محاضراً لمادة اللغة العربية في معهد إعداد

المدرسين – قسم اللغة العربية في مدينة درعا

ف– انتقل إلى التدريس في المملكة العربية السعودية عام (١٩٩٤ /٢٠٠٠) في مدينتي عنيزة وتبوك .

– عضو اتحاد الصحفيين العرب

– عضو اتحاد كتاب الانترنت العرب

– عضو تجمع القصة السورية

– عضو النادي الأدبي بتبوك

الصحف الورقية التي نشر فيها أعماله :

١– سوريا (تشرين – الثورة – البعث – الأسبوع الأدبي) ٢– الإمارات العربية (الخليج)

٣– السعودية (الرياض – المدينة – البلاد – عكاظ)

٤– الكويت (الرأي العام – الهدف – الوطن)

المجلات الورقية التي نشر فيها أعماله :

١– مجلة المنتدى الإماراتية

٢– مجلة الفيصل السعودية

٣- المجلة العربية السعودية

٤- مجلة المنهـل السعودية

٥- مجلة الفرسان السعودية

٦- مجلة أفنــان السعودية

٧- مجلة الســفير المصريــة

٨- مجلة إلى الأمام الفلسطينية

مؤلفاته :

أ- الشعر :

١- هنا كان صوتي و عيناك يلتقيان/١٩٩٠

٢- هل كان علينا أن تشرق شمس ثبير/١٩٩٤

٣- أغنيات على أطلال الزمن المقهور /١٩٩٤

٤- سأغسل روحي بنفط الخليج /١٩٩٦

٥- المنشّى يسلم مفاتيح ايلياء/١٩٩٦

٦- هذه الشام لا تقولي كفانا /

٧-هل تعلمون من حبيبتي؟؟؟!!!

ب- القصة القصيرة :

١-شجرة التوت /١٩٩٥

٢-زنكه

ج – المسرح :

١- محاكمة طيار /١٩٩٦

٢- درس في اللغة العربية /١٩٩٧

٣- عودة المتنبي / مخطوط

٤- أمام المؤسسة الاستهلاكية / مخطوط

د – النقد الأدبي :

١- محاور الدراسة الأدبية ١٩٩٣

٢- النقد والأدب /١٩٩٤

٣- مقدمتان لنظريتي النقد والشعر /

٤- أسلمة النقد الأدب

هـ – الدراسات الفكرية والدينية :

١ – الإسلام منهج وخلاص . الجزء الأول

٢ – الإسلام منهج وخلاص . الجزء الثاني

٣ – الإسلام منهج وخلاص . الجزء الثالث

٤ – فتاوى واجتهادات / جمع و تبويب

٥ – هل أنجز الله وعده !!!!!!

و –اللغة العربية

١ –النحو العملي المستوى الأول

٢ – النحو العملي المستوى الثاني

٣ – النحو العملي المستوى الثالث

٤ – النحو العملي المستوى الرابع

الصحف الالكترونية التي نشر بها :

١ –قناديل الفكر والأدب

٢ – أنهار الأدب

٣ – شروق

٤ – دنيا الوطن

٥- ملتقى الواحة الثقافي

٦- تجمع القصة السورية

٧- روض القصيد

٨-منابع الدهشة

٩- أقلام

١٠-نور الأدب

أشكال الخطاب
النثري النبوي
في عصر صدر الإسلام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ـ حدثنا عبد الله بن يوسف :

أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :

أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((إنّ َ منَ البيانِ لسحرا، أو إنَّ بعضَ البيان سحر)) ـ

صحيح البخاري

/٥٧٦٧/

كتاب

أشكال الخطاب النثري النبوي

في عصر صدر الإسلام

توهج

الباب الأول
الإرهاصات بمولد الرسول

صلى الله عليه وسلم

كانت الجزيرة العربية إبان مولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في توزع ديني بين يهودية ونصرانية ومجوسية ووثنية جر إلى توزع اجتماعي، فشخصت أبصار القلة الواعية من رجالات الجزيرة الراشدين إلى السماء تنشد العون وتستمطر الرحمة، وجمعت البلبلة الفاشية بين أربعة من هذه القلة الواعية، وهم: ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وزيد ابن عمرو بن نقيل، ينظرون لأنفسهم ولأمتهم، فما انتهوا إلى رأى، وإذا هم أشتات حين انفضوا كما كانوا أشتاتا حين اجتمعوا، لأن الأمر كان أجل من أن يحمل عبئه غير رسول مؤيد من السماء. وكانت الإرهاصات تشير إلى ميلاد هذا الرسول، وإلى أن هذا الرسول اسمه محمد، وأحمد، وبهما كان يسمى صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى: ﴿ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ

وَالْإِنْجِيلِ ﴾ . { الأعراف: الآية ١٥٦ } ، ويقول تعالى: ﴿ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ . { الصف :الآية ٦ } ، ويقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ ﴾ { الأنعام : الآية ٣٠ } ، ويقول تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْراةِ فَاتْلُوها إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ﴾ { آل عمران : الآية ٩٣ } ، فمما لا شك فيه ولا تعترضه شبهة أنه لا يجوز للخصم المخالف أن يستشهد على خصمه بما فى كتابه، وينتصر عليه بالتسمية من غير أصل ثابت عنده، أو مرجع واضح لديه، وهل الاستشهاد على هذا إلا بمنزلة الاستشهاد على المحسوس، الذى لا يكاد يقع الاختلاف فيه؟ وعلى الرغم مما دخل إلى التوراة من تحريف وتبديل فثمة فيها ما يحمل هذه الإشارة إلى محمد، ولقد جاء هذا التحريف والتبديل إلى التوراة بعد ما خرّب بختنصر بيت المقدس، وأحرق التوراة، وساق بنى إسرائيل إلى أرض بابل. ويقال إن عزيزا أملاها في آخر عمره على واحد من تلامذته، وكان هذا الإملاء لا شك عن حفظ فردى، وعن هذه النسخة المملاة كانت النسخ المختلفة، وكان هذا التحريف. ويستدلون على ذلك بما في التوراة من أخبار عما كان من أمر موسى عليه السلام، وكيف كان موته، ووصيته إلى يوشع بن نون،

وحزن بنى إسرائيل وبكاؤهم عليه، وهذا ونحوه لا يجوز عقلا إن يكون من كلام الله ولا من كلام موسى. ثم إنه ثمة توراة في أيدى السامرة تخالف تلك التي في أيدى سائر اليهود في التواريخ والأعياد وذكر الأنبياء، كما أنه ثمة توراة في اليونانية تخالف التوراة العبرانية في السنين بما يربى على ألف وأربعمائة سنة، وهذا التخالف محال إن يتصف به كتاب من عند الله. وينقل صاحب البدء والتاريخ عن نسخة من التوراة لأبى عبد الله المازني : يا داود، قل لسليمان من بعدك إن الأرض لي أورثها محمدا ليست صلاتهم بالطنابير، ولا يقدسوني بالأوتار. وفيها: إن الله عز وجل يظهر من صهيون إكليلا محمودا. والإكليل هو الرياسة والإمامة، والمحمود: محمد صلى الله عليه وسلم. وفى التوراة العبرية، من قول الله تعالى لإبراهيم: سمعت دعاءك في إسماعيل، ها باركت إياه، وكثرت عدده وأنميته جدّا جدّا حتى لا تعد كثرته اثنا عشر ملكا يولد، وأظهره لأمه عظيمة. وفيها: وجاء الرب من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من فاران . وساعير جبال فلسطين حيث ظهر عيسى، وفاران: مكة المكرمة ، وتجد في التوراة العربية (سفر التثنية، الإصحاح ١٨، الآية: ١٥) : يقيم لك الرب إلهك نبيّا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون. ولقد جاء بعد موسى عيسى، وهو من بنى إسرائيل، ومقتضى الآية أن يكون ثمة نبي مرتقب بعد

عيسى، ومحمد من ولد إسماعيل، وإسماعيل أخو إسحاق، وإسحاق جد بنى إسرائيل، وإخوتهم هم بنو إسماعيل. وتزكّى هذا الآية الثامنة عشرة من الإصحاح الخامس والعشرين، من سفر التكوين حيث تقول: وسكنوا– أى أبناء إسماعيل– من حويلة إلى شور التي إمام مصر، حينما تجيء نحو أشور أمام جميع إخوته نزل. وكذا تزكيه الآية الثانية عشرة من الإصحاح السادس عشر، من سفر التكوين: وأمام إخوته يسكن. وفى إنجيل يوحنا (الإصحاح: ١٤، الآية: ١٥، الإصحاح: ١٦، الآية: ٦– ٧ م) ما يشير إلى إتيان الفار قليط، ومعنى الفار قليط: الكثير الحمد، وهذا المعنى هو ما تعطيه كلمة أحمد، التي هي من أسماء النبي. غير أن النص العربي من الإنجيل، جعل مكان الفار قليط في الموضعين : (المعزى) . ففي الموضع الأول يقول الإنجيل: ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذى من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي. والنص في غير النسخة العربية، على لسان عيسى وهو يخاطب الحواريين : أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق الذى لا يتكلم من تلقاء نفسه وهو يشهد لي بما شهدت له، وما جئتكم به سرّا يأتيكم به جهرا. وفى الموضع الثاني يقول: وأما الآن فأنا ماض إلى الذى أرسلني وليس أحد منكم يسألني أين تمضى ... ؟ لكنى أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتكم

المعزى، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. والنص في غير النسخ العربية: إن الفارقليط روح الحق الذى أرسله أبى باسمي هو الذى يعلمكم كل شيء. والفارقليط لا يحكم ما لم أذهب. وفى سفر رؤيا يوحنا (الإصحاح: ١٩، الآية: ١١، ١٥) : «ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أمينا وصادقا وبالعدل يحكم ويحارب» . ومحمد يدعى الأمين الصادق. وفيه أيضا (١٩: ١٥) «ومن فمه يخرج سيف ماض لكى يضرب به الأمم وهو سير عاهم بعصا من حديد وهو يدوس معصرة خمر» . والقرآن الكريم في مضاء السيف أذعنت له الأمم، ومحمد حرم الخمر وما حرمها عيسى.

الباب الثاني
حياة الرسول محمد
صلى الله عليه وسلم

(١) – أسرته و نشأته

أ – نسب الرسول صلى الله عليه وسلم:

يرجع الرسول بنسبه إلى بني هاشم ، وهم من أهم بطون قريش . وكان جدة عبد المطلب من سادات قريش وزعمائها البارزين ، وهو الذي تفاوض مع أبرهة الحبشي عندما حاول هدم الكعبة ، وكان عظيم الشأن في قومه ، كما كان يشرف على الأمور التي لها علاقة بسقاية الحجاج . ومن أعمام الرسول البارزين أبو طالب وحمزة والعباس .

ب – نشأة الرسول صلى الله عليه وسلم :

ولد الرسول صلى الله عليه وسلم في مدينة مكة في الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام ٥٧١ م (عام الفيل) . وهو العام الذي جاء فيه أبرهة الحبشي على ظهر فيل لغزو مكة وهدم الكعبة ، ولكنه باء بالهزيمة والفشل . توفي والد الرسول صلى الله عليه وسلم واسمه عبد الله بن عبد المطلب في يثرب قبل ولادة الرسول ،

حيث كان عائدا من تجارة له ودفن عند أخواله بني النجار . وبعد فترة من ولادته تولت رضاعته السيدة (حليمة السعدية) رضي الله تعالى عنها التي كانت تقيم في بادية بني سعد ، حيث الهواء الطلق واللغة العربية السليمة .وكان من عادة أشراف العرب في قبيلة قريش في تلك الفترة إرسال أولادهم للرضاعة في البادية لفترة من الوقت . وعندما أصبح عمره ست سنوات توفيت والدته آمنة بنت وهب فكفله جده عبد المطلب . ولما بلغ الثامنة من عمره توفي جده عبد المطلب فكفله عمه أبو طالب الذي كان شديد المحبة له والاهتمام به، وكان يعامله مثل معاملته لأولاده(علي وعقيل وجعفر) وقد رعاه وتعهده إلى أن أصبح شابا يافعا .

وعندما كان صغير السن وفي التاسعة من عمره رافق عمه أبا طالب في تجارة له في بلاد الشام . وقد التقيا في مدينة بصرى الشام مع الراهب النصراني(بحيرى) الذي رأى فيه علامات النبوة ، ونصح عمه أبا طالب أن يعود بابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم إلى مكة خوفاً عليه من غدر اليهود ، ففعل أبو طالب ذلك . اشتغل الرسول صلى الله عليه وسلم في صباه برعي الغنم وكان يفتخر بهذا العمل

ومما تجدر الإشارة إليه أن معظم أهالي قريش في تلك الفترة كانوا يعملون في التجارة و إليها يرجع سبب غناهم وثرائهم . وكانت

القوافل التجارية تتجه شمالاً نحو بلاد الشام ، حيث يتم التبادل التجاري في مدينة بصرى ، أو تتجه جنوباً نحو اليمن والحبشة، وقد سميت رحلاتهم هذه برحلة الشتاء والصيف . وقد ورد ذلك في القرآن حيث يقول الله تعالى في سورة قريش : ((لإيلاف قريش ، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع و آمنهم من خوف)) وكانت القوافل التجارية تتجه نحو بلاد الشام في فصل الصيف غالباً بينما تتجه القوافل إلى اليمن والحبشة في فصل الشتاء .

ج – رضاعة الرسول صلى الله عليه وسلم:

كانت عادة العرب أن تسترضع أولادها في البادية ، ليتعلموا فصاحة الأعراب و خشونة العيش في البادية ، ويستنشقوا هواءها وعبيرها صافيا بعد كدر. دفعت آمنة رضي الله تعالى عنها طفلها محمد صلى الله عليه وسلم إلى حليمة السعدية لترضعه في منازل قومها بني سعد قرب الطائف ، وذلك على عادة العرب في تربية أولادهم في البادية ، لتقوى عزائمهم وتشتد هممهم . فكان قدومه على بني سعد بركة وخيرا . ومكث الرسول صلى الله عليه وسلم عند حليمة ثلاث سنوات حتى بلغ الخامسة ، حيث كانت حليمة ترعاه فيها أحسن رعاية وتكرمه أحسن الإكرام كما لو كان واحداً من أولادها .

(٢) – أسرته و نشأته

أ – مكانة الرسول في قومه :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم ، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى ((وإنك لعلى خلق عظيم)) سورة القلم ، الآية (٤). وقد اشتهر بين قومه بالمروءة ، والوفاء بالعهد ، وحسن الجوار ، والحلم و العفة والتواضع والصدق والأمانة ، حتى لقبوه بالصادق الأمين .

ب – حلف الفضول

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يشارك في أعمال مجتمعه ويتعاون مع أبناء قومه في كل ما يعود عليهم بالخير والنفع . فقد شارك وهو في السابعة عشرة من عمره في حلف الفضول الذي عقده سادات مكة لنصرة الضعيف والمظلوم . وكلمة فضول مشتقة من الفضل والفضيلة وسبب هذا الحلف أن رجلاً قدم إلى مكة ومعه بضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي ثم رفض أن يدفع له ثمنها ، فاستنجد بأشراف قريش الذين اجتمعوا وأعادوا له ثمن بضاعته وتعاهدوا على نصرة المظلومين والضعفاء ضد من يعتدي عليهم ، وكان له الفضل في إنهاء الخلاف الذي نشب بين القبائل المختلفة . وكاد أن يتطور إلى القتال بينهم بشأن وضع الحجر الأسود في المكان المخصص له من الكعبة ، حيث أشار عليهم

بطريقة أرضت الجميع ودلت على ذكائه و رجاحة عقله ، وثقة قومه به .

ج – زواجه من خديجة بنت خويلد :

كانت خديجة إحدى نساء قريش الفاضلات ، وهي معروفة برجاحة عقلها وعراقة نسبها . وكان لديها مال تعمل فيه في التجارة ، حيث تستأجر من يشرف على تجارتها لقاء مبلغ من المال . وعندما سمعت بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وإخلاصه وأمانته طلبت منه أن يذهب بتجارتها إلى بلاد الشام ، فوافق على ذلك . ورافقه في الرحلة غلامها ميسرة وقد كانت الرحلة ناجحة . وربحت خديجة مبلغاً كبيراً من المال ، وشجّعها ذلك على الزواج منه وكان عمر الرسول صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة . ولقد ساعده زواجه من خديجة على العيش بهدوء ، حيث وقفت إلى جانبه بقوة وإخلاص ولا سيما في بداية نزول الوحي عليه .

د – انصراف الرسول صلى الله عليه وسلم للتفكير في الأمور الدينية :

لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم راضياً عن معتقدات قومه الوثنية وعبادتهم للأصنام ، وإيمانهم بتعدد الآلهة . وكان يشعر في قرارة نفسه بوجود إله واحد عظيم لا شريك له . وهو الذي خلق هذا الكون الفسيح والرائع بجميع محتوياته . ولذلك كان يذهب إلى خارج

مكة المكرمة ويتجول بين شعابها ووديانها حتى يصل إلى غار حراء ، حيث يعتكف هناك لفترة من الوقت يقضيها بالتأمل في جمال الكون وروعة نظامه ، وقدرة الخالق العظيم التي لا حدود لها .

هـ – إعادة بناء الكعبة:

كانت قريش قد قررت إعادة بناء الكعبة بعد أن تصدعت جدرانها ، وعندما تم هدمها جمعت القبائل الحجارة لبنائها ، ثم بنوا حتى إذا بلغ البنيان موضع الحجر اختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى حتى تحاوزوا وتحالفوا وتواعدوا للقتال فمكثت قريش أربع ليال – أو خمس ليال – على ذلك . ثم اجتمعوا في الكعبة فتشاوروا وتناصفوا . ثم اتفقوا أن يجعلوا بينهم فيما يختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد ، يقضي بينهم فيه ، فكان أول من دخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا : هذا الأمين رضينا به ، هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال : هلم لي ثوبا . فأتي به . فأخذ الركن ، فوضعه فيه بيده ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم رفعوه جميعا ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه وكانت قريش تسمي الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي (الأمين)

(٣) – جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم لنشر الدعوة

أ – نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم :

بينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم جالساً في غار حراء يتأمل في الكون والحياة ، أوحي إليه وهو في الأربعين من عمره بأن الله تعالى قد اختاره لنشر دعوة التوحيد والتبشير بدين الإسلام ، ولقد نزل عليه جبريل عليه السلام وأخبره بذلك وطلب منه أن يقرأ ، ثم علمه الآيات الخاصة بسورة العلق وبدايتها قوله سبحانه وتعالى ((اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم .....)) ، وقد عاد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بيته وأخبر زوجته خديجة بما جرى له ، فسألت قريبها ورقة بن نوفل عن ذلك ، وكان من حكماء العرب فأخبرها بأن زوجها جاءته النبوة الصادقة ، ولذلك فإن خديجة آمنت بالرسول وشجعته ووقفت إلى جانبه

ب أدوار الدعوة الإسلامية :

للدعوة الإسلامية دوران أساسيان أولما الدور المكي الذي يتضمن الحوادث التي حصلت في مكة المكرمة . أما الثاني فهو الدور المدني يشمل الحوادث التي جرت في مدينة يثرب (المدينة المنورة) حرصها الله بعد هجرة الرسول إليها . أما الدور المكي فهو يتألف من فرعين أيضا وهما :

١ – الدور السري :

بعد نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم بنزول آيات القرآن الكريم بدأ يدعو الناس إلى الدخول في الإسلام ، ولكنه كان يفعل ذلك سرّاً لأنه كان يخاف من قريش زعيمة الشرك والوثنية في شبه جزيرة العرب . ولقد استمر هذا الدور ثلاث سنوات تقريبا ، كان الرسول من خلاله يدعو أهل بيته وأصدقاءه إلى عبادة الإله الواحد وترك عبادة الأوثان . وكان أول من آمن به من الرجال صديقه أبو بكر رضي الله عنه ، ومن النساء زوجته خديجة رضي الله عنها ومن الصبية ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، كما آمن به مولاه زيد بن حارثة (والمولى معناه في تلك الفترة العبد المعتق أو طالب الالتجاء) ، ثم بدأ عدد المسلمين يزداد تدريجياً وكان الرسول يلتقيهم في دار الأرقم .

٢ – الدور العلني :

بعد ذلك صعد الرسول إلى جبل الصفا أخذ يدعو أهله وأعمامه وأهل مكة للدخول في دين الإسلام . وقد حصل ذلك جهراً وعلناً امتثالاً لأوامر الله عز وجل ، حيث ورد في سورة الشعراء قوله تعالى :

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ { الشعراء : الآية ٢١٤ } ، كما ورد في سورة الحجر قوله تعالى: ﴿ فَاصدَع بِما تُؤمَرُ وَأَعرِض عَنِ

المُشرِكينَ ﴾ { الحجر : الآية ٩٤ } . لقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم قومه للإيمان برسالة الإسلام ومناصرته ، ولكن قريشا رفضت الاستجابة لدعوته ، وأخذت تقاومه وتعارضه وتكيد له ، لأنهم كانوا يعتقدون أن انتشار الإسلام سوف يهدد مكانة قريش وزعامتها الدينية والاقتصادية . وطبعاً كان ذلك الاعتقاد خاطئاً ، لأن انتصار الإسلام أعطى لقريش ومكة مكانة عظيمة وأهمية كبيرة واستمر ذلك حتى الوقت الحاضر . لقد استمر هذا الدور عشر سنوات كانت خلاله قريش تسيء معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما تسيء إلى المسلمين بأشكال مختلفة ، وقد تم تعذيب عددٍ كبيرٍ منهم أيضاً . ومن الواضح أن السبب الرئيس لمقاومة قريش للرسول يكمن في أنه دعاهم إلى أمور تختلف عما عرفوه عن آبائهم و أجدادهم ، ولم يكونوا في قرارة أنفسهم يرفضون مبادئ الدين الجديد . يقول تعالى في سورة الزخرف موضحا رأي قريش ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ { الزخرف : الآية ٢٢ }

ج – أبو طالب وموقفه من الرسول :

طلبت قريش من أبي طالب أن يمنع ابن أخيه عن المضي في دعوته إلى الدين الجديد ، عن طريق إغرائه بالمال والجاه ولكنه

رفض ذلك وقال ((والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه)) واستمر الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته وبقي أبو طالب يدافع عنه مما زاد من حقد قريش وأذاها للمسلمين ، وبخاصة للذين لا ينتمون إلى بطون قوية تحميهم أو كانوا من الأرقاء والموالي ، مثل عمار بن ياسر وبلال الحبشي .

(٤) – جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم لنشر الدعوة:

أ – هجرة المسلمين إلى الحبشة :

عندما تزايد اضطهاد المشركين من قريش للمسلمين عرض عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يهاجر بعضهم إلى الحبشة تخلصاً من أذى المشركين . وقد اختار الحبشة دون غيرها من البلدان ، لأن سكانها يدينون بالمسيحية ، وما عرف عن ملكها (النجاشي) من تسامح وعدل ولبعدها أيضا عن قوافل قريش وتجارتها . هاجر عدد من المسلمين إلى الحبشة على دفعتين . وقد رحب النجاشي بالمهاجرين و أكرم وفادتهم ، وترك لهم الحرية في ممارسة شعائر دينهم

ب – موقف قريش من الهجرة إلى الحبشة :

غضبت قريش من هجرة المسلمين إلى الحبشة واستاءت من موقف النجاشي ، فأرسلت وفداً محملاً بالهدايا ليطلب منه طرد المهاجرين

من بلاده ، إلا أن النجاشي رد وفد قريش على أعقابه خائباً عندما تأكد من سلامة نوايا المهاجرين وصدق إيمانهم .

ج – مقاطعة قريش لبني هاشم :

خافت قريش من ازدياد عدد المسلمين ، وبالتالي استفحال خطرهم وبخاصة بعد أن أسلم رجلان هامان ، وهما حمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب ، فقررت مقاطعة بني هاشم حتى يسلموا الرسول صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ، ووقعوا وثيقة تنص على عدم مخالطتهم والتعامل معهم بيعاً أو شراءً أو مصاهرةً . ورفض بنو هاشم طلب قريش ولجؤوا إلى شِعْبِ أبي طالب شرقي مكة حيث أقاموا ثلاث سنوات لاقوا خلالها الكثير من التعب والعناء . اجتمع بعض عقلاء قريش وقرروا تمزيق الوثيقة وإنهاء المقاطعة وعاد بنو هاشم إلى بيوتهم ، وعاود المسلمون نشر دعوتهم فازداد عددهم .

د – عام الحزن :

بعد انتهاء المقاطعة وفي العاشر من البعثة توالت المحن على الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد توفيت زوجته خديجة ، كما توفي عمه أبو طالب ،ففقد بموتهما ما كان يتمتع به من حماية ودعم ولهذا سمي هذا العام بعام الحزن . بعد ذلك تجرأت قريش

واشتدت في إيذائها للمسلمين ، ففكر الرسول بالخروج إلى الطائف لعله يجد فيها نصيراً له .

(٥) – جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم لنشر الدعوة:

أ – الخروج إلى الطائف :

قرر الرسول صلى الله عليه وسلم الخروج من مكة إلى الطائف ، لكي يدعو أهلها إلى مساعدته والدخول في الإسلام . ولكن أهالي الطائف لم يستجيبوا له ، بل عمدوا إلى إيذائه لأسباب متعددة منها تأصل المعتقدات والوثنية في نفوسهم ، وكذلك حرصهم على الاستمرار بالعلاقات الودية بينهم وبين قريش ، لا سيما وأن بلدهم تعد منطقة اصطياف لأغنياء مكة. وعاد الرسول إلى مكة وهو أكثر تصميماً على متابعة دعوته الناس للدخول في الإسلام ، ولا سيما بالنسبة لأفراد القبائل الذين يزورون مكة في موسم الحج ، ومن أكثرهم أهمية وفود يثرب .

ب – الإسراء والمعراج :

بعد عودة الرسول صلى الله عليه وسلم من الطائف إلى مكة حصلت حادثة الإسراء والمعراج ،والإسراء معناه انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم ليلا من مكة إلى المسجد الأقصى في القدس بمساعدة جبريل عليه السلام . أما المعراج فهو يعني صعود الرسول إلى السماء بمساعدة جبريل أيضا ثم عودته إلى مكة . وقد

وردت في القرآن الكريم سورتان لهما علاقة بهذه الحادثة وهما الإسراء والنجم .قال تعالى في سورة الإسراء ﴿ سُبحانَ الَّذي أَسرى بِعَبدِهِ لَيلًا مِنَ المَسجِدِ الحَرامِ إِلَى المَسجِدِ الأَقصَى الَّذي بارَكنا حَولَهُ لِنُرِيَهُ مِن آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّميعُ البَصيرُ ﴾ { الإسراء : الآية ١ } .

ج – بيعة العقبة الأولى :

توجه الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوته إلى الوافدين من أهل يثرب في موسم الحج ، فاستجاب لدعوته اثنا عشر شخصاً ، وبايعوه على اعتناق الإسلام ، فأرسل الرسول معهم مصعب بن عمير لكي يعلمهم القرآن ويشرح لهم أصول الدين الإسلامي ، وقد حصلت هذه البيعة في منطقة قريبة من مكة تقع إلى الشمال منها وتسمى العقبة و لذلك سميت بيعة العقبة الأولى وكان لهذه البيعة أثر كبير في انتشار الإسلام في مدينة يثرب .

د – بيعة العقبة الثانية :

وفي موسم الحج التالي اجتمع الرسول صلى الله عليه وسلم مع مجموعة ثانية من أهل يثرب بلغ عدد أفرادها ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين حيث بايعوا الرسول على اعتناق الإسلام ونصرته ، ودعوه للهجرة إلى يثرب لكي يتولوا حمايته ومساعدته على نشر الدين الإسلامي .

هـ – الأوس والخزرج :

والواقع أن مدينة يثرب كان يعيش فيها في تلك الفترة قبيلتان هامتان وهما الأوس والخزرج ، وكان هناك خلافات كبيرة بينهما ، ولذلك فإن قبولهم دعوة الرسول للدخول في الإسلام من خلال بيعتي العقبة الأولى والثانية ساعد على إيجاد الوَحْدة والمودة بينهما

و – موقف قريش :

استاءت قريش من موقف أهل يثرب ، وبخاصة بعد هجرة المسلمين إليها وتشكيلهم قوة لا يستهان بها تهدد طريق القوافل التجارية المتجهة من مكة إلى بلاد الشام ، وأخذت تفكر جدياً بالتخلص من الرسول صلى الله عليه وسلم و أصحابه .

ز – موقف أهل الطائف :

ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، عمد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ ساداتها، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله ، وكلّمهم بما جاءهم من أجله ، فردوا عليه ردّاً منكراً ، وفاجؤوه بما لم يكن يتوقع من الغلظة وسمج القول . فقام الرسول من عندهم وهو يرجوهم أن يكتموا خبر مقدمه ، فلم يجيبوه إلى ذلك ، ثم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به . وجعلوا يرمونه بالحجارة

(٦) – هجرة الرسول إلى المدينة المنورة وتأسيس الدولة العربية الإسلامية

أ – الهجرة النبوية:

بعد بيعة العقبة الثانية ازداد عدد المسلمين في يثرب ، وأصبحوا قوة لا يستهان بها مما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يفكر بنقل مقر دعوته من مكة إلى يثرب. ولذلك أذن لأصحابه المسلمين في مكة بالهجرة إلى مدينة يثرب على دفعات حتى لا يشعر بهم المشركون، فيكيدون لهم ويمنعونهم من الهجرة وقد استقبلهم مسلمو يثرب بالمحبة والترحاب. ونتيجة لذلك قرر سادة قريش منع المسلمين من الهجرة إلى يثرب، كما قرروا قتل الرسول صلى الله عليه وسلم بمشاركة عدد من الشباب الذين يمثلون قبائل مكة المختلفة فيضيع بذلك دمه ولا يتمكن بنو هاشم من محاربة جميع القبائل لأخذ ثأرهم منهم. وعندما أذن الله لرسوله بالهجرة غادر مكة سرّاً مع صاحبه أبي بكر وطلب من ابن عمه علي بن أبي طالب أن يبيت في فراشه . وعندما اكتشف المشركون خروج الرسول وصاحبه من مكة أسرعوا إلى اللحاق بهما ، ولكنهم أخفقوا في ذلك إذ كان الرسول وصاحبه مختبئين في غار ثور ، فلما علما بأن قريشاً عادت إلى مكة بعد أن أخفقت في القبض عليهما تابعا سيرهما ولحق بهما علي بن أبي طالب . وقبل دخول يثرب توقف الرسول

صلى الله عليه وسلم في (قباء) ووضع أساس أول مسجد في الإسلام وهو (مسجد قباء) . وقد دخل مدينة يثرب في الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام ٦٢٢ م واستقبله أهلها بالبهجة و الأناشيد . أصبحت يثرب منذ ذلك التاريخ تعرف باسم المدينة المنورة، وأصبح سكانها من الأوس والخزرج الذين أسلموا يعرفون باسم الأنصار ، بينما أطلقت على المسلمين المهاجرين من مكة كلمة المهاجرين، وأصبح مجتمع المدينة المنورة الإسلامي مؤلفاً من المهاجرين والأنصار ، وهم الذين شاركوا في غزوات الرسول . وأصبحت حادثة الهجرة بداية للتاريخ الإسلامي (التاريخ الهجري) .

ب – تأسيس الدولة العربية الإسلامية :

بعد وصول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة بدأت مرحلة جديدة من الدعوة الإسلامية تعرف باسم الدور المدني ، بينما كانت المرحلة السابقة لها تسمى بالدور المكي . ومن أهم الأعمال التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل بناء الدولة العربية الإسلامية :

١ – بناء مسجد المدينة المنورة .

٢ – المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار .

٣ – إصدار الصحيفة (الوثيقة) .

٤ – إعداد الجيش الإسلامي للجهاد في سبيل الله .

ويتبين من مراجعة الوثيقة وما يتعلق بها أن مجتمع المدينة أصبح منظماً على أسس جديدة من أهمها :

١- الرسول صلى الله عليه وسلم هو رئيس المسلمين وقائدهم دينيا ودنيويا ، وينبغي الرجوع إليه لأخذ رأيه في جميع الأمور قبل تنفيذها

٢- حلت رابطة العقيدة الإسلامية و الأخوة الدينية محل رابطة النسب والعصبية القبلية .

٣- يتم التعامل بين المسلمين بما ينسجم مع أحكام الشريعة الإسلامية

٤- كفل الإسلام حرية العقيدة لجميع سكان المدينة .

٥- كفل الإسلام الأمن لجميع سكان المدينة وحدد حقوقهم وواجباتهم

٦- أصبح الدفاع عن المدينة واجباً على كل من يقيمون فيها .

٧- أصبح مسجد الرسول المقرّ الرئيسي لإدارة شؤون المسلمين .

ج - عناية الله تعالى في الغار:

أما –المشركين- فقد انطلقوا بعد أن علموا بخروج الرسول صلى الله عليه وسلم ينتشرون في طرق المدينة، ويفتشون عنه في كل مكان حتى وصلوا إلى غار ثور. وسمع الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه أقدام المشركين تخفق من حولهم ، فأخذ الروع أبا بكر،

وهمس يحدّث الرسول صلى الله عليه وسلم (لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا) فأجابه عليه الصلاة السلام : ((يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما)) فأعمى الله أبصار المشركين ، حتى لم يحن لأحد منهم التفاته إلى الغار ، ولم يخطر ببال واحد منهم أن يتساءل عما يكون بداخله .

(٧) – غزوة بدر الكبرى ٢ / هـ ٦٢٤ / م

استمرت قريش والقبائل الموالية لها في مقاومة الدعوة الإسلامية ، وأخذت تخطط للقضاء عليها ، وذلك خوفاً على مصالحها الدينية والتجارية. وقد فرض الله تعالى الجهاد على المسلمين ، دفاعاً عن النفس من جهة ، وإزالة للعقبات التي تعرض سير الدعوة الإسلامية من جهة أخرى .

أ – أسباب غزوة بدر الكبرى :

١– إظهار قوة المسلمين .

٢– تهديد مصالح قريش التجارية .

٣– التعويض على المهاجرين الذين صادرت قريش أموالهم .

ب – أحداث غزوة بدر الكبرى :

علم الرسول صلى الله عليه وسلم أن قافلة تجارية كبيرة لقريش مؤلفة من ألف بعير قادمة من بلاد الشام بقيادة أبي سفيان ، فخرج مع أصحابه وعددهم ٣١٣ رجلا لاعتراضها ، ولكن أبا سفيان ،غير

خط سير القافلة واتجه بها نحو الطريق الساحلي ، وأرسل يستنفر قريشاً لحماية قافلتها من المسلمين . وعلى الرغم من نجاة القافلة ، فقد أصرّ بعض زعماء قريش وعلى رأسهم أبو جهل على محاربة المسلمين ، لأنهم أصبحوا يهددون طريق التجارة الرئيسي الذي يصل بين مكة وبلاد الشام . وقاد زعماء قريش وفي طليعتهم أبو جهل جيشاً مؤلفاً من ٩٥٠ رجلاً ودارت المعركة بينهم وبين المسلمين عند- ماء بدر - . وكانت نتيجة المعركة انتصاراً رائعاً للمسلمين بسبب شجاعتهم وإيمانهم العميق بالعقيدة التي يدافعون عنها ، والتزامهم بأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم . وكذلك بسبب دعائهم الله عزّ وجلّ بأن ينصرهم على أعدائهم المشركين . أما بالنسبة للمشركين فقد انهزموا هزيمة منكرة ، ولقي بعض زعمائهم الشهيرين مصرعه ومن بينهم أبو جهل نفسه . وقد سقط كثير من القتلى في صفوف المشركين ، كما تمّ أسرُ عدد كبير منهم . أما عدد شهداء المسلمين فقد كان قليلاً للغاية . ولقد بلغ من اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالعلم أن افتدى الأسير المتعلم عن طريق تعليم عشرة من أبناء المسلمين . والواقع أن كلمة غزوة تعني (الحملة العسكرية التي قادها الرسول بنفسه لمحاربة أعداء المسلمين) ، وقد بلغ عدد غزوات الرسول بمجموعها ٢٧ غزوة ، أما السرية فهي تعني (الحملة البسيطة التي كان يرسلها الرسول

لأداء مهمة معينة ولم يكن قائداً لها) . وقد سميت هذه الغزوة بغزوة بدر الكبرى ، بسبب وجود غزوة سابقة حصلت في العام نفسه ٢ هـ ، وسميت غزوة بدر الأولى . ولقد نزلت في القرآن الكريم بعض الآيات حول غزوة بدر ومنها قوله تعالى [في الآية ١٢٣ من سورة آل عمران] { ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة } . وبعد معركة بدر تم إجلاء بني قينقاع عن المدينة بسبب غدرهم بالمسلمين .

ج – نتائج غزوة بدر الكبرى :

١– هي أول معركة يخوضها العرب ضد بعضهم تتم على أساس العقيدة والدين وليس على أساس النسب والعصبية القبلية .

٢– هي أول انتصار عسكري للمسلمين على المشركين .

٣– زادت ثقة المسلمين بأنفسهم .

٤– أصبح المسلمون يهددون الطرق التجارية لمدينة مكة

(٨) – غزوة أحد

٣ / هـ ٦٢٥ / م

أ – أسباب غزوة أحد :

١– رغبة قريش في الأخذ بثأرها من المسلمين .

٢– رغبة قريش في استرداد هيبتها بين القبائل .

ب – أحداث غزوة أحد :

خصصت قريش أموال القافلة التي حاول المسلمون اعتراضها للإنفاق على غزوة الثأر ، وجهزت جيشا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة أبي سفيان لمحاربة المسلمين . وقد خرج جيش المشركين من مكة ثم عسكر عند جبل أحد قرب المدينة المنورة . وشاور الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه ، واستقرّ الأمر على ملاقاة العدو خارج المدينة ، فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم مع ألف رجل لملاقاة المشركين. وفي الطريق انسحب المنافق (عبد الله بن أبي) مع عدد من المنافقين وعادوا إلى المدينة ، بهدف خلق الفوضى وتمزيق وحدة صف المسلمين . ثم تمركز المسلمون في وادي جبل أحد ، ووضع الرسول صلى الله عليه وسلم بعض رماته على جبل أحد ، وأمرهم بحماية ظهر المسلمين من الخلف وعدم مغادرة أماكنهم مهما كانت النتيجة. ودارت المعركة واشتد القتال بين الطرفين وكاد النصر يكون حليف المسلمين، ولكن المعركة تحولت في نهاية المطاف لصالح قريش بسبب :

١- مخالفة الرماة لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث إنهم اعتقدوا أن المسلمين قد انتصروا، فتركوا أماكنهم وانصرفوا لجمع الغنائم .

٢- أشاع بعضهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قتل، وهذا أحدث ارتباكاً كبيراً في صفوف المسلمين .

٣- استغل خالد بن الوليد وكان لا يزال م المشركين تخلي الرماة عن مواقعهم ، فقام بعملية التفاف حول الجبل، وبذلك أصبح جيش المسلمين بين قوتين من المشركين، وأدى ذلك إلى هزيمة المسلمين وقلب المعركة لصالح المشركين .

ج - نتائج غزوة أحد :

١- هزيمة المسلمين بسبب مخالفة الرماة لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم

٢- استشهاد عدد من المسلمين من بينهم حمزة عم الرسول .

٣- عرف المسلمون أن بينهم عدداً من المنافقين خذلوهم وعادوا من منتصف الطريق .

٤- عدم تحقيق قريش لأهدافها ، وعودتها إلى مكة مهددة متوعدة بأنها ستعود لقتال المسلمين والقضاء عليهم .

٥- إجبار يهود بني النضير على الجلاء عن المدينة المنورة بسبب تآمرهم على الرسول والمسلمين .

د - وصف معركة أحد :

وراح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين صلاة الجمعة فأصبح بالشعب من أحد فالتقوا يوم السبت في النصف الأول من شوال سنة ثلاث ، وكان رأي الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ((ألا يخرج إليهم)) فقال رجال من المسلمين ..... يا رسول الله

اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم أو ضعفنا، ... فلم يزل الناس برسول الله (صلى الله عليه وسلم) .... حتى دخل بيته ولبس لأمته .... فخرج في ألف من أصحابه .وفي الطريق انخذل عنه عبد الله بن أبي ابن سلول بثلث الناس ...ومضى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على وجهه حتى نزل بالشعب من أحد .... فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ... وتعبأ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للقتال في سبعمائة رجل ، وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس فقد جنبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل وأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) على الرماة وهم خمسون رجلاً عبد الله بن جبير ..... وقال : انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ، اثبت مكانك لا تؤتين من قبلك ..... فاقتتل الناس حتى حميت الحرب .... فأنزل الله نصره وصدقهم وعده وكانت الهزيمة لا يشك فيها ... لولا أن الرماة الذين عينهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) على الجبل تركوا أماكنهم وانحدروا ليجمعوا الغنائم مما أعطى فرصة لخالد بن الوليد للالتفاف على المسلمين ومباغتتهم من خلف فتراجعوا وصاح أحد المشركين أن محمد قد قتل ، وفي الحقيقة أصيبت رباعيته وشج في وجنتيه وكلمت شفتاه .... وقاتل مصعب بن عمير دون الرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومعه لواؤه حتى

قتل فأعطى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علي بن أبي طالب اللواء . ثم عرف المسلمون ما برسول الله فنهضوا به ونهض معهم نحو الشعب ومعه صحابته . ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدر العام المقبل فقال رسول الله لرجل من أصحابه : قل : نعم هي بيننا وبينكم موعد ..

(٩) – غزوة الخندق ـ الأحزاب ٥ / هـ ٦٢٧ / م

أ – أسباب غزوة الخندق :

قام يهود بني قريظة بتأليب القبائل ضد المسلمين وشجعوهم على التحالف مع قريش لمحاربة المسلمين .

ب – أحداث غزوة الخندق :

ألفت قريش حلفاً مع عدد من القبائل المعادية للإسلام ، ثم توجهت جموعهم في حوالي عشرة آلاف مقاتل نحو المدينة المنورة، بقصد احتلالها وتدميرها وقتل سكانها، واستشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه، فأشار عليه الصحابي سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر خندق حول القسم المكشوف من المدينة ، وقد شارك الرسول صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق، كما جهز جيشا قوامه ثلاثة آلاف مجاهد بقصد التصدي للمشركين. ثم فوجئت قريش وحلفاؤها بوجود الخندق، وهو أمر لم يألفه العرب في حروبهم السابقة، ولذلك لم يتمكن جيش المشركين من اجتياز الخندق

للوصول إلى المدينة المنورة. لم تحدث معركة حاسمة أو مواجهة مباشرة بين الطرفين، واقتصر الأمر على بعض المبارزات الفردية مع المشركين الذين تمكن بعضهم من القفز فوق الخندق، فتصدى لهم المسلمون فبعضهم قتل وبعضهم الآخر هرب. ولجأ الرسول إلى العمل السياسي لفك الحصار عن المدينة المنورة عن طريق بث الفرقة في صفوف الأحزاب، وقد نجح في ذلك. كما أن تسخير عوامل الطبيعة التي أرسلها الله تعالى من عواصف وأمطار غزيرة أسهمت في فشل الحصار حيث تم اقتلاع الخيام وتشرد الخيول فانسحب المشركون وعادوا خائبين .

ج – نتائج غزوة الخندق :

١- هزيمة الأحزاب وفشلهم في تحقيق أهدافهم .

٢- فقدان قريش هيبتها بين القبائل .

٣- ارتفاع شأن المسلمين بين القبائل العربية .

٤- اكتساب المسلمين أساليب جديدة في القتال .

٥- معاقبة الرسول صلى الله عليه وسلم بني قريظة عقاباً شديداً بسبب غدرهم بالمسلمين، ونقضهم العهد مع الرسول، وانحيازهم إلى الأحزاب .

سميت هذه الغزوة بغزوة الخندق نسبة إلى الخندق الذي حفره المسلمون حول القسم المكشوف من المدينة المنورة. وتسمى أيضاً (غزوة الأحزاب) نسبة إلى اتفاق جماعات مختلفة ضد المسلمين

د – المبارزة بين علي بن أبي طالب وعمرو بن ود العامري في غزوة الخندق (السنة الخامسة للهجرة)

فلما كان يوم الخندق خرج عمرو بن ود وهو مقنع بالحديد فنادى : من يبارز ؟ فقام علي بن أبي طالب فقال : أنا لها يا نبي الله ، فقال النبي اجلس ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز ؟ فجعل يؤنبهم ويقول أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها ؟ أفلا تبرزون إلي رجلاً ؟ فقام علي فقال: أنا يا رسول الله ! فقال : اجلس . ثم نادى الثالثة فقام علي رضي الله عنه فقال : يا رسول الله أنا فقال : إنه عمرو، فقال: وإن كان عَمْراً . فأذن له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فمشى إليه ، فقال له عمرو : من أنت ؟ قال: أنا علي، قال أبنُ عبد مناف ؟ قال: أنا علي بن أبي طالب . فقال: يا بن أخي من أعمامك من هو أسن منك فإني أكره أن أقتلك ؟ فقال له علي: لكني والله لا أكره أن أقتلك، فغضب فنزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي مغضباً واستقبله علي بدرقته فضربه عمرو في درقته وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه ، وضربه علي على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج ، وسمع

رسول الله التكبير فعرفنا أن عليا قد قتله ، ثم أقبل علي نحو رسول الله ووجهه يتهلل .

(١٠) – صلح الحديبية ٦ / هـ ٦٢٨ / م

أ – رغبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في أداء العمرة :

من شعائر ديننا الإسلامي أداء فريضة الحج مرة في العمر لمن استطاع إلى ذلك سبيلا . ويتم الحج في أيام محددة من العام الهجري . أما العمرة فهي تعني أداء مناسك الحج في غير موسمه . وفي السنة السادسة للهجرة وبعد أن ازدادت قوة المسلمين قرر الرسول صلى الله عليه وسلم زيارة مكة لأداء العمرة ، و إظهار قوة المسلمين و تعظيمهم للكعبة المشرفة. وخرج الرسول (صلى الله عليه وسلم) من المدينة على رأس ألف و أربعمئة من المسلمين قاصداً مكة. وقد حاولت قريش إقناعه بالعدول عن دخول مكة ، ولكنه أصر على موقفه ، وأرسل إليها وفداً برئاسة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ليبين للمشركين أنه جاء إلى مكة مسالماً لا محارباً، وتأخر وفد المسلمين لدى قريش ثلاثة أيام ، وسرت إشاعة مفادها أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قد قتل ، فبايع المسلمون الرسول على محاربة قريش ، وسميت هذه البيعة (بيعة الرضوان) لكن الوفد عاد سالماً وتم عقد الصلح بين الطرفين ، وسمي صلح الحديبية نسبة إلى المكان الذي عقد فيه الصلح.

ب – شروط صلح الحديبية :

١– إيقاف الحرب بين الطرفين أي الرسول وقريش لمدة عشر سنوات .

٢– أن يرد الرسول صلى الله عليه وسلم من يأتيه مسلماً من قريش دون إذن وليه ولا تلتزم قريش برد من يأتيها من المسلمين .

٣– أن يرجع الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه هذا العام ، فإذا كان العام القادم دخلوا مكة لأداء العمرة بعد أن تخرج منها قريش .

٤– من أراد الدخول في حلف قريش فله ذلك ، ومن أراد الدخول في حلف المسلمين فله ذلك .

ج – نتائج صلح الحديبية :

١– اعترفت قريش رسمياً بالجانب الإسلامي ممثلا بالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين .

٢– بدأ عدد من مشاهير الرجال في مكة بالدخول في الإسلام مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص .

٣– أتاح هذا الصلح الفرصة لتأديب من تبقى من اليهود وهم يهود خيبر .

٤– أتاح هذا الصلح الفرصة للرسول صلى الله عليه وسلم لنشر دعوته في بقية أجزاء الجزيرة العربية وخارجها فأرسل عدة رسائل إلى الملوك والأمراء في عصره يدعوهم فيها إلى الإسلام .

(١١) – الرسائل إلى الملوك والحكام :

من الملوك والحكام الذين تمَّ إرسال رسائل إليهم لدعوتهم إلى الإسلام كسرى ملك الفرس ، وهرقل ملك الروم ، والمقوقس حاكم مصر ، وكذلك النجاشي ملك الحبشة . وقد كان رد الملوك والحكام مختلفا . فمنهم من كان رده لطيفا مع أعضاء الوفد ومنهم من كان رده قاسياً وجافاً . ولكن لم يقبل أحد منهم الدخول في الإسلام

(١٢) – غزوة خيبر ٧ هـ – ٦٢٩ م :

شعر الرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الوقت قد حان لمعاقبة يهود خيبر بسبب مواقفهم المملوءة بالخداع والتآمر ، وتعرضهم لقوافل المسلمين الذاهبة إلى بلاد الشام . وقد حاصر الرسول حصونهم وفتحها ، وتم إجلاء قسم منهم عن المنطقة ، وسمح للقسم الآخر بالبقاء فيها شريطة تقديم قسم من غلالها للمسلمين .

(١٣) – غزوة مؤتة (١) ٨ هـ – ٦٣٠ م :

تقع قرية مؤتة على مشارف بلاد الشام . وفي السنة الثامنة للهجرة أرسل الرسول جيشا لمحاربة الروم في تلك المنطقة ، وكان يقوده زيد بن حارثة وعدده ثلاثة آلاف مقاتل . وعندما وصل إلى هناك وجد أن الروم قد حشدوا له ما يزيد على مئة ألف مقاتل . وقد دارت معركة قاسية قتل فيها قائد المسلمين زيد بن حارثة ، واستشهد بعضهم في المعركة ، وتمكن خالد بن الوليد من إعادة

جيش المسلمين إلى المدينة . وتكمن أهمية غزوة مؤتة أنها أول توجيه من الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين بضرورة محاربة الروم وطردهم من بلاد الشام .

(١٤)- فتح مكة المكرمة ٨ / هـ ٦٣٠ / م

أ - فتح مكة :

نقضت قريش صلح الحديبية لأنها ساعدت قبيلة بكر المتحالفة معها ضد قبيلة خزاعة المتحالفة مع المسلمين، ولذلك صمم الرسول صلى الله عليه وسلم على تنفيذ الاتفاق الذي عقده مع القبيلة المتحالفة معه ، وجهز الرسول جيشا مؤلفا من عشرة آلاف مقاتل وخرج قاصدا مكة وقد حاولت قريش تجديد الصلح مع المسلمين ولكن الرسول رفض ذلك. وقبل وصول المسلمين إلى مكة التقوا أبا سفيان فأسلم وعاد إلى مكة يدعو أهلها للدخول في الإسلام ويبلغهم قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن ، ومن دخل بيته وأغلق بابه فهو آمن. وقسم الرسول صلى الله عليه وسلم جيش المسلمين إلى أربعة أقسام ليدخل كل قسم من جهة، ودخل المسلمون مكة دون مقاومة . وطاف الرسول صلى الله عليه وسلم مع المسلمين حول الكعبة وحطموا الأصنام. ولقد عفا الرسول صلى

الله عليه وسلم عن أهل مكة وقال لهم عبارته المشهورة: (اذهبوا فأنتم الطلقاء) .

ب نتائج فتح مكة :

١- تحطيم الأصنام وانتهاء عهد الوثنية في مكة .

٢- إعلان قريش ومعظم القبائل دخولها الإسلام .

٣- تمهيد الطريق لتوحيد شبه الجزيرة العربية تحت راية الإسلام .

(١٥) - غزوة حنين وحصار الطائف : ٨ / هـ ٦٣٠ / م

بعد فتح مكة ودخول قريش في الإسلام لم يبق على الوثنية في مكة والمناطق القريبة منها سوى قبيلتي هوازن وثقيف اللتين تحالفتا ضد المسلمين. وقد سار الرسول صلى الله عليه وسلم على رأس الجيش الذي فتح به مكة باتجاه وادي حنين المؤدي إلى الطائف . وكانت مفاجأة غير متوقعة للمسلمين أن مقاتلي هوازن وثقيف تمركزوا في شعاب وادي حنين، ثم هجموا فجأة على المسلمين، وأحدثوا ارتباكاً كبيراً في صفوفهم. ولكن المسلمين تمكنوا من استعادة قوتهم وهزموا المشركين، وحاصروا مدينة الطائف، ولكنهم لم يتمكنوا من فتحها وانسحبوا منها وبعد فترة قدم وفد من هوازن و ثقيف إلى المدينة المنورة وأعلنوا إسلامهم. وقد وردت في القرآن الكريم في سورة التوبة آيتان تتحدثان عن غزوة حنين ((ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم)) .....

(١٦) – غزوة تبوك : ٩/ هـ / ٦٣١ / م :

بعد استقرار الأمور في منطقة الحجاز قاد الرسول جيشا تعداده حوالي ٣٠ ألف مقاتل لقتال الروم المحتشدين في تبوك . ولكن لم تحصل معركة أو مواجهة مباشرة بين المسلمين والروم ، لأن هؤلاء انسحبوا من تبوك قبل وصول المسلمين إليها فدخلها الرسول صلى الله عليه وسلم وصالح أهلها ثم عاد إلى المدينة المنورة .

(١٧) – عام الوفود : ٩ / هـ ٦٣١ / م :

بعد غزوة تبوك أخذت القبائل العربية من جميع أنحاء شبه جزيرة العرب تفد إلى المدينة المنورة لكي تعلن إسلامها . وكان ذلك في السنة التاسعة للهجرة ولذلك أطلق على ذاك العام اسم عام الوفود .

(١٨) – خطاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوم فتح مكة:

وقف الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن فتح مكة المكرمة على باب الكعبة ثم قال: ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتل الخطأ مثل العمد بالسوط والعصا، فيهما الدية مغلظة .

يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء. الناس من آدم، وآدم خلق من تراب ، ثم تلا : ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا

إن أكرمكم عند الله أتقاكم))/ الحجرات / ٤٩/. يا معشر قريش (أو يا أهل مكة) ما ترون إني فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء

(١٩) – حجة الوداع ١٠ هـ ، ٦٣٢ م

أ – تأدية المسلمين لفريضة الحج:

بعد أن اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى انضمام سائر أنحاء شبه الجزيرة العربية تحت لواء الإسلام ، قرر الذهاب إلى مكة الأداء فريضة الحج وتعليم المسلمين مناسك الحج ودعوتهم للتمسك بدينهم . اجتمع في مكة أكثر من مئة ألف حاج من مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربية ، وبعد تأدية المسلمين لفريضة الحج وقف الرسول صلى الله عليه وسلم ليلقي خطبته الأخيرة ، ويعلن استكمال تعاليم الدين الإسلامي ، حيث ورد في سورة المائدة قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ { المائدة : الآية ٣ } . كانت هذه أول وآخر حجة للرسول، وقد سميت بحجة الوداع، لأن المسلمين شعروا من خلالها وكأن الرسول يودعهم، ولن يلقاهم مرة ثانية في موسم الحج

(٢٠) – تجهيز جيش أسامة :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يشعر بأن الحدود الشمالية لشبه الجزيرة العربية ما تزال مهددة بالخطر بسبب وجود الروم في جنوب بلاد الشام ، ولذلك أمر بتجهيز جيش لمحاربة الروم بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة . ولكن هذا الجيش لم ينفذ مهمته بسبب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم

(٢١) – وفاة الرسول ١١/ هـ ٦٣٢ / م :

عاد الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة بعد حجة الوداع وقد مرض بالحمى، وتوفي بسبب هذا المرض في الثاني عشر من شهر ربيع الأول عام ١١هـ عن عمر يناهز الثالثة والستين عاماً، بعد أن أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وحدد لها الطريق المستقيم

(٢٢) – مقتطفات من خطبة الرسول في حجة الوداع:

وقف الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر حجة له خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا . أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد

المطلب وإن دماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيع بن الحارث بن عبد المطلب. أيها الناس : إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله ، يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات وواحد فرد : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد؛ أيها النا: إن لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حق، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ؛ أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ؛ فلا ترجعن بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدها كتاب الله ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد؛ أيها الناس : إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد؛ قال: فليبلغ الشاهد الغائب)

الباب الثالث
سمات النبي محمد
صلى الله عليه وسلم

الباب الثالث
الفصل الأول
السمات الخُلُقِيّة والنفسيّة للنبي
صلى الله عليه وسلم

لا شك أن الله تعالى عندما خلق الإنسان جعله في أحسن تقويم كرماً منه ومحبة واصطفاءً على سائر المخلوقات وهو في الوقت نفسه قد اختار أنبياءَه على أحسن صورة خلقية ونفسية بين البشر، فقد أثنى الله تعالى على أخلاق أنبيائه ورسله ، وفضل نبينا محمد على سائر هؤلاء الأنبياء والرسل بدلالة إمامته لهم في بيت المقدس في حديث الإسراء والمعراج، ولو أنا أردنا أن نتوقف عند خلق هذا النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم لاحتجنا إلى بحث مستقل وليس في تاريخ الأنبياء أو العظماء أو المصلحين من عرفت صفاته وأخلاقه بكل دقائقها وتفاصيلها على النحو الذي عرفت فيه صفة محمد بن عبد الله – صلوات وسلامه الله عليه – وأخلاقه ، وقد حفظت لنا كتب السيرة والحديث وصفاً دقيقاً شاملاً لصفة النبي وهيئة وحركته وسكونه .. الخ ووصفاً آخر له ولأخلاقه

و" لهديه "" في جميع أبواب التعامل مع الأسرة والمجتمع والعالم وصورت لنا – في صفحات كثيرة – دقائق حياته عليه الصلاة والسلام في كل شيء .. ويكفي للدلالة على ما نقوله مراجعة واحد من فهارس كتب السيرة المشهورة ، مثل كتاب "" زاد المعاد في هدى خير العباد " لابن القيم " الشفا بتعريف قوة المصطفى " القاضي عياض ويعود السبب في ذلك فوق أن النبي مشرع وقدوة ومثل أعلى ،إلا أن حياته صلى الله عليه وسلم فيها مجال للتفريق بين الحياة الشخصية والحياة الرسمية أو العامة ففي الوقت الذي يقول فولتير "" إن الرجل لا يكون عظيما في داخل بيته ، ولا بطلا في أسرته يعني بذلك أن عظمة الرجل لا يعترف بها أقرب الناس إليه لأنهم يقفون على دخيلته ومباذله نجد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لا يصح فيه هذا القول ونحن نرى دقائق حياته معروفة لدينا دون استثناء ودون تفريق .. ونرى في هذه الدقائق – مع الذين شاهدوها ونظموها – مثلا نادرا من أمثلة الرقة والإخلاص والعظمة والبطولة . فهل يمكننا القول إذن : إنه كلما اقترنت هاتان الصورتان في حياة الإنسان : صورة حياته الخاصة و صورة حياته العامة كان أقرب إلى الكمال ؟ إذا أمكننا ذلك ، أدركنا واحدا من الوجوه الكثيرة التي كان بها رسول الله – وقد اتحدت هاتان الصورتان في شخصه الكريم – المثل الأعلى ، والإنسان الكامل .

وإذا كان لابد لنا هنا من " الإشارة "" إلى بعض جوانب هذا الكمال وذلك المثل ، فإننا نكتفي من ذلك: أن حياة النبي عليه السلام على النحو السابق قد شملت جميع وجوه النشاط الإنساني في كل الحالات ، وفي جميع الأشياء فكان رسول الله (نبيا ، وقائدا ، وحاكما وزوجا ، وأبا ، ومحاربا ، وإداريا ، وخطيبا ، ومربيا ..) كما ضرب لنا المثل في حياته في البيت ، وفي السوق ، وفي المسجد ، وفي السفر وفي الحضر ، وبين الأصحاب .. بحيث يمكن لحياته – صلى الله عليه وسلم – أن تكون قدوة وأسوة في كل شيء ، مصداقا لقوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وأن رسول الله بلغ في كل حالة من تلك الحالات ، وفي كل صورة من هذه الصور غاية ما يصل إليه إنسان فرغ نفسه وحياته لهذه الصورة أو تلك الحالة فكان – صلى الله عليه وسلم – مثال الأنبياء ، ومثال الأزواج ، ومثال الآباء ، مثال المحاربين ... الخ إن العظماء الذين أصابوا في التاريخ وجها من وجوه التفوق والنبوغ ، وسادوا بهذا الوجه في أممهم ... ربما قامت في سيرتهم من الوجوه الأخرى على أناس عاديين في بعض الأحيان أو أشرار وضيعين في أحيان أخرى ، أما محمد بن عبدالله – صلوات الله وسلامه عليه – فقد كان عظيما في كل شيء ، نبيلا في كل شيء قائدا ومثلا أعلى في كل شيء ... اذكر ما شئت من " صفات النبل " واذكر ما شئت

من " معالم النشاط الإنساني ، ووجوه التعامل مع الكون " ثم انظر في سيرة رسول الله تجده صلى الله عليه وسلم عظيم العظماء ، وبطل الأبطال .

١- إذا ذكرت " الرحمة والمودة والإنسانية " ذكرت رسول الله وقد قارب الستين يبكي على قبر أمه بكاء من لا ينسى .. وذكرت حنانه على مرضعته وحفاوته بها يتلقاها وقد جاوز الأربعين هاتفا بها أمي.... أمي .

٢- وإذا ذكرت " التواضع والسماحة " ذكرت قوله علية الصلاة و السلام – وقد قام له بعض الصحابة عندما دخل عليهم مرة – لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا " وقوله " إنما أنا عبد أكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد " وذكرت موقفه يوم فتح مكة ، الذي يعدل – وحده – ألف موقف من مواقف التاريخ ،. دخل رسول الله مكة بعد كفاح إحدى وعشرين سنة بينه وبين أهلها – لم يتركوا خلالها طريقا للقضاء عليه وعلى دعوته إلا سلكوه .. فلما دخل مدينتهم فاتحا دخلها مطأطئ الرأس " على راحلته حتى كاد يمس قادمته "" ثم استغفر لأهلها وأطلق لهم حريتهم بكلمة المشهورة " أقول كما قال أخي يوسف : (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) وقد جاء في صفته – صلى الله عليه وسلم – أنه كان " يحلب شاته ، ويرقع ثوبه ، ويخصف نعله ،

ويخدم نفسه ، ويقمّ البيت ، ويعقل العبير ، ، ويأكل مع الخادم ، ويحمل بضاعته من السوق

٣- " أما عفته وأمانته وصدقه فبحسبك منها أنه كان يسمى قبل نبوته(الأمين .). وأن أهل مكة – بعد دعوته – كانوا يتركون عنده ودائعهم – وهم خصومه – حتى اضطر علي بن أبي طالب أن يخلفه في مكة يوم الهجرة ليرد الودائع إلى أهلها وهذا النضر بن الحارث يقول لقريش : قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثا ، وأعظمكم حديثا ، وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر . لا والله ما هو بساحر وإذا تركت هذه الصفات وانتقلت إلى طرف من معالم النشاط الإنساني .. فإذا ذكرت " الحرب وقيادة الجيوش " برز لك رسول الله قائدا بغير نظير .. وذكرت مع القيادة مشاركة في القتال حديث يعفي بعض القادة العظام أنفسهم من القتال ...

٤- وإذا ذكرت مع كل ذلك شجاعة لا تدانيها شجاعة ، لأنها الشجاعة المثلى التي يعتد بها الشجعان ، وبحسبك أن يقول علي بن أبي طالب فارس الفرسان :" كنا إذا حمي البأس اتقينا برسول الله فما يكون أحد أقرب منه إلى العدو

٥- وإذا ذكرت " الإدارة وتدبير الشؤون العامة " ذكرت تلك السليقة المطبوعة التي تعرف النظام ، وتعرف التبعة ، وتعرف الاختصاص

بالعمل فلا تسنده إلى كثيرين متفرقين يتولاه كل منهم على هواه .." وقرأت في سيرة الرسول الكريم أنه كان يوصي بالرياسة حيثما وجد العمل الاجتماعي أو العمل المجتمع الذي يحتاج إلى تدبير ، ورأيت مع ذلك أنه كان يعني بإسناد الأمر إلى المدبر القادر عليه ، وأنه كان حريصا على تقرير التبعات في الشؤون ما كبر منها وما صغر على النهج الذي أوضحه بقوله "(كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته ، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسؤولة عنه ،.. ألا فكلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته ") وحسبك من إدارته العليا – عليه السلام تدبيره للشؤون العامة حين تصطدم بالأهواء وتنذر بالفتنة والنزاع ، كما صنع حين أقام الحجر الأسود في مكانه يوم اختلفت على ذلك القبائل .. وكما صنع حين نزل على دار أبي أيوب يوم الهجرة ، وقد ترك الزمام لناقته تبرك حيث طلب لها أن تبرك ..

٦- وكان صلى الله عليه وسلم موضع الأسوة الحسنة للفقراء والضعفاء والمساكين ... أو بتعبير أدق موضوع الأسوة في الجانب الذي تقل فيه حيلة الإنسان ولا يجد ما يركن إليه أفضل من التأسي والصبر والمصابرة ... إن الإنسان بحاجة على الدوام إلى " مثل أعلى " يحتذيه ، ولكنه أكثر ما يكون حاجة إلى هذا المثل وهو

مهيض الجناح ، ضعيف الجانب ، ليقوى فيه جانب العزيمة والأمل ... وحتى لا يقع فريسة للضعف الذي ينتابه من كل جانب .. إن الحديث عن الآثار النفسية التي يتركها مثل هذا الأمر على نفس الإنسان وعلى نشاطه وسلوكه أهم وأدق من إن يتسع لها وقتنا الآن . ولكن يمكننا القول على سبيل المثال : لا يقعد باليتيم يتمه ، ولا بالفقير فقره .. فإن رسول الله – أشرف مخلوق على الله – ولد يتيما... ونشأ فقيرا .. وعاش زاهدا .. ومات وليس على وجه الأرض رجل سعى كسعيه ، ونجح كنجاحه .. فلم يقعد به اليتم أو الفقر ... أو ما لقيه من الأذى والصد والعدوان .. أن يدعو ، وأن يجاهد ، وأن يصبر ، .. وأن يعلم .. وأن يبلغ ذروة الكمال الذي أعطاه الله للإنسان .. حتى وصفه الله تعالى بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم) . إن حياة النبي صلى الله عليه وسلم بعد نشأته الأولى التي لم يعرف فيها أباه ، وماتت فيها أمه وهو صغير ، ثم فقد عمه أبا طالب كافله .. والتي اضطر فيها إلى العمل في سن مبكر

٧- أن حياته صلى الله عليه وسلم بعد هذه النشأة القاسية كانت معرضا لأقسى ما يمكن إن يصاب فيه إنسان من الضنك والكفاف . تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : " توفى رسوله الله ولم يشبع يومين متتاليين " وتقول :" لم يكن في بيته يوم التحق بالرفيق الأعلى سوى صاع واحد من شعير .." وتقول أيضا "" لم يطو ثوبه

صلى الله عليه وسلم أبدا "" تعني أنه لم يكن له ثوب آخر غير الذي على جسده الطاهر .ولم يكن هذا الكفاف الذي عاش فيه النبي صلى الله عليه وسلم لأن مالا لم يكن يأتيه على الدوام .. ولكن لأنه آلى على نفسه أن يعيش هكذا على الدوام .. مثلا لأصحاب الكفاف إلى يوم الدين وهو خلق قد أخذ به أهله كذلك – صلى الله عليه وسلم – ولنذكر مع عاطفة الأبوة وحبه صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة سيدة نساء العالمين أنه امتنع من زيارتها مرة لأنه وجد في يدها سوارين من فضة ، حتى أرسلتها إليه فباعهما بدرهمين ونصف وتصدق بها على الفقراء .

٨- وعلى ذكر الأبوة والنبوة :... فهذا رسول الله صلى اله عليه وسلم يمضي عليه نيف وعشرون سنة لا تلد له في خلالها زوجة من زوجاته .. ويموت في هذه الفترة كل أولاده ماعدا فاطمة رضي الله عنها التي ماتت بعده بقليل ، مات القاسم ابن الرسول والطاهر ابنه طفلين ، وماتت زينب ورقية وأم كلثوم بعد أن تزوجن رسول الله يفجع بأولاده وبناته صغارا وكبارا وهو صابر محتسب .. أي عزاء للأب المفجوع أكبر من هذا العزاء . وأي أسوة ومثل أعلى وأفضل من هذا المثل .. بل إن هنا في هذا العزاء بقية لمتأمل .. فقد ولد لرسول الله بعد نيف وعشرين سنة ولده إبراهيم الذي تخير له رسول الله هذا الاسم على أمل أن يكون له أعقاب كأعقاب جده

الأعلى إبراهيم عليه السلام .. فيكون رجاء لا ينتهي بانتهاء الزمان .. ثم مات إبراهيم الطفل وضاع الأمل الكبير ورسول الله في الستين من عمره ، فذرف الدمع لفقد ولده .. وقال : "(إن القلب ليحزن ، وإن العين لتدمع . ولا نقول إلا ما يرضي ربنا .. وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون ..")

أي صورة من صور الصبر والاحتمال أقوى من هذه الصورة ؟ وأي مثل أعلى من هذا المثل ؟

٩- ثم هذا رسول الله يتهم في عرضه وفي أحب نسائه إليه .. وتلغط المدينة بحديث الإفك .. ويقف النبي أمام هذا الحديث المريب ، فلا يقبله بغير بيته ، ولا يرفضه بغير بيئة .. على ما أصابه فيه من ألم ممض وأسى موجع .. ويبقى في معاملته لزوجته على أكرم ما يكون الرجل وأنبل ما يكون الزوج .. حتى ينزل الله تعالى براءة السيدة عائشة من فوق سبع سموات . كل هذا ، وأمور أخرى كثيرة تصيب النبي صلى اله عليه وسلم في حياته .. فأي أسوة حسنة أعلى من هذه الأسوة في جانب المحن والآلام التي لا حيلة لإنسان في دفعها أو رفعها .. إن علينا أن نهتدي بهدي رسول الله وأن نقلده في مجموعة صفاته النفسية وملكاته الأخرى من الشجاعة والكرم والوفاء والتضحية .. ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، وفي حدود ما نقدر عليه من هذه الصفات .. ولكن الأسوة الرائعة التي ليس

فوقها أسوة : الصبر على احتمال المكاره والمصائب التي لا حيلة للإنسان فيها ... والتي تجمع منها في شخص النبي الكريم ما لو وزع على عشرات الأبطال لقعد بهم .. والتي قلما يصيب الإنسان منها أكثر من مكروه أو نازله كاليتم والفقر ، والأذى ، وفقد المعيل ، وفقد الولد أو فقد القريب والنصير أو الطعن في العرض ... ونحو ذلك من ضروب الآلام . إذا ذكرنا سيرة رسول الله صلى عليه وسلم في هذا الجانب .. وذكرنا معها إن الضعفاء في الأرض هم الأكثرون .. وإن قيام أمر الأمم بجيوشها ومفكريها وزعمائها منوط بالفقراء والمساكين لا بالأغنياء والمترفين ... أدركنا أي مدى نفسي تعطيه سيرة النبي لأمته ... وأي سلطان قاهر مذل ترفعه عن أعناقها .. واستطعنا أن نفسر طرفا من استعصاء هذه الأمة على المحو والزوال. إنها سيرة الرسول والعظيم .. ترتفع أمام أعينهم سامقة حية تعزيهم وتصبرهم .. وتمسح عنهم جراحهم .. وتضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم .. إن الحديث حول هذه النقطة يطول، وبحسبي هذه الإشارة العابرة .. وبحسبي أيضا أن أقول على سبيل المثال: كم من طفل ربى في بلاد العروبة والإسلام لم يكن يحس بما يحس به سائر الأطفال من متعة المأكل والملبس والسكن ، لفقر أو يتم .. ولكن الألم والحسرة لم تتسرب إلى نفسه لتطفئ فيها جذوة الأمل ، أو روح الذكاء والعمل لأنه كان يمضي

من درس معلمه وقد وعي صورة النبي اليتيم .. وصورة النبي الذي لم يشبع يومين متتاليين ... فتتقد في نفسه جذوة الأمل والكفاح وهو يردد في خاطره قول تعالى الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ { الأحزاب : الآية ٢١ } .

الباب الثالث
الفصل الثاني
السمات الخَلقِيّة ـ الجسدية
للنبي محمد
صلى الله عليه وسلم

أحصى العلماء شمائل وصفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم الجسدية إحصاء دقيقاً متواتراً في النقل ، فقد روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال : سألت هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافاً وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به فقال :

١- ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخماً مفخما ، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربوع

٢- (لا بالطويل ولا بالقصير) وأقصر من المشذب

٣- عظيم الهامة

٤- رجل الشعر (ليس بسبط ولا جعد) ، إن انفرقت عقيقته فرق (انفراق شعر الرأس) وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفرة

٥- أزهر اللون

٦- واسع الجبين

٧- أزج الحواجب (الحواجب طويلة وافرة الشعر) من غير قرن (غير متصل شعر الحاجبين) بينها عرق يدره الغضب

٨- أقنى العرنين (السائل الأنف المرتفع وسطه) له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله أشم ،

٩- كث اللحية ،

١٠- أدعج (شديد سواد الحدقة)

١١- سهل الخدين

١٢- ضليع الفم (واسع)

١٣- أشنب (رونق الأسنان ورقتها) مفلج الأسنان (فرق بين الثنايا)

١٤- دقيق المسربة (خيط الشعر بين الصدر والسرة)

١٥- كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة

١٦- معتدل الخلق بادنا متماسكاً (ذا لحم من عضل لا من شحم)

١٧- سواء البطن والصدر (ليس له بطن مرتفع ضخم)

١٨- بعيد ما بين المنكبين (عريض الأكتاف)

١٩- ضخم الكراديس (ضخم رؤوس العظام)

٢٠- أنور المتجرد ، موضوماً بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط

٢١- عاري الثديين ما سوى ذلك ،

٢٢- أشعر الذراعين والمنكبين ، وأعالي الصدر

٢٣- طويل الزندين ،

٢٤- رحب الراحة (واسع الراحة)

٢٥- شثن الكفين والقدمين (لحميهما)

٢٦- سائل الأطراف (طويل الأصابع) سبط العصب

٢٧- خمصان الأخمصين (متجافي أخمص القدم لا تنال الأرض من وسط قدمه)

٢٨- مسيح القدمين (أملسهما) ينبو عنهما الماء إذا زال تقلعا

٢٩- (يرفع رجله بقوة ويخطو تكفؤا

٣٠- (يميل خطوة إلى سنن الممشى وقصده)

٣١- ويمشي هدناً (برفق ووقار) ذريع المشية (إذا مشى كأنما ينحط من صبب)

٣٢- وإذا التفت التفت جميعاً خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظرة إلى السماء جل نظرة الملاحظة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام باليمن

قلت : صف لي منطقة ، قال :

٣٣- ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت (كان سكوته على الحلم والحذر والتقدير والتفكير)

٣٤- يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه (يستعمل جميع فمه للتكلم ولا يقتصر على تحريك الشفتين) ويتكلم بجوامع الكلم فضلا لا فضول فيه ولا تقصير (قوله قول فصل يصيب مقطع المعنى ولا حشو في كلامه ولا تقصير

٣٥- دمثاً ليس بالجافي ولا المهين (سهل الخلق وليس بالغليظ) يعظم النعمة وإن دقت و لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه (لا يذم ما يتذوقه من الطعام ولا يمدحه)

٣٦- ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء ، حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ،

٣٧- إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهام اليمنى راحته اليسرى

٣٨- إذا غضب أعرض وأشاح

٣٩- وإذا فرح غض طرفه

٤٠- جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حبِّ الغمام.

الباب الرابع
آفاق في السنة النبوية المطهرة

أ- مصطلح السنة النبوية المطهرة :

يطلق مصطلح الحديث النبوي الشريف ، أو السنة النبوية عند المحدثين على كل ما صدر عن النبي عليه السلام من قول أو فعل أو تقرير، فمن قوله عليه السلام : (عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البر). ومن أفعاله التي نقلت عن السيدة عائشة أنه كان يصلي الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله ، ومن تقريره عليه السلام عدم إنكاره علـــى خالد بن الوليد عندما أكل الضب أمامه ، وقد رفض عليه الصلاة و السلام أكل الضب قائلا : -إنّ نفسي تعافه وهو ليس في أرض قومي وتعود أهمية الحديث من كونه مفصلا ومفسرا وموضحا ومكملا لما جاء في القرآن الكريم وقد حفظ الكثير من الصحابة أحاديث الرسول وسجل بعضهم الكثير منها في حياته وإن كان قد نهى عليه السلام من كتابة الحديث حتى لا تختلط بكلام القرآن . وممن كتبوا الحديث في حياته : عبد الله بن عمرو بن العاص في صحيفة أسماها (الصادقة) لحديث النبوي؛ وحديث

الرسول صلوات الله عليه هو الأصل الثاني للإسلام، وهو يشمل كل ما جاء عنه من قول أو فعل أو تقرير، وقد يسمى ذلك السنة. وترجع أهميته إلى أنه يتمم القرآن في بيان أحكام الشريعة الإسلامية، فالصلاة مثلا ذكرت في القرآن مجملة، فبين الحديث كيفيتها وأوقاتها، وكذلك الشأن في الزكاة فإن الحديث هو الذي بين قواعدها التي بجب اتباعها في جمعها وتوزيعها. وهناك آيات في الذكر الحكيم يحتمل وجوها مختلفة من المعاني، والحديث هو الذي يشرح المراد منها، وهذا إلى كثير من شئون الدين التي يستقل الحديث ببيانها. ومنذ عصر الرسول يهتم المسلمون بالحديث عملا بقوله تعالى:﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ { الأحزاب : الآية ٢١ } ، فكانوا يأتمون به كما كانوا يأتمون بالقرآن الكريم وما شرع لهم، ويدل على ذلك أكبر الدلالة ما يروى من أن الرسول حين أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن سأله: بم تحكم؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد، قال: بسنة رسوله١. فرواية الحديث كانت معروفة في حياة الرسول، وكانت كل قبيلة تأخذ معها معلما يعلمها القرآن والسنة النبوية. وكثيرا ما كان يعقب الرسول على أحاديثه وخطبه بقوله: "ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب"، ولما توفي الرسول، ودخل الموالي في الإسلام أخذوا يحاولون معرفة كل

شأن من شئون الرسول، ليقتدوا به، ولم يكن العرب يقلون عنهم شغفا بتلك السيرة العاطرة.

كل ذلك دفع المسلمين إلى رواية الحديث، غير أنه لم يدون بصفة عامة إلا على رأس المائة الأولى للهجرة، أما قبل ذلك فكان هناك من يدونونه ومن لا يدونونه، وترى عن الرسول أحاديث مختلفة يدعو بعضها إلى تدوينه، ويدعو بعض آخر إلى عدم تدوينه١، ولعله كان يخشى إن دون أن يختلط بالقرآن، أو أن يشغل المسلمين عنه، وفي الوقت نفسه لم يجد مانعا في بعض الأحيان من أن تكتب عنه بعض الأحاديث التي تتعلق بالأحكام، وإذا انتقلنا إلى عصر الصحابة، وجدناهم يكرهون غالبا تدوين الحديث٢. بينما يعنون بروايته، وأشار نفر منهم على عمر أن يدونه. فلبث شهرا يستخبر الله في ذلك، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له، فقال: إني كنت قد ذكرت لكم من كتاب السنن ما قد علمتم، ثم تذكرت، فإذا أناس من أهل الكتاب قلبكم قد كتبوا مع كتاب الله كتبا، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبدًا٣، ومضى الصحابة لا يدونون الحديث تدوينا عاما مكتفين بروايته، وظلت هذه هي الفكرة الشائعة في عصر التابعين٤، ولكن بمضي الزمن تزداد الرغبة في تدوينه، حتى إذا كان عهد عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى للهجرة رأيناه يأمر بتدوينه٥، ولا مشاحة في أن أول

من دونه تدوينا عاما هو ابن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٣هـ، ومنذ هذا التاريخ أخذ تدوين الحديث يتسع، وأخذ يصنف ويبوب على الأحكام الفقهية، حتى يسهل الرجوع إليه في أمور الدين، على نحو ما نجد في كتاب "الموطأ" للإمام مالك إمام أهل المدينة المتوفى سنة ١٧٩ للهجرة، ولا نصل إلى أواسط القرن الثالث، حتى يضع فيه ابن حنبل مسنده الكبير، وتتلوه كتب الصحيح الستة، للبخاري ومسلم وأبي داود، والترمذي وابن ماجه والنسائي. ووضع حول الحديث منذ العصر الأول في روايته سياج محكم، حتى لا يدخل فيه الوضع والانتحال، وحتى تظل الثقة قائمة به، وخاصة؛ لأنه تأخر تدوينه تدوينا عاما. وقد كفل له من ذلك ما يملؤنا إعجابا بعلمائه ورواته، فقد اشترطوا شروطا كثيرة في حملته، وأقاموا من أجله علما برأسه، يسمى مصطلح الحديث ميزوا فيه بين أنواع صحيحة وضعيفة، كما ألفوا كثيرا في رجاله ورواته، حتى يقفوا على درجة صدقهم، وقد أفردوا لضعيفه كما أفردوا لصحيحه مؤلفات كثيرة على نحو ما صنع ابن حبان وغيره، وكذلك أفردوا مؤلفات لموضوعاته، ومفترياته على نحو ما صنع السيوطي في كتابه "اللآلئ المصنوعة". وبذلك حافظ المسلمون على حديث الرسول صلوات الله عليه، وإن كانوا قد أجمعوا على أنه في جملته روي بالمعنى ولم يرو باللفظ، بسبب تأخر تدوينه، ولعل ذلك ما

جعل علماء الكوفة والبصرة، وبغداد لا يحتجون به في إثبات لغة العرب والاستدلال على القواعد النحوية، واللغوية التي دونوها، فقد تداوله الأعاجم، والمولدون قبل تدوينه تدوينًا عامًّا. والذي لا شك فيه أنه عليه السلام لم يكن ينطق إلا عن ميراث حكمة، وأنه أوتي جوامع الكلم، وكان يكره الإغراب في اللفظ والتعسف والتكلف، ويكفي في بيان روعة تعبيره وبلاغة كلامه، وتراكيبه ما يقوله الجاحظ في كتابه البيان والتبيين من أنه "لم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ... لم تسقط له كلمة، ولا ذلت به قدم ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار ... ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج١ إلا بالحق ولا يستعين بالخلابة ... ولم يسمع الناس بكلام قد أعم نفعا، ولا أقصد لفظا ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى ولا أبين في فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم". وقد تداول العرب والمسلمون من كلماته الجامعة بعض أمثال لم يتقدمه فيها أحد، من ذلك قوله:

١- مات حتف أنفه

٢- كل الصيد في جوف الفرا

٣- إذن لا ينتطح فيها عنزان

٤- يا خيل الله اركبي

٥- لا يلسع المؤمن من جحر مرتين

٦- هدنه على دخن

٧- وجماعة على أقذاء

٨- الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة

٩- إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى

١٠- إياكم وخضراء الدمن -الآن حمي الوطيس.

على أنه ينبغي أن نعرف أن الأمثال لم يعد لها منذ ظهور الإسلام خطورتها في تاريخ النثر العربي، فقد تغيرت الحياة العربية من قواعدها، ولم تعد تحتكرها الأمثال، إذ أخذ العرب يشغلون عنها بتلاوة القرآن ورواية الحديث، واتخذوا منهما وموعظتهم، وحتى الشعر كف كثيرون من شعرائهم عن نظمه.

ب- مكانة السنة النبوية من التشريع :

تعد السنة النبوية المطهرة المصدر الثاني للتشريع، ولا خلاف بين الفقهاء على أنها حجة في التشريع بجانب القرآن الكريم ، لذا فالسنة قد تؤكد ما ورد في القرآن الكريم من أحكام، وقد تفسر نصوصه، أو تفصل ما أجمل من أحكامه، وقد تُنشئ حكما لحالات

لم يرد بشأنها نص في الكتاب، ومع ذلك لا يلجأ إلى السنة دليلا للأحكام إلا عند خلو القرآن من نص يفي بالمطلوب، فالسنة هي التي وضحت لنا -نحن المسلمين- أن الصلوات المفروضات خمس في اليوم والليلة، وهي التي بينت لنا عدد ركعاتها وأركانها، وهي التي بينت لنا حقيقة الزكاة، وعلى من تجب وأنصبتها، وكيفية الحج والعمرة، وأن الحج لا يجب إلا مرة واحدة في العمر، وبينت مواقيته، وعدد الطواف. فعلى كل من يدعي أنه متمسك بالقرآن، ويهجر السنة أن يبادر إلى تجديد إيمانه، وبالرجوع إلى الله -تعالى- قال -سبحانه-:﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ { طه : الآية ٨٢ } . فالقرآن الكريم، والسنة المطهرة هما وحي الله إلى رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم-، وهما مصدرا التشريع الإسلامي الذي رد الإنسان إلى فطرته، وجعل منه بشرا يعرف طريقه إلى الحياة، مرددا قول الله -تعالى-: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ { الأعراف: الآية ٤٣ } ، قال عز من قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ { النساء: الآية

٥٩ } . وقال –سبحانه–: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ { النحل: الآية ٤٤ } . وقال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ { الحشر: الآية ٧ }

ج– دور السنة النبوية :

ها هو الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله يحدد في كتابه (إعلام الموقعين عن رب العالمين) دور السنة بالنسبة للقرآن الكريم فيقول : "السنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون موافقة له من كل وجه، فيكون توارد القرآن والسنة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتضافرها.

والثاني: أن تكون بيانا لما أريد بالقرآن، وتفسيرا له.

والثالث: أن تكون موجبة لحكمٍ سكتَ القرآن عن إيجابه، أو محرمة لما سكت عن تحريمه، ولا تخرج عن هذه الأقسام، فلا تعارض القرآن بوجه ما".

د– مراحل تدوين السنة النبوية المطهرة :

وقد مرّ تدوين الحديث النبوي في ثلاث مراحل :

١– مرحلة الصحف والأجزاء الصغيرة : وبقيت منتشرة حتى عصر أوائل التابعين

٢- مرحلة ضم التسجيلات المتفرقة : وقد استمرت حتى أوائل القرن الثاني الهجري بدعم من الأمويين وبفضل ابن شهاب الزهري

٣- مرحلة تصنيف الأحاديث في فصول وأبواب : ومن أشهر المصنفات في هذه المرحلة الموطأ لمالك بن أنس ثم أفردت الأحاديث في مؤلفات خاصة تسمى بالمساند وهي تخلو من فتاوى الصحابة والتابعين كمسند الإمام أحمد بن حنبل ثم دونت كتب الصحاح كصحيح مسلم والبخاري وسنن أبي داود والترمذي وابن ماجة وقد

كان للحديث أثر في اللغة والأدب والثقافة بقضايا لا تتعدى أغراض وموضوعات القرآن وموضوعاته المتركزة حول العقيدة والعبارة والمعاملات وشؤون الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية وقد رويت أحاديث كثيرة بمعانيها لا بألفاظها مما جعل الروايات تختلف في الحديث الواحد ، بالإضافة إلى ما صنعه الأعاجم من تغيير في هذه الروايات ومن تعديل وإبدال ألفاظ بألفاظ أخرى ، مما جعل المفسرين لا يهتمون بها في اللغة والاستدلال بقواعدها وإن كان بعضهم قد أجاز ذلك ومن أمثلة الأحاديث التي رويت رواية تواتر بلفظها ومعانيها ، قال عليه الصلاة و السلام مخاطبا الأنصار : أما والله ما علمتكم إلا لتقلّون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع .وقال عليه الصلاة و السلام : أوصاني ربي بتسع : أوصاني بالإخلاص

في السر والعلانية، وبالعدل في الرضا والغضب ، وبالقصد في الغنى والفقر وأن أعفو عمّن ظلمني ، وأعطي من حرمني ،وأصل من قطعني، وأن يكون صمتي فكرا ونطقي ذكرا ونظري عبرا . وقوله: حمي الوطيس. وقد دارت بعض أحاديثه دوران الأمثال كقوله: لا يلسع المؤمن من جحر مرتين . ويعد الرسول عليه الصلاة و السلام من فصحاء العرب وهو القائل: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش. وكان الرسول الكريم يخاطب القبائل العربية بلهجاتها .

هـ- أثر الحديث النبوي الشريف في اللغة والأدب.

١- آثاره في الأدب :

إذا كان الحديث النبوي الشريف هو كل ما حُكي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، فإن أهميته تكمن في تفصيل أصول الدين الإسلامي وأحكامه التي وردت في القرآن الكريم : كتفصيل أوقات الصلاة وأنصبة الزكاة ، وتبيين أحكام الشريعة والمبادئ الأخلاقية والاجتماعية والإنسانية وتصويرها عملياً .وقد سُمي الحديث حديثاً لأنه نقل من جيل إلى جيل عبر الرواية والنقل الشفهي . ويُسمى أيضاً السنة ، وهي في اللغة : العادة . ويراد بها العادة المقدسة التي رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته . ودونت بعض أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في

حياته ، ولكنها كانت محدودة جداً لنهي النبي صلى الله عليه وسلم أن تصبح كتابة الحديث عامة ؛ حتى لا يختلط بالقرآن . ولم يدونه الصحابة رضوان الله عليهم من بعده . وظل الحديث ينقل بالرواية حتى تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة فأمر بتدوينه . وأخذ التصنيف والتأليف في الحديث بعده يكثر ويتسع وللحديث أثر مهم في اللغة والأدب وإن لم يصل إلى أثر القرآن العظيم فيهما ؛ لأنه دونه في البلاغة ، وإن كان قائله أفصح العرب قاطبة .

ب- آثاره في اللغة والأدب :

١- أنه عاون القرآن الكريم في انتشار اللغة العربية وفي حفظها وبقائها .

٢- وكان له أثر أيضاً في توسيع المادة اللغوية بما أشاع من ألفاظ دينية وفقهية لم تكن تُستخدم من قبل ، استمد منها المتأدبون في رسائلهم وأشعارهم .

٣- وفتح الباب للكتابة التاريخية . فهو السبب في أن المسلمين أشد الأمم عناية بتواريخ رجالهم ، وهيأ لظهور كتب الطبقات في كل فن .

٤- إضافة إلى ما نشأ عنه من علوم الحديث ومشاركته في علوم التفسير والفقه ، مما بعث على نهضة علمية رائعة .

الباب الخامس
أمية الرسول محمد
صلى الله عليه وسلم

لقد كان محمد صلوات الله عليه أميّا لا يعرف أن يقرأ ولا يعرف أن يكتب، ما في ذلك شك، يدلك على ذلك اتخاذه بعد أن أوحى إليه كتّابا يكتبون عنه الوحى، منهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وعلىّ بن أبى طالب، والزّبير بن العوام، وأبىّ بن كعب بن قيس، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبى سفيان، ومحمد بن مسلمة، والأرقم بن أبى الأرقم، وأبان بن سعيد بن العاص، وأخوه خالد بن سعيد، وثابت بن قيس، وحنظلة بن الربيع، وخالد بن لوليد، وعبد الله بن الأرقم، والعلاء بن عتبة، والمغيرة بن شعبة، وشرحبيل بن حسنة. وكان أكثرهم كتابة عنه : زيد بن ثابت ، ومعاوية . كما يدلك على ذلك أيضا ما ذكره المؤرخون عند الكلام على غزوة «أحد» أن العباس وهو بمكة كتب إلى النبى كتابا يخبره فيه بتجمّع قريش وخروجهم، وأن العباس أرسل هذا الكتاب مع رجل من بنى غفار، وأن النبي حين جاءه الغفاري بكتاب العبّاس استدعى أبىّ بن كعب- وكان كاتبه- ودفع إليه الكتاب يقرؤه عليه، وحين انتهى «أبىّ» من قراءة الكتاب استكتمه النبي. ولو كان النبي

غير أمي لكفى نفسه دعوة «أبىّ» لقرأة كتاب العبّاس في أمر ذي بال . وثمة ثالثة يذكرها المؤرخون أيضا عند قدوم وفد ثقيف على النبي، فلقد سألوا النبي حين أسلموا أن يكتب لهم كتابا فيه شروط، فقال لهم: اكتبوا ما بدا لكم ثم ائتوني به. فسألوه في كتابهم أن يحل لهم الرّبا والزّنا. فأبى علىّ بن أبى طالب أن يكتب لهم. فسألوا خالد بن سعيد بن العاص أن يكتب لهم. فقال له على: تدرى ما تكتب؟ قال: أكتب ما قالوا ورسول الله أولى بأمره. فذهبوا بالكتاب إلى رسول الله فقال للقارىء: اقرأ. فلما انتهى إلى الرّبا، قال له الرسول: ضع يدى عليها. فوضع يده. فقال يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا «٢» ثم محاها. فلما بلغ الزّنا وضع يده ثم قال: وَلا تَقْرَبُوا الزِّنى «٣» ثم محاها، وأمر بكتابنا أن ينسخ لنا «٤» . ولقد عثر الباحثون على الكتابين المرسلين من النبىّ إلى المقوقس وإلى المنذر بن ساوى، والكتاب الأول محفوظ في دار الآثار النبوية فى الآستانة، وكان قد عثر عليه عالم فرنسي في دير بمصر قرب أخميم، والكتاب الثاني محفوظ بمكتبة فينا. ومن قبل هذه الأدلة يقول تعالى في الرسول: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ { الأعراف : الآية ١٥٧ } . ويقول تعالى في الرسول أيضا: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾ {

العنكبوت : الآية ٤٨ } . ولم تكن البيئة العربية على هذا بيئة كاتبة قارئة، بل كان ذلك فيها شيئا يعد ويحصى، وكان حظّ المدينة من ذلك دون حظ مكة، ولم يكن فى المدينة حين هاجر إليها الرسول غير بضعة عشر رجلا يعرفون الكتابة، منهم: سعيد بن زرارة، والمنذر بن عمر، وأبى بن وهب، وزيد بن ثابت، ورافع ابن مالك، وأوس بن خولي. ولقد أحس الرسول ذلك بعد هجرته إلى المدينة، فكان أول ما فعله بعد انتصاره في «بدر» وأسره من أسر من رجال قريش القارئين الكاتبين، أن جعل فدية هؤلاء أن يعلّم كلّ رجل منهم عشرة من صبيان المسلمين، وبهذا بدأت الكتابة تروج سوقها في المدينة. حتى إذا كان عهد عمر بن الخطاب أمر بجمع الصّبيان في المكتب، وأمر عبد عامر بن عبد الخزاعي أن يتعهدّهم بالتعليم، وجعل له رزقا على ذلك يتقاضاه من بيت المال. وكان المعلّم يجلس للصبيان بعد صلاة الصّبح إلى أن يرتفع الضحى، ومن بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر. وحين خرج عمر إلى الشام وغاب عن المدينة شهرا استوحش إليه الناس، وخرج صبيان المكتب للقائه على مسيرة يوم من المدينة، وكان ذلك يوم الخميس، ورجعوا معه إلى المدينة يوم الجمعة، وقد انقطعوا عن المكتب يومين أجازهما لهم عمر، وكانت بعد ذلك عادة متبعة . وحين اختار الله لرسالته «محمدا» اختار فيه صفات حسّية وصفات معنوية.

أمدّهما به وطبعه عليهما، فوهبه من الأولى نفسا قوية، وروحا عالية، وقلبا كبيرا، وذهنا وقّادا، وبصيرة نفاذة، ولسانا مبينا، وفكرا واعيا، ووهبه من الثانية صدق لسان، وطهارة ذيل، وعفة بصر، وأمانة يد، ورحمة قلب، ورقّة وجدان، ونبل عاطفة، ومضاء عزيمة، ورحمة للناس جميعا. وكان اختيار الله له أميّا لا يقرأ ولا يكتب يضيف إلى إذعان الناس له وإيمانهم برسالته سببا يفسره تعالى فى قوله: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾ { العنكبوت : الآية ٤٨ } . ويبيّنه صدور هذا الوحى على لسانه يتلوه على قومه بكرة وعشيّا، ولا تبديل فيه ولا تغيير، وما يقوى على مثلها إلا من يملك أسفارا يعود إليها ليستظهر ما فيها. وليس في منطق الرسالات أن تكون الحجّة للناس عليها، بل لا تطالع الناس إلا والحجّة لها عليهم، كما لا تطالعهم إلا وفى صفحاتها الجواب على كل ما يصوّره لهم تصوّرهم، تحوط السماء رسالاتها بهذا كله لكيلا يكون للناس على الله حجة، وليكون منطق الرسالات من منطق الناس، لا تلتوى عليهم الرسالة فيلتووا هم عليها. ولم يكن اختيار محمد صلى الله عليه وسلم قارئا وكاتبا شيئا يعزّ على السماء، ولكنه كان شيئا إن تمّ يهوّن من حجّة السماء فى نفوس الناس، وكانوا عندها يملكون أن يقولوا باطلا ما حرص القرآن على ألا يقولوه: من أن هذا الذى جاء به الرسول قد أخذه من أسفار

سابقة. وهذه التي ألزمتها حجة السماء السلف من قبل، فأذعنوا لها عن وعى وبصر- وأعنى بها أمية الرسول- أراد أن يثيرها نفر من الخلف من بعد ليخرجوا على حجة السماء عن غير وعى ولا بصر. غير أننا نفيد من هذا الذى يريد الخلف أن يثيروه تأكيد المعنى الذى قدّمناه من أن حجة السماء تجيء أشمل ما تكون بشكوك العقول، محيطة بكل ما يصدر عنها، يستوى في ذلك أولهم وآخرهم. وقد ننسى، مع هؤلاء المخالفين الطاعنين، تقرير القرآن الصادق عن أمية محمد والادلّة القائمة فى ظلّ القرآن على ذلك، قد ننسى هذا وذاك لنسائلهم: أي جديد يفيدهم هذا- إن صح- وقد مضى على رسالة محمد ما يقرب من أربعة عشر قرنا خطا فيها العلم والبحث خطوات سريعة، وما وجدنا شيئا ينال من هذه الرسالة من قرب أو من بعد، جهر به أو أسرّ من يريدون أن يجعلوا محمدا قارئا كاتبا، وأن يجعلوا من هذا سببا إلى أنه نقل عن أسفار سابقة.

الباب السادس
فصاحة النبي محمد
صلى الله عليه وسلم

قيل إنه كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم ملكة من ملكات الخلق والتكوين ، ووضعا من أوضاع النسب والنشأة ، ووجها من وجوه الأداء والتبليغ في رسالة كان معجزتها " بيانا" يتلى ، وقد قالت عائشة رضي الله عنها : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد كسردكم هذا. ولكن كان يتلكم بكلام بين فصل ، يحفظه من جلس إليه . وفي رواية أخرى عنها أيضا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه . فأنت ترى أن هذا المنطق الذي يمر بالفكر قبل أن ينطق إلى الفم وأن العقل فيه من وراء اللسان فهو غالب عليه مصرف له ، حتى لا يعتريه لبس ، ولا يتخونه نقص ، وليس إحكام الأداء وروعة الفصاحة وعذوبة المنطق وسلاسة النظم إلا صفات كانت فيه صلى الله عليه وسلم

أ- سمات البلاغة النبوية: فالبلاغة النبوية لها سمات كثيرة ومتنوعة فقد قال يونس بن حبيب: (ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم).

١- فكلامه صلى الله عليه وسلم هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثرت معانيه ،

٢- جل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى : قل يا محمد (وما أنا من المتكلفين) ..

٣- وهو الكلام الذي ألقي الله عليه المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإفهام ، وقلة عدد الكلام ، مع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته

٤- لم تسقط له كلمة ، ولا زلت به قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب

٥- لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ، ولا أقصد لفظا ، ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ، ولا أحسن موقعا ، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى ، ولا أبين في فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم .

٦- تضمن كلامه صلى الله عليه وسلم أكثر من " فن " أو سمة من سمات البلاغة النبوية والكلام النبوي نجد قلة الحروف والكلمات وكثرة المعاني (" جوامع الكلم ")

٧- تنزه هذه البلاغة عن الصنعة والتكليف (مراعاة مقتضى الحال) وهجره للساقط من القول ، في قوله " استعمال المبسوط في موضع

البسط " الخ .." لقد كان رسول الله أفصح العرب وأبلغ من نطق بالضاد .. قال ذلك عن نفسه ولم ينكره عليه أحد

٨- يخاطب جميع القبائل العربية ، كل واحدة بلحنها وعلى مذهبها .... و كان في هذا الخطاب أحسنهم بيانا وأقومهم منطقا ولعل من أوضح الأدلة على هذه المكانة ما أضافه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ميراث اللغة العربية والبيان العربي من الألفاظ والمعاني والكلمات المفردة التي لم يسبق إليها، أو بحسب تعبير الجاحظ "" مما لم يسبقه إليه عربي ولا شاركه فيه عجمي ، ولم يدع لأحد ، ولا ادعاه أحد "" حتى صار مستعملا ومثلا سائرا كقوله عليه السلام : " مات حتف أنفه "" – وقد روى عن علي بن أبي طالب أنه قال : ما سمعت كلمة غريبة من العرب (أي بروعتها وبيانها) إلا وسمعتها من رسول الله، وسمعته يقول :"" مات حتف أنفه "" وما سمعتها من عربي قبله – وكقوله – صلى الله عليه وسلم لأبي تميمة الهجيمي :" إياك والمخيلة "" قال : يا رسول الله ، نحن قوم عرب ، فما المخيلة فقال :"" سبل الإزار "" فذهبت هذه الكلمة دالة على الكبر ونحوه وكقوله :"" يا خيل الله اركبي "" و " لا تنتطح فيها عنزان " و"" حمي الوطيس "" و "" كل الصيد في جوف الفرا "" وقوله في يوم بدر :" هذا يوم له ما بعده ""

٩- الموضوعات التي تطل من خلالها هذه البلاغة الرائعة لم تأت في معرض العاطفة أو الخيال .. بل جاءت في معرض الحديث عن الخير والشر ، والحلال والحرام ... وما يكون من شأن المؤمن أن يقوله أو يفعله على سبيل المثال – الحديث عن " الكاسيات العاريات "" وقال في شان النساء " رفقا بالقوارير قال : " ومنهن ربيع مربع ... والمراد تشبيه المرأة الحسناء المونقة بالربيع المزهر ، والروض المنور وقال لأسامة بن زيد ، وقد كساه قبطية فكساها امرأته أخاف أن تصف حجم عظامها، وهذه استعارة ، والمراد أن القبطية برقتها تلتصق بالجسم ، فتبين حجم الثديين والرادفتين ، وما يشتد من لحم العضدين والفخذين ، فيعرف الناظر إليها مقادير هذه الأعضاء ... فجعلها عليه الصلاة والسلام لهذه المحال كالواصفة لما خلفها ، والمخبرة عما استتر بها . وهذه من أحسن العبارات عن هذا المعنى وإلى هذا الغرض رمى عمر بن الخطاب في قوله "" إياكم ولبس القباطي ، فإنها إلا تشف تصف "" وهذا كلام حسن ، فإنه عليه الصلاة والسلام لم يقل : أخاف إن تصف حجم أعضائها ، بل قال : حجم عظامها ، مع أن المراد لحم الأعضاء في حجمه وتكوينه ، وذلك منتهى السمو بالأدب ، إذ ذكر " أعضاء " المرأة لأنه ينبه إلى صور ذهنية كثيرة ، وهي تومئ إلى صور أخرى من ورائها ، فتنزه النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ذلك

وضرب الحجاب اللغوي على هذه المعاني السافرة .. وجاء بكلمة العظام " ، فالمجاز على ما ترى والحقيقة هي ما عملت وكان للطبيعة أثر في فصاحة النبي عليه السلام في مثل قوله :" إذا طلع حاجب الشمس فأخروا الصلاة حتى ترتفع ، وإذا غاب حاجب الشمس فلا تصلوا حتى تغيب "" وقوله – قد سأله رجل : متى ستصلى العشاء الآخرة قال : – "" إذا – ملأ الليل بطن كل واد " وقوله : " ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل "" وقوله : (إن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال له : ألست فيما شئت ؟ قال : بلى ، ولكني أحب أن أزرع ، قال : فبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده فكان أمثال الجبال) ومن كلامه صلى الله عليه وسلم (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه "") ؛ ومن كلامه – صلى الله عليه وسلم – حين ذكر الأنصار فقال : (أما والله ما علمتكم إلا لتقلون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع)" وقال : " (الناس كلهم سواء كأسنان المشط ") و (والمرء كثير بأخيه) وقال – وذكر الخيل – (بطونها كنز ، وظهورها حرز)" وقال عليه الصلاة والسلام : " (اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول) وقال :" (المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، ويجير عليهم أقصاهم ، وهم يد على من سواهم)" وقال :

"(خير المال عين ساهرة ، لحين نائمة وهذه استعارة لأن المراد بذلك عين الماء الجارية التي لا ينقطع جريها ليلا كما لا ينقطع نهارا ، فسماها ساهرة لهذا المعنى لأنها في ليلها دائبة ، وعين صاحبها نائمة ، وقال عليه الصلاة والسلام : "(يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله : ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبالين ، وتأويل الجاهلين)" وقال : (لا تزال أمتي صالحا أمرها ما لم تر الأمانة مغنما والصدقة مغرما)" وقال : (الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة .) وقال : (الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة)" ومن حديث عبد الله بن المبارك يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : " (إذا ساد القبيل فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذ لهم ، وأكرم الرجل اتقاء شره فلينتظر البلاء) وقال عليه الصلاة والسلام " (دب إليكم داء الأمم من قبلكم : الحسد والبغضاء . والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا محالقة الشعر ، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنون حتى تحابوا . إلا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم ؟ ... أفشوا السلام وصلوا الأرحام ") وقال : " (إياكم والجلوس على الطرقات فإن أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها : غض البصر وكف الأذى، ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ، وقال : (" إن الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبله جميعا ولا تفرقوا

وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ؛ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال) " ، وقال صلى الله عليه وسلم : "(لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب).وقال (يقول ابن آدم : مالي مالي ، وإنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت) ، وعن الحسن رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أوصاني ربي بتسع أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية ، وبالعدل في الرضى والغضب و بالقصد في الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمني ، وأعطي من حرمني ، وأصل من قطعني ، وأن يكون صمتي فكرا ، ونطقي ذكرا ، ونظري عبرا)،وقال عليه السلام (قيدوا العلم بالكتاب) وقال (ستحرصون على الأمارة ، فنعمت المرضع ، وبئست الفاطمة) وقال (ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم ") وقال صلى الله عليه وسلم : (إن الله كره لكم العبث في الصلاة ، والرفث في الصيام ، والضحك عند القبور)

١٠- (الإبلاغ أو التبليغ) : فالكلام النبوي من جهة

أ- الصناعة اللغوية مسدد اللفظ محكم الوضع جزل التركيب متناسب الأجزاء في تأليف الكلمات ، فخم الجملة ، واضح الصلة بين اللفظ ومعناه واللفظ وضربة في التأليف والنسق ، ثم لا ترى فيه

حرفا مضطربا، ولا لفظة مستدعاة لمعناها أو مستكرهة عليه ، ولا كلمة غيرها أتم منها أداء لمعنى وتأتيا لمسرة في الاستعمال "

ب- و من جهة الصناعة البيانية " حسن المعرض ، بين الجملة ، واضح التفعيل، ظاهر الحدود، جيد الرصف ، متمكن المعنى ، واسع الحلية في تصريفه، بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان ، و قد سلمت له صلى الله عليه وسلم هذه الجهات الثلاث (اللغة والبيان والحكمة) من نحو قوله (مات حتف أنفه ") وقوله في صفة الحرب يوم حنين : "(الآن حمي الوطيس وقوله) وقوله في حديث الفتنة: ("هدنة على دخن ") وقوله "(بعثت في نفس الساعة)" وكقوله " (حتى تنفرد سالفتي)" وقوله "(رفقا بالقوارير ") وقوله(اشفعوا تؤجروا) وقوله :(لا توك فيوكى عليك)" وقوله "(لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين ") ... الخ . وكقوله: (ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله وما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط ، قضاء الله حق ، وشرط الله أوثق وإنما الولاء لمن أعتق) أو قوله (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنعا وهات ، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال ، وإضاعة المال). وحين كانت مهمة الإبلاغ في أمر من الأمور أو موضوع من المواضيع لا تتم إلا بالإطالة والإسهاب ، فقد كان النبي عليه السلام – يطيل في خطبه وأحاديثه على حد سواء

، وروى أبو سعيد الخدري أن النبي خطب بعد العصر فقال : (ألا إن الدنيا خضرة حلوة ألا وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ألا لا يمنعن رجلا مخافة الناس أن يقول الحق إذا علمه ..") قال أبو سعيد : ولم يزل يخطب حتى لم يبق من الشمس إلا حمرة على أطراف السعف فقال : (إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى) . هذا مع حرص النبي على الإيجاز ، وأمره بإطالة الصلاة وقصر الخطبة .وبسبب هذه السمة الرئيسة

١١- خلو كلام النبي عليه السلام من المجاز المعقد ومن ضروب الإحالة وفنون الصنعة ، لأن هذه المجازات والفنون المصنوعة لا تلتئم مع رسالة الإبداع لجميع الناس

١٢- كثرة " الأمثال والاستعارات " في الكلام النبوي ، وأي شيء كالمثل يقرب الصور والحقائق لأذهان المدعوين والمكلفين .

١٣- اجتماع المعاني الكبار في الكلمات القصار ، بل اجتماع العلوم الوافية في بضع كلمات ، "(وأعطيت جوامع الكلم)(كما تكونون يولى عليكم) " (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل) ومن بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم قوله (- كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته --الدين الصحبة -دع ما يريبك إلى مالا يريبك-حبك الشيء يعمي ويصم -حفت الجنة بالمكاره ،

وحفت النار بالشهوات –المسلمون على شروطهم –من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .–الصبر عند الصدمة الأولى –السعيد من وعظ بغيره). وقد طبعت سمة الإبلاغ البلاغة النبوية بطابع " العصرية " و أخرجته من حدود الزمان ، لأن رسالة النبي لا تنتهي بانتهاء الزمان ، ولأن " الأسلوب الذي يخرج من الفطرة المستقيمة هو أسلوب كل العصور .

الباب السابع
النبي محمد
صلى الله عليه وسلم
ليس بشاعر

١ – تنزه النبي عن قول الشعر:

تنزه النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الشعر والاهتمام به ، فهو لا ينبغي له ،والخبر في ذلك مكشوف متظاهر والروايات صحيحة متواترة ، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ { يس : الآية ٦٩ } فكان عليه الصلاة والسلام لا يتهدى إلى إقامة وزن الشعر إذا هو تمثل بيتا منه بل يكسره ويتمثل البيت مكسورا . مع أن ذلك لا يعرض البتة لأحد من الناس في كل حالاته عربيا كان أو أعجميا ، فقد يتمتع المرء في بيت من الشعر ينساه أو ينسى الكلمة منه ، فلا يقيم وزنه لهذه العلة، ولكنه يمر في أبيات كثيرة مما يحفظه أو مما يحسن قراءته، فما وزن الشعر إلا نسق ألفاظه ، فمن أداها على وجهها فقد أقامه على وجهه ، ومن قرأ صحيحا فقد أنشد

صحيحاً . وهذا خلاف المأثور عنه صلى الله عليه وسلم ، فإنه على كونه أفصح العرب إجماعا ، لم يكن ينشد بيتا تاما على وزنه ، إنما كان ينشد الصدر أو العجز فحسب ، إن ألقى البيت كاملا لم يصحح وزنه بحال من الأحوال ، وأخرجه عن الشعر فلا يلتئم على لسانه. أنشد مرة صدر البيت المشهور للبيد، وهو قوله : (إلا كل شيء ما خلا الله باطل) فصححه ، ولكنه سكت عن عجزه (وكل نعيم لا محالة زائل) ، وأنشد البيت السائر لطرفة على هذه الصورة ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك (من لم تزود) بالأخبار وإنما هو : ((ويأتيك بالأخبار من لم تزود)) .

وأنشد بيت العباس بن مرادس فقال :

أتجعل نهبي نهب العبيد ... بين (الأقرع) وعيينة...وعبيد اسم فرس العباس ، فقال الناس : بين عيينة والأقرع . فأعادها عليه الصلاة والسلام : ((بين الأقرع وعيينة)) ولم يستقم له الوزن .

٢- مما ارتجزه صلى الله عليه وسلم :

ولم تجر على لسانه صلى الله عليه وسلم مما صح وزنه إلا ضربان من الرجز المنهوك (مما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه)، ،(لا يمتنع منهما شيء على أحد) . والمشطور(جعل البيت ثلاثة أجزاء ، فيتحد العروض والضرب) ،. وهما أخف أوزان الرجز. والمشطور أكثر رجز العرب و(الجزء الأخير من الشطر الأول يسمى عروضا ، ومثله من

الشطر الثاني يسمى ضربا) أما الأول المنهوك كقوله في رواية البراء : إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم على بغلة بيضاء يوم أحد ويقول :

أنـا الـنـبـي لا كـذب ... أنا ابن عبد المطلب

والثاني المشطور كقوله في رواية جندب أنه صلى الله عليه وسلم دميت أصبعه فقال :

هل أنت إلا إصبع دميت ... وفـي سبيل الله ما لقيت

٣- الرجز في أصله ليس بشعر:

وإنما اتفق له ذلك ، لأن الرجز في أصله ليس بشعر إنما هو وزن وقد اختلف العلماء في ذلك ، وآراؤهم في تعليله مضطربة ، فمنهم من يجعل الرجز شعرا ، وهو جمهورهم ، ومنهم من ينفي أن يكون من الشعر ، والصواب أنه ضرب من الوزن ، لم يجعل من الشعر إلا أنه كان الأصل في اهتدائهم إليه، ثم أخذ فيه الشعراء بعد ذلك وأجروه مجرى القصيد، فجعلته العادة شعرا، أما هو في أصله و حقيقته فليس من الشعر، وهذا الوزن (الرجز) كأوزان السجع ، وهو يتفق للصبيان والضعفاء من العرب ، يتراجزون به في عملهم وفي لعبهم وفي سوقهم ، ومثل هؤلاء لا يقال لهم شعراء ، فقد يتسق لهم الرجز الكثير عفواً غير مجهود ، حتى إذا صاروا إلى الشعر انقطعوا . وإنما جعل الرجز من الشعر تتابع أبياته ، وجمع

النفس عليه ، واستعماله في المفاخرات ونحوها ، وأنه الأصل في اهتدائهم إلى أوزان الشعر ، فأما البيت الواحد من الشعر فلا يعد قائله شاعرا.

٤- الأوزان فطرية في العرب:

لقد كانت الأوزان فطرية في العرب ، فهي في الرجز ، وهي في السجع ، وهي في الشعر ، جميعا ، ولم يعلم أنه صلى الله عليه وسلم اتفق له في الرجز أكثر من بيت واحد ، أو تمثل منه بأكثر من البيت الواحد كبيت أمية بن أبي الصلت :

إن تغفر اللهم تغفر جما ... وأي عبد لك لا ألمـا

٥- الله تعالى يأبى لنبيه الشعر:

ولذا قال تعالى: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين)، ثم يأتي بعد ذلك جلة أصحابه وخلفائه ، يأخذون فيما أخذ فيه، فيمضون على ما كان من أمرهم في الجاهلية ، ويثبتون على أخلاقهم وعلى أصول طباعهم ويستطير ذلك في الناس، وهو أمر متى تهيأ نما فيهم، ومتى نما غلب عليهم، ومتى غلب استبد بهم، ومتى استبد لم تقم معه للإسلام قائمة (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى)على أن منع الشعر إنما أخذ به صلى الله عليه وسلم منذ نشأته ، ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم (لما نشأت بغضت إلى الأوثان وبغض إلي الشعر ولم

أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين ، فعصمني الله منهما ، ثم لم أعد).

ولا جرم أن ذلك تأديب من الله أراد به تحويل فطرته صلى الله عليه وسلم عن الشعر وقوله ، حتى لا تنزع به العادة منزعا ، ولا تذهب في أسبابه مذهبا لقوله عليه والسلام:(أدبني ربي فأحسن تأديبي)

٦- النبي محمد صلى الله عليه وسلم يحب الشعر :

على أنه فيما كان وراء عمل الشعر وتعاطيه وإقامة وزنه ، يحب هذا الشعر ويستنشده ، ويثيب عليه ، ويمدحه متى كان في حقه ولم يعدل به إلى ضلالة أو معصية ، ، ولولا أن ذلك قد كان منه صلى الله عليه وسلم لماتت الرواية بعد الإسلام ، ولما وجد في الرواة من يجعل وكده حمل الشعر و روايته وتفسيره واستخراج الشاهد والمثل منه ، وكأنه عليه الصلاة والسلام حين سمع الشعر وأثاب عليه ورخص فيه لم يرد إلا هذا المعنى ، والشاهد القاطع قوله في أمر الجاهلية (إن الله قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايته) وبمثل هذا القول استأنس العلماء وتجردوا للرواية وتمللوا منها . رحمهم الله وأثابهم بما صنعوا ولقد كانت السابقة في ذلك لحسان رضي الله عنه، وكان ذا لسان ما يسره به معقول من معد ، وهو الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم، (قل وروح القدس معك) فكان إذا أرسل لسانه لم يجدوا دفعا وإذا مسهم بالضر لم

يجد شعراؤهم نفعا ، وإذا وضع منهم لم يستطيعوا لما وضعه رفعا

إن كان في الناس سباقون بعدهم ...

فكل سبق لأدنى سبقهم تبع

لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم ...

عند الدفاع ، ولا يوهون ما رقعوا

أكرم بقوم رسول الله شيعتهم ...

إذا تفرقت الأهواء والشيع

٧- زعم المشركين أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم شاعر:

وقد قيل في تعليل عدم حب النبي لقول الشعر أنه(النبي) أراد أن ينفي ما استطاع أنه شاعر ينظم القصيد ، وأن سور القرآن قصائد مرتلات كما زعم المشركون وإن تهمة الشعر التي ألحقها بعضهم بالقرآن الكريم لم تكن أكثر من تعبير عن العجز والسقوط أمام هذا التحدي السافر بالقرآن .. وإلا فقد أقروا – وبخاصة المتقدمين فيهم بالعلم بالشعر ورجزه كالوليد وغيره – بأن القرآن ليس بشعر .. ثم إذا نظرنا إلى الموضوع من الطرف المقابل : ما عسى إن يدل كسر البيت من الشعر ، والخروج به إلى ما يشبه جمله مرسلة من الكلام . .. على أن المتمثل به شاعر أو ليس شاعر ؟ إن دلالة هذا الأمر واضحة على أن صاحبه لا يريد أن ينشد الشعر – أي يقرأ قراءة صحيحة – ولا أن يجري "" وزنه "" على لسانه فهو يبتعد عن

"" لحنه "" و "" إيقاعه "" على النفس .. يخاف منه أن يحرك فيه تلك الفطرة القوية اللاقطة التي تطاوعه إلى الشعر إن شاء ويخشى هو أن يطاوعها إن أجرى على لسانه شعر ذا إيقاع رتيب موزون والرسول يومئذ أفصح العرب كما مر بك : لقد قال الله تعالى في شأن هذا الرسول الكريم : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾ { يس : الآية ٦٩ } . إن خروج النبي إلى ساحة الشعر خروج إلى مذاهب العرب في الشعر وأغراضهم فيه .. على نحو ما كانت عليه في ذلك الحين ﴿ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾ { يس : الآية ٦٩ }، إن شانه غير هذا الشأن ، وهدفه غير هذا الهدف .. ورسالته التي أعد لها أبعد من حدود الزمان والمكان .. فهو ليس لقبيلة من قبائل العرب .. شاعرا .. ولكنه للإنسانية جمعاء .. رسولا نبيا.

الباب الثامن
نقد النبي للشعر
صلى الله عليه وسلم

وقف النبي صلى الله عليه وسلم من الشعر مواقف شتى حسب هدف الشعر وغايته ونقد النبي للشعر أو حكمه عليه بالحسن والقبح ، وحثه عليه أو منعه ، ليس في عدم إقامته هو – صلى الله عليه وسلم – للشعر دليل على المدح والذم .. منه إنما منع من إقامته لأمر رباني ولا بد للوقوف على رأي " النبي في الشعر من الرجوع إلى أقواله فيه والى موقفه من شعراء المسلمين والمشركين

١– قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن من الشعر حكمة "

٢– وقال في رواية أخرى :(إن من البيان سحرا ، وإن من العلم جهلا وإن من الشعر حكما ، وإن من القول عيلا) والمراد بقوله إن من الشعر حكمة ، إن قوله صادقا مطابقا الحق ، أو نافعا يمنع من السفه ، كالشعر الذي يرد في أمثال والمواعظ .

٣– في صحح الترمذي من حديث جابر بن سمرة قال " كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتذاكرون الشعر وحديث الجاهلية عند رسول الله فلا ينهاهم وربما يبتسم "

٤- وقد رخص النبي صراحة في روايته " فتجرد العلماء والرواة لذلك لحمله وروايته

يضاف إلى ذلك: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستنشد الشعر ويثيب عليه ، ويمدحه متى كان في حدود تلك الحكمة ، أو لم يتجاوز به صاحبه إلى معصية أو صلة أو عدوان

٥- وقد روى عنه في حديث ابن ماجه – قوله أعظم الناس فرية رجل هاجى رجلا فهجا القبيلة بأسرها "

٦- إن مقياس " نقد الشعر عند النبي – صلى الله عليه وسلم – هنا وهناك ، هو مقياس " النبوة " التي يتفاضل عندها الكلام بموازين الفضيلة والخير والصدق ومن هنا جاء التفضيل من قوله : أصدق كلمة قالها لبيد : (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) .

٧- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له شعراء ينافحون عنه ، ويدافعون عن الدعوة ، ويتصدون لكيد الكائدين والمتفاخرين من شعراء المشركين .. وأخبار شعراء النبي الثلاثة المشهورين : عبدالله بن رواحة وحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، معروفة في كتب الأدب .

٨- وفي كتب الحديث : روى البخاري عن أبي سلمة – بن عبد الرحمن بن عوف – أنه سمع حسان بن ثابت يستشهد أبا هريرة فيقول يا أبا هريرة نشدتك الله هل سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول : (يا حسان أجب عن رسول الله ، اللهم أيده بروح القدس) ؟ قال أبو هريرة نعم وروي أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحسان : (اهجهم – أو قال هاجهم – وجبريل معك ").. وإذا كان اتخاذ النبي لهؤلاء الشعراء يدل على " الموقف " الحقيقي للنبي من الشعر ، وأنه رغب فيه منافحا عن الدعوة ، فإن مما تجدر الإشارة إليه أن مجاراة شعرائه – صلى الله عليه وسلم – المشركين في المفاخرة والهجاء يجب أن تفهم في ضوء الضرورة وفي حدود المعاملة بالمثل ، فإن رسول الله لم يبعث للهجاء ولم يؤمن بالفخر وقد قال : (إن الله تعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعاظمها بالآباء)

١٠- جاء في الحديث الصحيح من حديث محمد بن سيرين – وغيره – قال : "هجا رهط من المشركين النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال المهاجرون يا رسول الله ألا تأمر عليا فيهجو هؤلاء القوم فقال : إن القوم الذين نعروا بأيديهم أحق أن ينصروا بألسنتهم ، فقالت الأنصار : أرادنا والله فأرسلوا إلى حسان فأقبل فقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما أحب أن لي بمقولي ما بين صنعاء وبصرى"

١١- في حديث آخر أخرجه الطبراني عن عمار بن ياسر قال : لما هجانا المشركون قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لهم كما يقولون لكم ..

١٢- ولما جاء وفد بني تميم بشاعرهم الأقرع بن حابس وخطيبهم عطارد بن حاجب .. ونادوا النبي من وراء الحجرات : يا محمد اخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك فإن مدحنا زين وذمنا شين رماهم النبي بمثل خطيبه ثابت بن قيس بن شماس أو بواحد من شعرائه : يريدون المفاخرة والمشاعرة فيغلبون وينتصرون إنها حالة من حالات الدفاع إن شئت أن تسميها وموقف من مواقف الرد على استطالة كان لابد لها أن تقمع وكان لابد أن يتنزه عنها النبي صلى الله عليه وسلم .

١٣- كره النبي صلى الله عليه وسلم بالطبع – شعر العدوان والعصبية وشعر المجون والفسق : كما كره اشتغال المرء بالشعر حتى يصده عن واجبه في الدين والأسرة والمجتمع ، فقال عليه والصلاة والسلام (لئن يمتلئ جوف أحدكم قيحا يريه خير من أن يمتلئ شعرا)

١٤- وقد أورد البخاري الحديث تحت هذا العنوان الدقيق : باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصده عن ذكر الله والعلم والقرآن ، وفي هذا القول مجاز ، لأن المراد به النهي عن أن

يكون حفظ الشعر أغلب على قلب الإنسان فيشغله عن حفظ القرآن وعلوم الدين حتى يكون – الشعر – أحضر حواضره ، وأكثر خواطره فشبهه عليه الصلاة والسلام بالإناء الذي يمتلئ بنوع من أنواع المائعات ، فلا يكون لغيره فيه مشرب ، ولا معه مذهب ، ويدخل في ذلك الشعر الذي هجي به النبي صلى الله عليه وسلم ... هذا الحديث وجملة الموقف السابق للنبي عليه السلام – يمثل الشرع العملي لقوله تعالى : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ * ﴾ { الشعراء : الآية ٢٢٤– ٢٢٧ } .

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى : ﴿ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ **: في كل لغو يخوضون وقال بعض المفسرين: إن المراد بالشعراء هنا شعراء المشركين يتبعهم سفهاء الناس ...وأما الشعر الذي لا لغو فيه ولا باطل ... والشعر الذي يخرج إلى ساحة الانتصاف والنصرة للحق .. خير وليس به بأس ، أخرج ابن أبي شيبة من طريق مرسله قال : لما نزلت** ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ { الشعراء : الآية ٢٢٤ } **جاء عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وهم يبكون ؟ فقالوا يا رسول الله أنزل الله هذه الآية**

وهو يعلم أنا شعراء فقال : اقرؤوا ما بعدها ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ، أنتم ﴿ وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾ أنتم ، قال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾) إن الله تعالى نسخ من ذلك واستثنى فقال : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا .... ﴾ إلى آخر السورة .

الباب التاسع
الحقيقة و المجاز
في الحديث النبوي الشريف

١- المراد بالمجاز هنا: ما يشمل المجاز اللغوي والعقلي ، والاستعارة والكناية ، والاستعارة التمثيلية ، وكل ما يخرج من اللفظ أو الجملة عن دلالتها المطابقة الأصلية والمجاز أبلغ من الحقيقة كما هو مقرر في علوم البلاغة.

٢- والعربية لغة للمجاز فيها نصيب موفور ، والرسول الكريم أبلغ من نطق بالضاد و كلامه تنزيل من التنزيل ،فلا عجب أن يكون في أحاديثه الكثير من المجازات ، المعبرة عن المقصود بأروع صورة . وحمل الكلام على المجاز في بعض الأحيان يكون متعينا ، وإلا زلت القدم ،وسقط المرء في الغلط .وحين قال الرسول صلى الله عليه وسلم لنسائه من أمهات المؤمنين : ((أسرعكن لحوقا بي أطولكن يداً)) حملنه على طول اليد الحقيقي المعهود قالت عائشة : فكن يتطاولن ـــ رضي الله عنهن ـــ أيتهن أطول يدا ؟! بل في بعض الأحاديث أنهن أخذن (قصبة) لقياس أي الأيدي أطول يدا ؟! والرسول لم يقصد ذلك ، إنما قصد طول اليد في الخير وبذل

المعروف .وهذا ما صدقه الواقع ، فكانت أول نسائه لحوقا به هي زينب بنت جحش، كانت امرأة صناعا ، تعمل بيدها وتتصدق

٣- روى البخاري عن عدي بن حاتم قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ { البقرة : الآية ١٨٧ } عمدت إلى عقالين : أحدهما أسود ، و الآخر أبيض ، قال: فجعلتهما تحت وسادتي قال: فجعلت أنظر إليهما ، فلما تبين لي الأبيض من الأسود أمسكت ، فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بالذي صنعت قال ، فقال : ((إن وسادك إذن لعريض ! إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل))

٤- ومثل ذلك قوله تعالى في الحديث القدسي المعروف : ((إن تقرب عبدي إلى بشبر تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)) فقد شغب المعتزلة على أهل الحديث بروايتهم مثل هذا النص ، وعزوهم ذلك إلى الله تبارك و تعالى ، وهو يوهم تشبيهه تعالى بخلقه في القرب المادي و المشي و الهرولة ، وهذا لا يليق بكمال الألوهية .وقد رد على هؤلاء الإمام ابن قتيبة في كتابه : ((تأويل مختلف الحديث))

بقوله :إن هذا تمثيل وتشبيه وإنما أراد : من أتاني مسرعا بالطاعة أتيته بالثواب أسرع من إتيانه ، فكنى عن ذلك بالمشي والهرولة))

٥- وفي حديث الشيخين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ((اشتكت النار إلى ربها ، فقالت : يا رب أكل بعضي بعضا ! فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف فهو أشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من الزمهرير)) .

٦- ومثل ذلك حديث أبي هريرة في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :((إن الله خلق الخلق ، حتى إذا فرغ من خلقه ، قال الرحم : هذا مقام العائذ بك القطيعة ! قال : نعم . أما ترضين أن أصل من أوصلك ، و أقطع من قطعك ؟ قالت بلى يا رب . قال : فهو لك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاقرؤوا إن شئتم ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ...﴾ { محمد : الآية ٢٢ } فهل كلام الرحم ـ وهي القرابة ـ هنا على الحقيقة أم على المجاز ؟ اختلف الشراح ولكن القاضي عياضاً حمل الحديث على المجاز، و أنه من باب ضرب المثل ومثله : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا ﴾ { الحشر : الآية ٢١ } ، وفي آخرها ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾ {

الحشر : الآية ٢١ } ، فمقصود هذا الكلام الأخبار بتأكيد أمر صلة الرحم ، و أنه تعالى أنزلها منزلة من استجار به فأجاره فأدخله في حمايته ، و إذا كان كذلك فجاره الله غير مخذول

٧- وقد قال الله صلى الله عليه وسلم ((من صلى الصبح فهو في ذمة الله ، وإن من يطلبه الله بشيء من ذمته يدركه ثم يكبه على وجهه في النار)) أخرجه مسلم .

٨- هذا اللون من التأويل ، بحمل الحديث على المجاز ، لا يضيق الدين به ذرعا ، على أن يكون مقبولا غير متكلف ولا متعسف و أن يكون ثمت موجب للتأويل و الخروج من الحقيقة إلى المجاز ، فالتأويل بغير مسوغ مرفوض، و التأويل التعسف مرفوض ، كما أن حمل الكلام على الحقيقة، مع وجود المانع العقلي أو الشرعي أو العملي أو الواقعي ـ مرفوض أيضا .وقد يكون رفض اللجوء إلى المجاز هنا باب فتنة للعقليين من الناس، الذين علمهم الإسلام أن لا تعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول .

٩- ولنقرأ هذا الحديث الذي رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله عليه وسلم : ((إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، و أهل النار إلى النار ،جيء بالموت ، حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح ! ثم ينادى مناد: يا أهل الجنة، لا موت ، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار

حزنا إلى حزنهم)) و في حديث أبي سعيد عند الشيخين و غيرهما : ((يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح)) ترى ماذا يفهم من هذا الحديث ؟ وكيف يذبح الموت ؟ أو يموت الموت ؟ لقد وقف عنده القاضي أبو بكر بن العربي ، و قال : استشكل هذا الحديث ،لكونه يخالف صريح العقل . لأن الموت عرض ، والعرض لا ينقلب جسما ، فكيف يذبح ؟؟قال : فأنكرت طائفة صحة الحديث و دفعته . وتأولته طائفة فقالوا : هذا تمثيل ، ولا ذبح هناك حقيقة . و قالت طائفة : بل الذبح على حقيقته ، و المذبوح متولي الموت ،على أن الحافظ قال : لا مانع أن ينشىء الله من الأجساد أعراضا يجعلها مادة لها ، كما ثبت في صحيح مسلم في حديث ((إن البقرة و آل عمران تجيئان كأنهما غمامتان)) ونحو ذلك من الأحاديث ،

١٠- والمجاز كما يقع في أحاديث الأخبار ، يقع في أحاديث الأحكام ، فيجب على أهل الفقه التنبه له ، والتنبيه عليه ، و لمثل هذا اشترطوا في المجتهد أن يكون عالما بالعربية علما يمكنه من فهم دلالاتها المختلفة ، كما كان يفهمها العربي الخالص في عصر النبوة و الصحابة ، و إن كان هذا يعرفها بالسليقة وذاك يعرفها بالدراسة، وقد قال الأعرابي :

ولست بنحوي يلوك لسانه ... ولـكن سليقيّ أقول فأعرب !

١١- وإغفال التفريق بين المجاز و الحقيقة يوقع في كثير من الخطأ ، إن إغلاق باب المجاز في فهم الأحاديث ، و الوقوف عند المعنى الأصلي الحرفي للنص ، يصد كثيرا من المثقفين المعاصرين عن فهم السنة ، بل عن فهم الإسلام ويعرضهم للارتياب في صحته إذا أخذوا الكلام على ظاهره في حين يجدون في المجاز ما يشبع نهمهم ، ويلائم ثقافتهم ، ولا يخرجون به على منطق اللغة ، ولا قواعد الدين، وقد حكي عن بعض الصالحين أنه تأخر عن إخوانه يوما ، فسألوه عن ذلك فقال : ((كنت أمرغ خدي في رياض الجنة ، فقد بلغنا أن الجنة تحت أقدام الأمهات)) ! ولم يفهم إخوانه منه إلا أنه كان في خدمة أمه ، مبتغيا بذلك مثوبة الله تعالى وجنته .

١٢- وذكر ابن حزم هنا الحديث الصحيح ((سيحان و جيحان و النيل والفرات كل من أنهار الجنة))، و حديث ((بين بيتي و منبري روضة من رياض الجنة)) ، ثم قال : ((هذان الحديثان ليس على ما يظنه أهل الجهل من أن الروضة مقتطعة من الجنة ، و أن هذه الأنهار مهبطة من الجنة. هذا باطل وكذب . ثم ذكر ابن حزم أن معنى كون تلك الروضة من الجنة إنما هو لفضلها ، و أن الصلاة فيها تؤدي إلى الجنة. و أن تلك الأنهار لبركتها أضيفت إلى الجنة ، كما تقول في اليوم الطيب : هذا من أيام الجنة، وكما في الضأن : ((إنها من دواب الجنة)) وكما قال عليه السلام : ((إن الجنة

تحت ظلال السيوف)). ومثل ذلك الحديث ((الحجر الأسود من الجنة)). يقول ابن حزم في هذه الأخبار: وإن تأويل الأحاديث والنصوص عامة . و إخراجها عن ظواهرها ، باب خطر ، لا ينبغي للعالم المسلم ولوجه إلا لأمر يقتضي ذلك من العقل أو النقل .وكثيرا ما تؤول الأحاديث ذاتية أو آنية أو موضعية ثم يظهر للباحث عكس ذلك.

الباب العاشر
الكتابة والكتاب
في عصر صدر الإسلام

الباب العاشر
الفصل الأول
الكتابة في عصر صدر الإسلام

اتخذ الإسلام الكتابة دعامة من دعائمه، فقال جل شأنه في أول آية نزلت على رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ { البينة : الآية ١-٥ } ، وأقسم سبحانه وتعالى بالقلم فقال جل وعز: ﴿ ن * وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ { القلم : الآية ١-٢ } ، كما أقسم بالكتاب فقال: ﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴾ { الطور : الآية ١-٣ } . وجاءت في الذكر الحكيم كلمات اللوح والقرطاس والصحف من مثل: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾

{ البروج : الآية ٢١-٢٢ } ، ومثل: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ { الأنعام : الآية ٧ } ، ومثل: ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ { الأعلى : الآية ١٨-١٩ } ، وشجع الرسول عليه السلام على تعلم الكتابة بطرق مختلفة، فمن ذلك أنه جعل فداء بعض أسرى قريش في بدر ممن تعلموا الكتابة أن يعلموها عشرة من صبيان المدينة، وبجانب ذلك نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو بعض أصحابه إلى تعلم اللغات الأجنبية، ففي البخاري عن زيد بن ثابت: أتى بي النبي صلى الله عليه وسلم حين مقدمه المدينة، فقيل: هذا من بني النجار، وقد قرأ سبع عشرة سورة "من القرآن الكريم"، فقرأت عليه، فأعجبه ذلك، فقال: تعلم كتاب يهود، فإني ما آمنهم على كتابي، فقلت، فما مضى لي نصف شهر حتى حدقته، فكنت أكتب له إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له". وقد حض القرآن على اتخاذ الكتابة في المعاملات، يقول جل شأنه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾ { البقرة : الآية ٢٨٢ } ، وكان

للرسول صلى الله عليه وسلم جماعة من الكتاب تخصصوا بكتابة الوحي، وكان على رأس هذه الجماعة عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وكانا إذا غابا كتب له أبي بن كعب وزيد بن ثابت، وكان يكتب له بين يديه في حوائجه خالد بن سعيد بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وكان المغيرة ابن شعبة والحصين بن نمير يكتبان ما بين الناس، وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث، والعلاء بن عقبة الحضرمي يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم، وكان حنظلة بن الربيع ابن أخي أكثم بن صيفي خليفة كل كاتب من كتاب الرسول إذا غاب عن عمله، فغلب عليه اسم الكاتب. ونرى من ذلك أن الكتابة أخذت تستخدم استخداما واسعا لا في كتابة القرآن الكريم فحسب، بل في كتابة كثير من شئون المسلمين، وكان الرسول عليه السلام يكتب كثيرا من عهود الأمان ومن المعاهدات، كما كان يكاتب الأمراء، والملوك من العرب وغيرهم يدعوهم إلى الإسلام، وتزخر السيرة النبوية لابن هشام، وكتب الحديث والتاريخ بهذه الكتب، وقد جمعها محمد حميد الله الحيدر آبادي في كتابه النفيس "مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة"، وقدم لها بدراسة وقف فيها عند معيار الوضع والصحة، وما دخلها من الانتحال، وقد يكون من صحيحها الذي سلم على الزمن كتابه صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين، والأنصار واليهود ممن كانوا

بالمدينة حين نزوله فيها، وكذلك معاهدته التي كتبها بينه وبين قريش عام الحديبية، وهي تمضي على هذه الصورة: "هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو: اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض. على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه، وأن بيننا عيبه مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخله، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش، وعهدهم دخل فيه". وواضح أن الرسول عليه السلام لا يعنى في هذه المعاهدة بتحبير فني، بل هو يؤدي غرضا سياسيا في صورة موجزة، وكذلك كان شأنه في كتبه التي كان يرسلها إلى أمراء العرب، ونسوق لذلك مثل كتابه الذي أرسله إلى وائل بن حجر الحضرمي، وقومه إذ يقول عليه السلام. "من محمد رسول الله إلى الأقيال العباهلة من أهل حضرموت بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، في التيعة شاة، والتيمة لصاحبها، وفي السيوب الخمس، لا خلاط ، ولا وراط ، ولا شناق ، ولا شغار ، فمن أجبى فقد أربى، وكل مسكر حرام". والرسول صلى الله عليه وسلم لا يعمد في هذا الكتاب إلى تزويق، إنما يعمد إلى فكرته، وتبليغ دعوة الإسلام في غير إسهاب، وفي غير صنعة أو تكلف، فكان كما قال جل شأنه: ﴿ قُلْ مَا

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ { ص : الآية ٨٦ } ، فكان يقصد إلى غرضه بالحروف القليلة والكلمات اليسيرة. وتبعه الخلفاء الراشدون يهتدون بهديه في كتابتهم، وما يعقدون من معاهدات، فهم لا يقصدون إلى تنميق، إنما يقصدون إلى الإبلاغ أفكارهم في عبارات واضحة الدلالة، وليس من ريب في أننا لا نصل إلى عصر عمر حتى تكثر المكاتبات السياسية، فهو يكاتب قواده وولاته، وهم يكاتبونه كلما جدت مشكلة، وكان يكتف إليهم أحيانا في سياستهم لمن يحكمونهم، وكتابه إلى أبي موسى الأشعري في القضاء ذائع مشهور. ونظن ظنا أن عمر وغيره من الخلفاء الراشدين، وولاتهم، وقوادهم، لم يقصدوا في كتابتهم إلى أي ضرب من ضروب التزين والتنسيق، فقد كان حسبهم أن يؤدوا أغراضهم في لغة جزلة متينة، وإن كان لك لم يمنع بعض المؤرخين، والأدباء أن يدخلوا الزينة والتنميق على بعض ما رووه لهم، من ذلك الكتاب الذي ينسب إلى عمرو بن العاص أنه أرسله إلى عمر في وصف مصر، والذي يقول فيه: "مصر تربة غبراء، وشجرة خضراء، طولها شهر وعرضها عشر" إلى آخر ما في هذا الكتاب من عبارات أنيقة٥، فإنه واضح الانتحال على ابن العاص. وينبغي أن نعرف أن المكاتبات في صدر الإسلام لم تحفظ في سجلات خاصة، وكان ذلك سببا في أن تناولها غير مؤرخ وأديب بالتبديل والتحسين، ومن ثم

كان الكتاب الواحد يروى روايات مختلفة باختلاف الكتب التي ترويه، وحسب ذوق الراوي وقدرته البيانية.

الباب العاشر
الفصل الثاني
انتشار الكتابة
في عصر صدر الإسلام

/١٣ق .هـ/ من البعثة النبوية وحتى موت الرسول صلى الله عليه وسلم –١١–هـ

١– الخط والكتابة من البعثة النبوية الى الهجرة :

ظلت أحوال الخط العربي تجري على ما كانت عليه في الجاهلية المتأخرة ، وكان انتشار الكتابة بين العرب ضيقا محدوداً لا يعدو مجموعات قليلة من الأفراد المنتشرين هنا وهناك في جزيرة العرب من ؛ غير أن يكون لمعرفتهم الكتابة محرك مركزي واحد يحثهم على النشاط المنظم الهادف لخدمة غرض موحد بل كانت دوافعهم إلى تعلم الخط و الكتابة دوافع فردية محضة ربما تتعلق بمصالح اقتصادية كالتجارة ، أو دينية كقراءة بعض الكتب الاديان السماوية

أو الأرضية المعروفة آنذاك و من المعروف عندنا أن الإلمام بالخط عند الجاهليين على درجات إذ كان منهم من يقرأ و يكتب و منهم من يقرأ ولا يكتب و منهم من لا يقيم في القراءة و الكتابة سوى بضع كلمات أو بضعة حروف و منهم من لا يقيم في القراءة وحدها إلا مثل ذلك ؛ و هكذا لم يكونوا على درجة واحدة في الإلمام بالخط أو المعرفة بالقراءة ؛ والقاعدة العامة تقول : إن كل كاتب يكون بطبيعة الحال قارئا ولا يكون كل قارىء كاتبا ، ولم يستطع الإسلام قبل الهجرة أن يكون صاحب المبادرة في تنظيم المعرفة بالخط و الكتابة لأن نظام التعليم جزء من الإدارة الشاملة المنظمة للمجتمع و لم يكن الإسلام مسيطراً على ذلك المجتمع فظلت حال الجاهليين تنطبق أيضا على المسلمين بلا فارق كبير و نوجه الأضواء هنا إلى منبع النشاط الجديد في المجتمع لما سيكون له من أثر عميق بعد الهجرة في الرأي العام و في توجيه المجتمع العربي بإدارته إدارة مركزية قوية وفق معايير وأسس ترجع إلى مصدر واحد ونعني بهذا المنبع الدعوة الإسلامية في مكة ولا سيما فيما يتعلق بالخط و الكتابة في هذه المدينة منذ البعثة النبوية للهجرة . يروي البلاذري(أن الإسلام دخل و في قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب و لم يكن

حظ المرأة أقل من حظ الرجل في معرفة الخط و الكتابة في تلك الفترة) إذ وردت عند البلاذري أيضا إشارة إلى أن الشفاء بنت عبد الله العدوية من رهط عمر بن الخطاب كانت كاتبة في الجاهلية على أننا نستطيع الحكم على هذا الإحصاء بأنه غير دقيق وأنه يقبل الجدل إذ لم يحدد البلاذري فترته بوضوح وأن كان الظاهر المفهوم منها أول ظهور الإسلام و هذا يتيح لنا أن نضيف إلى هذه القائمة في تلك الفترة بالذات عدداً آخر من الأسماء قد أغفل كحنظلة بن أبي سفيان الذي بعث إلى أبيه و هو في تجارة باليمن رسالة و نستنبط من إحصاء البلاذري أيضا أن هؤلاء الكاتبين كانوا ينتمون إلى الطبقة المتنعمة الثرية ذات السيادة و الرأي و القيادة في قريش و هم من أصحاب التجارة الذين يجوبون الآفاق في رحلتي الشتاء و الصيف و هذا الإحصاء لم يحصر أبناء هذه الطبقة حصراً كاملاً مما أبقى فيه ثغراً يمكن ترميمها و سدها بعدد آخر ربما كان مماثلا ؛ ثم إن هذا الإحصاء شمل أبناء قريش أو من دخل في حلفهم من الأفراد و لم يذكر العارفون الكتاب من غير قريش من عبيدها أو من سائر العرب أو من الجماعات الأعجمية التي كانت تعمل في مكة بالتجارة و الصناعة و هؤلاء يحتاجون إلى الكتابة

بخط أهل مكة و لغتهم ؛ فإذا اضفنا هذه الاسماء المغفلة من هذه الجماعات فإن عدد العارفين الكتابة في مكة عند ظهور الإسلام سوف يرتفع إلا قرابة خمسين رجلا و امرأة و يمكننا أن نتصور كيف يتزايد مثل هذا العدد باطراد منذ تلك الفترة إلى يوم الهجرة النبوية أي خلال ما يقارب ثلاثة عشر عاما إذ كان المرء يعلم أخاه أو صاحبه أو بعض أبناءه و هذه سنة طبيعية في الناس حتى يستفيدوا من الكتابة و القراءة في حياتهم العملية و هذا كفيل بمضاعفة العدد المذكور آنفا ضعفين أو ثلاثة أضعاف و هذا بدوره يفسر لنا انتقال معرفة الكتابة إلى عدد ممن فقراء قريش الذين لم يجدوا بعد وقعة بدر ما يفدون به انفسهم من الأسر إلا أن يلبوا طلب النبي (صلى الله عليه وسلم) إليهم أن يفدوا أنفسهم بتعليم كل منهم عشرة من أولاد المسلمين القراءة و الكتابة و ذلك من السنة الثانية من الهجرة ،و من أبرز المدونات التي ظهرت في مكة آنذاك (صحيفة قريش) التي كتبوها في مقاطعة بني هاشم و المطلب و حصارهم في الشعب و كان ذلك في السنة السادسة من البعثة و (الصحيفة) التي دونت فيها سورة طه أو بعضها و كانت سبب إسلام عمر بن الخطاب و (مجلة لقمان) التي عرضها سويد بن

الصامت على النبي (صلى الله عليه وسلم) حين دعاه الى الإسلام ، و كانت وسائل الكتابة وأدواتها و موادها لا تختلف في شيء آنذاك عن وسائل الجاهليين وأدواتهم وموادهم فيها و نحن نرجح أن تكون المدونات الثلاث المذكورة آنفا مكتوبة على الرق الذي كان متوفرا بكثرة عند العرب في تلك الفترة بحكم البيئة

٢ – أثر الإسلام في ازدهار الكتابة :

كانت الكلمات الأولى التي تنزل بها الوحي على النبي (صلى الله عليه وسلم) في مطلع بعثته هي: القراءة و التعليم و القلم و ذلك في قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ { البينة : الآية ١–٥ } و كان من المسلم به حقيقة أن الدعوة الجديدة كانت دعوة علم و عقل بقدر ما كانت دعوة مثل عليا و قيم إنسانية خالدة و أخلاق نبيلة و إيمان طيب سمح و هذه جميعا هي ركائز الحضارة القويمة التي لا غنى عنها لنقل البشرية من الظلمات إلى النور و بها يكتمل الإكرام الذي خص الله

تعالى به الإنسان إذ جعله في الأرض خليفة وإذ خلقه خلقا جميلا فريدا كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ ولا يتم هذا الخلق الحسن و هو مجرد صورة وشكل إلا بجوهر أو مضمون متمم هو العلم تعلما و تعليما و قيم الحق و الخير و العدل ليكون الإنسان جديرا فعلا بخلافة الله تعالى على أرضه كما شاء و هذا هو المفهوم الحضاري الحقيقي للإسلام و السبيل للوصول إليه إنما يكون بالقراءة و التعليم و القلم . نعم لقد جاء الإسلام والكتابة والخط عند العرب مازال ضيقاً ومحدوداً ، ودوافع تعلمه (الخط والكتابة) فردية تتعلق بمصالح دينية واقتصادية وقد حلّ الإسلام في الجزيرة العربية والعرب منهم من يعرف الكتابة على نطاق ضيق ومنهم من لا يعرف الكتابة سوى سبعة عشر رجلاً منهم (عمر بن الخطاب – علي بن أبي طالب – عثمان بن عفان – أبو عبيدة بن الجراح – طلحة بن عبيد الله – يزيد بن أبي سفيان – أبو حذيفة عتبة بن ربيعة – حاطب بن عمرو أخو سهيل بن عمرو والعامري – أبو سفيان بن حرب بن أمية–عبد الأسد المخزومي– أبان بن سعيد بن العاصِ بن أمية – خالد بن سعيد –

أخوه عبدالله بن سعيد بن أبي سرح العامري- حويطب بن عبد العزى العامري – معاوية بن أبي سفيان – جهيم بن الصلت بن محزمة بن عبد المطلب بن مناف والعلاء الحضرمي من حلفاء قريش) ومن النساء (الشفاء بنت عبدالله العدوية) من رهط عمر بن الخطاب وكانت كاتبة في الجاهلية ويضاف لذلك (حنظلة بن أبي سفيان) ويصل عدد من يعرف الكتابة (خمسين رجلاً وامرأة) وقد ظهر في مكة المكرمة من المدونات (صحيفة قريش) التي كتبوا فيها مقاطعة بني هاشم والمطلب وحصارهم في الشعب عام /٦ ق ب / قبل البعثة وصحيفة خباب بن الأرث التي دونت فيها سورة (طه) وهي سبب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه و(مجلة لقمان) التي عرضها سويد بن الصامت على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأسهم نزول القرآن الكريم في تعلم القراءة والكتابة ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ { البينة : الآية ١-٥ } ، وتظهر مكانة القلم الرفيعة في الإسلام بقوله تعالى

: ﴿ ن * وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ { القلم : الآية ١-٢ } وفي قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * ﴾ { الرحمن : الآية ١-٤ } ، و ﴿ وَقُل رَبِّ زِدني عِلمًا ﴾ { طه : الآية ١١٤ } و﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ { الزمر : الآية ٩ } ، وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تحفيظ المسلمين الأوائل ما نزل من الوحي ودونوه وأكد النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه على العلم وطلب تقييد العلم بالكتابة ((قيدوا العلم بالكتاب)) ((العلم صيد والكتابة قيد)) كما وأمر الصحابة بتعلم اللغات الأخرى حيث طلب من زيد بن حارثة تعلم (العبرية – السريانية) وقد كان هناك دواعي كثيرة لازدهار الكتابة والتدوين في المجتمع المسلم الجديد :

أ- حفظ مصادر التشريع

ب- تنظيم الدولة وإدارة المجتمع

ت- حفظ الحقوق

ث- التعليم وحفظ المعارف

ج- اتساع رقعة الدولة وتحقيق التواصل

ح- كثرة الأحداث والفتن

وقد كان من مظاهر ازدهار الكتابة وانتشارها :

أ- تعليم القراءة والكتابة

ب- تدوين ألواح وجمع القرآن الكريم

ج- كتابة الحديث النبوي الشريف

د- كتابة المواثيق (الحقوق والمعاملات)

هـ- وجود بعض المدونات المختلفة

و- كثرة أدوات الكتابة وانتشارها

وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم كتاب متقنون للكتابة مخلصون للرسالة ومقربون من النبي وكان عددهم يزيد عن نيف وثلاثين كاتباً منهم الخلفاء الأربعة وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وهو ألزمهم الكتابة وروي أن سجلات الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل نجران وغيرهم بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وكان أبي بن كعب من كتاب الوحي في المدينة وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ((أقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب))

الباب العاشر
الفصل الثالث
كتّاب النبي محمد
صلى الله عليه وسلم

اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءة والكتابة لما لهما من أهمية في نشر الدعوة خاصة بعد الهجرة إلى المدينة المنورة وقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم من صحابته عدداً من الكتاب البارعين للكتابة والخط فقد ورد عند القلقشندي في صبح الأعشى (قد رأيت في سيرة لبعض المتأخرين أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم نيف وثلاثون كاتبا) وقد عثر حسين نصار حديثا على قريبا من خمسة وأربعين كاتبا ومن أبرز كتابه صلى الله عليه وسلم (أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ومعاوية بن أبي سفيان وحنظلة بن الربيع التميمي وخالد بن سعيد بن العاص والمغيرة بن شعبة والحصين بن نمير وعبد الله بن الأرقم والعلاء بن عقبة وابن أبي فاطمة والعباس بن عبد المطلب والزبير بن العوام وجهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة الطابخي والعلاء بن الحضرمي وعبد الله بن رواحة ومحمد

بن مسلمة وعبد الله بن أبي وعمر بن العاص وخالد بن الوليد) وكان هؤلاء الكتاب يكتبون كتابات متنوعة فمنهم من يكتب القرآن :عثمان- علي- ابي بن كعب- وزيد بن ثابت- عبد الله بن أبي سرح- معاوية – حنظلة بن الربيع التميمي.

١- الرسائل: زيد بن الحارثة- علي بن أبي طالب.

٢- العهود: علي بن أبي طالب.

٣- حوائج النبي صلى الله عليه وسلم: خالد بن سعيد بن العاص.

٤- ما يقع بين الناس: المغيرة بن شعبة.

٥- ما يكتب بين القوم في المعاملات : عبد الله بن الأرقم- العلاء بن عقبة

٦- مغانم النبي صلى الله عليه وسلم: ابن أبي فاطمة.

٧- أخبار المشركين في مكة المكرمة : العباس بن عبد المطلب .

٨- أموال الصدقات: الزبير بن العوام- وابن الصلت.

٩- كتاب في غير متخصصين بالكتابة: شرحبيل بن حسنة الطابخي -؟ وخالد بن سعيد بن العاص –العلاء بن الحضرمي- عبدالله بن رواحة – محمد بن مسلمة – عبدالله بن ابي – عمرو بن العاص- خالد بن الوليد.

١٠- من لقب بالكاتب تمييزا له عن سائر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم (حنظلة بن الربيع)

الباب الحادي عشر
تفسير النبي محمد
للقرآن الكريم

الباب الحادي عشر
الفصل الأول
هل فسّر الرسول
آيات القرآن الكريم ؟

هل كان صلى الله عليه وسلم يفسر القرآن بأقواله وأعماله وتصرفاته ، حتى صار القرآن خلقاً له لا ينفك عنه بحال ؟ . فآيات الأحكام فسرها – صلى الله عليه وسلم – لصحابته ولأمته بما ثبت عنه من أقوال وأفعال وتقريرات في بيانها . وآيات العقائد – ويدخل فيها الأمور الغيبية والمتشابه من القرآن – بينها لأمته وفسرها من خلال بيانه – صلى الله عليه وسلم – للموقف الصحيح الذي يجب عليهم أن يقفوه تجاهها من الإيمان بها على ظاهرها ، وعدم الخوض في تفصيلات لم يكفلوا بها، وأن يكون موقفهم موقف الراسخين في العلم الذين وصف الله حالهم بقوله عنهم:

﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ { آل عمران: الآية ٧} . وآيات الوعد والوعيد كان تفسير النبي – صلى الله عليه وسلم – وصحابته الكرام لها بتأثرهم بها خوفاً ورهبة عند الوعيد ، ورجاءً ورغبة عند الوعد مع العمل الذي يؤدى إلى الحذر من الوقوع في أسباب الوعيد ، والسعي فيما يوصل إلى الاتصاف بصفات أهل الوعد والتصديق . وأما آيات القصص ، فتفسيرهم لها حصل بتصديقهم بما جاء فيها ، واتعاظهم بما فيها من عبر وعظات . وآيات الترغيب والترهيب فسروها بأن بادروا وسارعوا إلى فعل كل ما رغب الله فيه ، وفروا من كل ما جاء فيه أدنى ترهيب ، واجتنبوا الوقوع فيه وفي الأسباب الموصلة إليه . وبذلك جمعوا بين العلم والعمل ، فكانوا بحق كما وصفهم وأخبر عنهم أبو عبد الرحمن السُّلمي بقوله : (حدثنا من كان يُقرئنا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم – أنهم كانوا يقترئون من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عشر آيات ، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل ، قالوا : فعلمنا العلم والعمل) . وبهذه النظرة المتكاملة إلى واقع النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ،

وبهذا الشمول في معنى التفسير نستطيع أن نقرر باطمئنان ، ودون ارتياب أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصحابته الكرام فسروا القرآن الكريم كاملاً . وهذا ما يوافق الأدلة التي تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد بين للناس ما نزل إليهم مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ { النحل: الآية ٤٤ } . وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تدل على ذلك . فما كان غير واضح من الآيات ويحتاج إلى بيان بينه – صلى الله عليه وسلم – لأمته بأقواله وأفعاله ، وما كان من المتشابه بين لأمته الموقف الصحيح منه ، وما كان غير ذلك فتفسيره – صلى الله عليه وسلم – لـه يُعرف من خلال معرفة سيرته العملية التي هي عبارة عن تفسير عملي للقرآن الكريم . وقل مثل هذا في الصحابة – رضي الله عنهم – أيضاً . وهذه المواقف تبين بوضوح مدى تأثير القرآن الكريم على ذلك الجيل ، ومدى اهتمامهم بالعمل بما فيه ، وتطبيق أوامره ، واجتناب نواهيه . ويتبين من خلال تأملها وأخذ العبر والعظات منها الفرق بين تلقي ذلك الجيل لآيات القرآن الكريم وتلقي غيرهم لها ، حيث كانوا يهتمون بالتطبيق

وبالعمل أكثر من اهتمامهم بالأقوال التي لا فائدة منها ، ويتبين أيضاً أنهم كانوا يتركون الخوض في تفصيلات لا حاجة إليها ولا صلة لها بالواقع العملي الذي كانوا يهتمون به .

الباب الحادي عشر
الفصل الثاني
نماذج من تفسير النبي
للقرآن الكريم

جاء في صحيح البخاري:

٣*سُورَةُ الْقَارِعَةِ

كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ كَغَوْغَاءِ الْجَرَادِ يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا كَذَلِكَ النَّاسُ يَجُولُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ كَالْعِهْنِ كَأَلْوَانِ الْعِهْنِ وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ كَالصُّوف الشرح: قوله: (سورة القارعة) كذا لغير أبي ذر، واكتفى بذكرها مع التي قبلها. قوله: (كالفراش المبثوث كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا. كذلك الناس يجول بعضهم في بعض) هو كلام الفراء، قال في قوله كالفراش: يريد كغوغاء الجراد إلخ. وقال أبو عبيدة: الفراش طير لا ذباب ولا بعوض، والمبثوث المتفرق، وحمل الفراش على حقيقته أولى، والعرب تشبه بالفراش كثيرا كقول جرير: إن الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلى وصفهم بالحرص والتهافت: وفي تشبيه الناس يوم البعث بالفراش مناسبات

كثيرة بليغة، كالطيش والانتشار والكثرة والضعف والذلة والمجيء بغير رجوع والقصد إلى الداعي والإسراع وركوب بعضهم بعضا والتطاير إلى النار. قوله: (كالعهن كألوان العهن) سقط هذا لأبي ذر، وهو قول الفراء قال: كالعهن لأن ألوانها مختلفة كالعهن وهو الصوف. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة قال: كالعهن كالصوف. قوله: (وقرأ عبد الله كالصوف) سقط هذا لأبي ذر.وهو بقية كلام الفراء، قال: في قراءة عبد الله – يعني ابن مسعود " كالصوف المنفوش".

***٣*سُورَةُ أَلْهَاكُمْ**

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ التَّكَاثُرُ مِنْ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ؛ الشرح: قوله: (سورة ألهاكم. بسم الله الرحمن الرحيم) كذا لأبي ذر، ويقال لها سورة التكاثر. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن أبي هلال قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمونها المقبرة. قوله: (وقال ابن عباس: التكاثر من الأموال والأولاد) وصله ابن المنذر من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس.

(تنبيه) لم يذكر في هذه السورة حديثا مرفوعا وسيأتي في الرقاق من حديث أبي بن كعب ما يدخل فيها

***٣*سُورَةُ وَالْعَصْرِ**

وَقَالَ يَحْيَى الْعَصْرُ الدَّهْرُ أَقْسَمَ بِهِ ؛ الشرح: قوله: (سورة والعصر) العصر اليوم والليلة، قال الشاعر: ولن يلبث العصران يوما وليلة إذا طلبا أن يدركا ما تيمما قال عبد الرزاق عن معمر قال الحسن: العصر العشي. وقال قتادة: ساعة من ساعات النهار. قوله: (وقال يحيى العصر الدهر أقسم به) سقط يحيى لأبي ذر، وهو يحيى بن زياد الفراء، فهذا كلامه في " معاني القرآن". قوله: (وقال مجاهد: خسر ضلال. ثم استثنى فقال: إلا من آمن) ثبت هذا هنا للنسفي وحده، ولم أره في شيء من التفاسير المسندة إلا هكذا عن مجاهد: إن الإنسان لفي خسر، قال: إلا من آمن.

(تنبيه) لم أر في تفسير هذه السورة حديثا مرفوعا صحيحا، لكن ذكر بعض المفسرين فيها حديث ابن عمر " من فاتته صلاة العصر " وقد تقدم في صفة الصلاة مشروحا.

*٣*سُورَةُ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ

الْحُطَمَةُ اسْمُ النَّارِ مِثْلُ سَقَرَ وَ لَظَى ؛ الشرح: قوله: (سورة ويل لكل همزة – بسم الله الرحمن الرحيم) كذا لأبي ذر، ويقال لها أيضا سورة الهمزة، والمراد الكثير الهمز، وكذا اللمز. وأخرج سعيد بن منصور من حديث ابن عباس أنه سئل عن الهمزة قال: المشاء بالنميمة، المفرق بين الإخوان. قوله: (الحطمة اسم النار، مثل سقر ولظى) هو قول الفراء، قال في قوله: (لينبذن) أي الرجل وماله،

(في الحطمة) اسم من أسماء النار، كقوله جهنم وسقر ولظى. وقال أبو عبيدة: يقال للرجل الأكول حطمة، أي الكثير الحطم.

***٣*سُورَةُ أَلَمْ تَرَ**

أَلَمْ تَرَ أَلَمْ تَعْلَمْ قَالَ مُجَاهِدٌ أَبَابِيلَ مُتَتَابِعَةً مُجْتَمِعَةً وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ سِجِّيلٍ هِيَ سَنْكِ وَكِلْ الشرح: قوله: (سورة ألم تر) كذا لهم، ويقال لها أيضا سورة الفيل. قوله: (ألم تر ألم تعلم) كذا لغير أبي ذر. وللمستملي ألم تر. قال مجاهد: ألم تر ألم تعلم، والصواب الأول فإنه ليس من تفسير مجاهد. وقال الفراء: ألم تخبر عن الحبشة والفيل، وإنما قال ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم يدرك قصة أصحاب الفيل لأنه ولد في تلك السنة. قوله: (أبابيل: متتابعة مجتمعة) وصله الفريابي عن مجاهد في قوله أبابيل قال: شتى متتابعة. وقال الفراء: لا واحد لها. وقيل: واحدها أبالة بالتخفيف، وقيل بالتشديد، وقيل أبول كعجول وعجاجيل. قوله: (وقال ابن عباس: من سجيل هي سنك وكل) وصله الطبري من طريق السدي عن عكرمة عن ابن عباس قال: سنك وكل، طين وحجارة. وقد تقدم في تفسير سورة هود، ووصله ابن أبي حاتم من وجه آخر عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه جرير بن حازم عن يعلى بن حكيم عن عكرمة، وروى الطبري من طريق عبد الرحمن بن سابط قال: هي بالأعجمية سنك وكل. ومن طريق حصين عن عكرمة قال: كانت ترميهم بحجارة

معها نار، قال: فإذا أصابت أحدهم خرج به الجدري، وكان أول يوم رئي فيه الجدري.

الباب الثاني عشر
أشكال الخطاب الأدبي
في الحديث النبوي
الشريف

مقدمة :

حول الفنون الأدبية النثرية:

استخدم الأدباء في كل عصر صدر الإسلام مجموعة من هذه الفنون كما قلنا تتناسب مع معطيات العصر؛ واستخدم الأدباء العرب في عصر صدر الاسلام بعد نزول القرآن الكريم ، و بعد ما سمعناه من الحديث النبوي الشريف فنونا جديدة بالإضافة إلى الفنون القديمة فاستخدموا (المفاخرات الشعرية بمفهومها الإسلامي- المناظرات- الأمثال- الحكم – القصص- الحكايات- الوصايا- المواعظ التقوية- الرسائل- الوصف – الروايات – الأدعية – المحاورات- الأحاديث الشعبية – الخطابة – الرجز- الشعر -) بالإضافة إلى الفنون الأدبية التي عبَّر القرآن الكريم ، و الحديث النبوي الشريف عن غاياته من خلالها (القصة – الرواية – المثل – الدعاء – الرسالة – الوصف-) .ومن بهم هذه الفنون الأدبية الخطابة التي نهضت الخطابة في عصر صدر الإسلام لدواع دينية أو اجتماعية وسياسية ، ولكون الإسلام قد أوجب خطبة الجمعة وسنّ خطب الأعياد والخسوف والكسوف فقد تطور هذا الفن

وانتشر انتشاراً عظيماً وحفلت به النوادي وحفلت فيها المجالس والقصور وأماكن القضاء إذ كان الخلفاء والقادة يعتمدون عليها اعتماداً كبيراً في إيصال ما يريدون إيصاله ، وزاد من أهمية الخطابة انتشار الأحزاب السياسية والفرق والثورات التي تحاول إثبات أحقية الخلافة لفئة دون فئة ، ومن هنا فقد تفرعت الخطابة إلى أنواع وأشكال

الباب الثاني عشر
الفصل الأول
فن الخطابة عند النبي محمد

أولاً– رؤية عامة في الخطابة في صدر الإسلام:

إن الإسلام نهضة عامة شاملة، لم يعهد لها من قبل في العالم مثيل، وكانت الخطابة عماد هذه النهضة وأداة فعالة من أدواتها، وكانت هذه النهضة دينية في روحها وأساسها، والدين فيض من النور الإلهي والرحمة الربانية، يمتد من السماء إلى الأرض، يضيء ظلماتها، ويبدد غياهب الجهالة فيها، ويؤدي رسالته الأولى في إصلاح المجتمع البشري، وتحقيق أسباب السعادة له في حياته، وليس الإسلام دين جمود، فيقف عند المطالب الأخروية، بل جاوزها إلى تحقيق المصالح الدنيوية فكان لا بد له من أن يتعرض لكل ما به صلاح أمور البشرية، في العقيدة والتشريع والمعاملات والحكم والسياسة والاجتماع والأخلاق والفكر، ولم يدع مجتمعا إلا حض عليه، وأقام من شأنه، وطلب فيه من القول ما هو ضروري له، كخطبة الجمعة والعيدين وموقف عرفات وغيرها، ولذلك كان صاحب

هذه الدعوة يمثل الإمام الهادي، والفيلسوف المشرع، والحاكم العادل، والزعيم السياسي، والقائد الحربي، والمصلح الاجتماعي، والرائد الفكري، وكذلك كان خلفاؤه من بعده. وقد جالت خطابة هذا العصر في هذه الميادين جميعا، وإن كانت وجهتها الرئيسية وجهة دينية، وكان غرضها الأساس إقامة عمود الدين، ورفع منار الإسلام، فكانت هناك خطب دينية، شملت العقائد والدعوة إلى الإسلام، والتشريع بما فيه من تبين الحدود وإقامة معالم الحلال والحرام، والوعظ والإرشاد بما فيه من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وحث على مكارم الأخلاق، وتبشير وإنذار

- والطابع العام للخطابة في صدر الإسلام:

١- ظهور الطابع الديني: من دعوة إلى الإسلام، ودفاع عنه، وبيان للعقائد، كوجود الله ووحدانيته وقدرته وخلقه الكائنات، والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وسائر الغيبيات، وسن الشرائع والأحكام المفيدة للناس، المنظمة للحياة الشخصية وللمعاملات بين الناس، المبينة للفرائض، الموضحة للحلال والحرام، ووعظ للعامة، وحث لهم على التزام حدود الشرع الحنيف، وقصص فيه عبرة وزجر.

٢- اختيار خطب ذات أهداف إنسانية عامة، وغايات كريمة سامية، من تحرير النفوس والعقول والأرواح من قيود الشرك والضلالة، وإخراجها من ظلمات الوثنية والجهالة.

٣- اتساع مجال الخطابة الاجتماعية، فقد أخذت دائرتها تتسع، وتتجه في نواحي الحياة العامة وجهات مختلفة نافعة، وتعرضت من التعاليم والآداب والشئون العامة إلى ما لا غنى عنه للناس في مجتمع يتحضر.

٤- اتساع دائرة الخطابة، والخروج بها إلى مجال التعبير عن الأغراض السامية والفكر الراقي، في الكون وقيامه، والوجود ونظامه، والمجتمع وعوامل بقائه وارتقائه، وما ينبغي أن يقوم عليه من أسباب، ويسوده من آداب، والبعد بها عن الإسفاف بالانحصار في مطالب العيش الرخيصة، فكان انقلابا كبيرا أن ترتفع الخطابة لتعبر عن الحياة الإنسانية في صراعها الأدبي والعقلي والعاطفي المحتدم حول المبادئ والمعتقدات والآراء، ولا تسف لتصور الحياة الحيوانية، في صراعها الدموي حول لقمة العيش وتنازع البقاء، وإن تسعى سعيها؛ ليقوم الحق والخير والبر والفضيلة مقام الباطل والشر والإثم والرذيلة.

ثانياً- خطابة الرسول صلى الله عليه وسلم: إن محمدا -صلى الله عليه وسلم- قبل كل شيء جاء؛ ليبلغ رسالات ربه، فمهمته الأولى

هي الرسالة والتبليغ، وما هذه المهام الكثيرة التي تولاها إلا فروع لتلك المهمة الكبرى، ومعينة عليها، نبتت على حواشيها، ونشأت في خدمتها، والرسالة والتبليغ لا يتم إلا ببلاغة وبيان؛ لأن البلاغ والتبليغ إيصال الكلام للسامعين على أحسن صورة، وبما به يكون الإفهام والإقناع، فلكل كلام وزن، وكل قول بمقدار، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ { إبراهيم: الآية ٤.} ، وقال سبحانه عن نبيه داود: ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾ ،{ ص: الآية ٢٠ } . لهذا قال موسى لربه: ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ { القصص : الآية ٣٤ }، فإذا كانت الفصاحة والبلاغة مطلوبة في دعوة موسى وغيره من الأنبياء، فرسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- أولى وأوجب، ودعوته أعم وأرحب، وقومه فرسان البيان، وأئمة القول. لهذا كان من أبرز صفات الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأجلى آيات عظمته البلاغة البليغة، وأنه في الذروة العليا من البيان وفصاحة اللسان، وأن التبليغ البليغ كان السمة المشتركة بين أفانين قوله كله، وما كان لنا أن نقول في هذا المقام بعد أن

قال تعالى عنه ما قال، وقال هو عن نفسه: "أعطيت جوامع الكلم" نشأ الرسول –صلى الله عليه وسلم– نشأة قرشية بدوية خالصة، واسترضع من بني سعد بن بكر، فاجتمعت له فصاحة اللسان واللغة، واللهجة الجميلة الوقع، يستريح لها السمع، والمنطق العذب المفصل، تجد النفوس حلاوته. كما اجتمعت له القدرة على تأليف القلوب، وتحصيل الثقة، إلى قوة الإيمان بدعوته، وغيرته البالغة عليها، وحرصه الشديد على نجاحها، فاجتمع له بذلك كل أسباب البلاغ للرسول، والنجاح للخطيب، وثقة القوم بصدق الداعي أو الخطيب أساس إجابته، وشرط لنجاح دعوته، وقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في قومه مثلا للأمانة والصدق، حتى لقبوه فيما بينهم "الصادق الأمين". هذه هي الخطوط الأساسية العريضة البارزة التي تشير إلى شخصية الرسول –صلى الله عليه وسلم– وتومئ إلى نزعاته، وقد بقي أن تصل بينها وبين خطابته، وتنظر آثارها فيها. وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أخطب العرب قاطبة، وقد كان يخطب في قريش كثيرا يدعوها إلى دينه الحنيف، والدخول في طاعة الله ومحبته، ولما هاجر إلى المدينة أصبحت الخطابة فريضة مكتوبة في صلاة الجمعة والعيدين. وبذلك عرف العرب ضربا منظما من الخطابة الدينية لم يكونوا يعرفونه في الجاهلية، إذ كانت خطابتهم –كما أسلفنا– اجتماعية، وكانت تدور

غالبا على المنافرات والمفاخرات، وقد دعا الإسلام إلى نبذ التفاخر، والتكاثر بالأحساب والإنسان، ومن ثم اختفى من حياتهم هذا اللون من الخطابة. وتحتفظ كتب الحديث الصحيحة بتقاليد الرسول صلوات الله عليه في خطابته سواء في صلاة الجمعة، أو صلاة العيدين، إذ كان يخطب في الصلاتين خطبتين يجلس بينهما، وكانتا تدوران على تبيين ما شرع الله لعبادة في شئون دينهم ودنياهم، وما ينبغي أن يسود مجتمعهم من مثالية خلقية رفيعة، ومن روابط اجتماعية وثيقة، وبجانب ذلك كان الرسول يخطب في الأحداث، وعند المناسبات. ومن المحقق أنه خلف تراثا ضخما من الخطب، غير أن ما احتفظت به كتب الأدب والتاريخ من ذلك قليل، ولا ترجع قلته إلى قصر خطبه، فقد كان يطيل خطبه أحيانا، وفي بعض المناسبات إلى ساعات يعظ الناس ويدعوهم إلى التفكر في الكون، وخالقه، ومدبره. وأكبر الظن أن خطبة أصابها ما أصاب خطب الجاهلية، فإنها لم تدون لحينها، وبعد العهد بين عصرها وعصر تدوينها، ومع ذلك فقد احتفظت ذاكرة الرواة ببقايا منها تحمل لنا خصائصها، من ذلك أنه خطب بعشر كلمات: حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أيها الناس! إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، إن المؤمنين بين مخافتين: بين عاجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين آجل قد بقي لا يدري ما الله

قاض فيه. فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشيبة قبل الكبرة، ومن الحياة قبل الموت. فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار". والخطبة على قصرها توضح لنا كيف كان الرسول يعظ أصحابه، ويدفعهم دفعا إلى العمل الصالح، قبل أن يلبوا داعي الموت، فتبور تجارتهم، ويذهب هباء عملهم، وإنهم لمعروضون على ربهم، فموفون حسابهم، فأما من اتبع هدى الإسلام، فمصيره الجنة إلى وصفها القرآن الكريم فأسهب في وصفها، وأما من أعرض وتولى، ولم يذكر اسم ربه ولا صلى، ولا أخلص عمله لوجهه، فمصيره النار التي أطنب القرآن في بيان عذابها. ولم تكن خطبه مواعظ فحسب، بل كانت أيضا تشريعا، وتنظيما لحياة هذه الأمة التي أخرجت للناس في خير مثال تأمر بالمعروف، وتتناهى عن المنكر، ويتعاون أفرادها على البر والخير مما فيه صلاحهم وصلاح مجتمعهم، ولعل خير خطبة تشريعية تصور كيف كان ينظم هذا المجتمع الروحي، ويرسي قواعده خطبته في حجة الوداع، وهي تمضي على هذا النحو: "الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. أوصيكم، عباد

الله، بتقوى الله وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير، أما بعد، أيها الناس! اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا. أيها الناس! إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد". فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها، وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب –وإن دماء الجاهلية موضوعة، وأول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب– وإن مآثر الجاهلية موضوعة، غير السدانة٢ والسقاية. والعمد قود٤، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية. أيها الناس! إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم. أيها الناس ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ { التوبة : الآية ٣٧ } . إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم: ثلاثة متواليات وواحد

فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. أيها الناس! إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق. لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن ، وتهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوان ، لا يملكن لأنفسهن شيئا، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله. فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيرا ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد". أيها الناس! إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعده: كتاب الله. ألا هل بغلت؟ اللهم اشهد، أيها الناس! إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير. وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد. قالوا: نعم، قال: فليبلغ الشاهد الغائب. "أيها الناس! إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، فلا تجوز وصية لوارث في أكثر من الثلث، والوالد للفراش وللعاهر الحجر. من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير

مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ٥ ولا عدل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته". وواضح أن الخطبة تبدأ بحمد الله، واستغفاره والتوبة إليه والاستعاذة من شرور النفس، وسيئات العمل ونقائصه، وتقترن بالشهادتين، وتوصية المسلمين بعبادة الله وطاعته، كما تقترن بكلمة "أما بعد". ويمضي الرسول عليه السلام ، فيبين أن دماء المسلمين حرام كأموالهم، فلا قتل ولا نهب ولا سلب، فقد انتهى قتل النفس المحرمة، وانتهى قطع الطرق، وانتهت الخيانات بجميع ضروبها، فمن كانت عنده أمانة لا يخنها، بل فليؤدها مستوفاة إلى صاحبها، إنه مجتمع ديني جديد، تتوثق فيه الروابط، فلا ربا ولا أخذ بثأر، وقد تداعت مآثر الجاهلية سوى سدانة الكعبة وسقاية الحجيج، فهما مأثرتان ضروريتان للجماعة، وهما لذلك باقيتان، أما شريعة الأخذ بالثأر التي كانت قوام حياتهم في الجاهلية، فقد قضى عليها الإسلام، إذ جعل حق الدم للدولة، فالقاتل المتعمد تقتله الدولة بصاحبه، أما من قتل خطأ فديته مائة ناقة لا تزيد. ويخوفهم الرسول من الشيطان، وما يدعو إليه من الشرور فقد انتهت عبادته، ولكن لم تنته أطماعه في تضليل الناس عن الجادة. وأيضا فإنه انتهى عهد التلاعب في الدين، وفي الأشهر الحرم. ولا ينظم الرسول العلاقات بين الفرد، وجماعته الكبرى من الأمة فحسب، بل ينظمها أيضا بينه وبين

جماعته الصغرى من الأسرة، فيدعو إلى رعاية حقوق المرأة، وأن يعاملها الرجل برفق ورحمة، وقد رفع الإسلام من شأنها، ووضعها في المكان اللائق بها، فكفل لها حرية التصرف في مالها كما كفل لها حق اختيار زوجها. ويدعو الرسول إلى دعم الروابط بين أفراد الأمة، فالمسلمون جميعا إخوة متساوون في الحقوق والواجبات، لا غني ولا فقير ولا أسود ولا أبيض، ولا عربي ولا عجمي، فالجميع سواء، ولا فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح. ويشير إلى ما شرعه القرآن من نظام التوريث الجديد، ويقرر أن المورث لا يحق له أن يحرم ورثته من ماله، ويعطيه شيئا من الحرية، فيجعل له الحق أن يوصي لورثته ببعض ماله، ولكن على أن لا يزيد عن ثلثه، ويعرض لمشكلة كبرى من مشاكلهم، هي الأبناء غير الشرعيين الذين ولدوا في الجاهلية، فينسبهم إلى أصحاب الفراش، وكان من عادتهم أن ينسبوا إلى غير آبائهم، فقضى على تلك العادة السيئة حفظا للأنساب. وعلى شاكلة الخطبتين السالفتين كانت خطابة الرسول، فهي إما موعظة حسنة وترغيب وترهيب، وبيان لمسئولية المسلم الخلقية وأنه محاسب بين يدي ربه عن كل ما قدم في حياته، وهو يضح ذلك أمام عينيه ليصلحه، ويقوم نفسه ويسمو به في مراقي الكمال، وإما تشريع وتنظيم لمجتمعه، وما ينبغي أن يسود فيه من عوامل الخير ودواعيه، فالمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا،

فلا بغي ولا عدوان، بل تآزر وتعاون في قيام هذا المجتمع السليم. ومن المحقق أن الرسول كان في خطابته -كما كان في حديثه- لا يستعين بخلابة ولا تزويق، وقد برئت ألفاظه من الإغراب والتعقيد والاستكراه، وهي مع ذلك ألفاظ جزلة لها بهاء ورونق، تعمر بها القلوب والصدور، وترتاح إليها الأسماع والأفئدة، فتجتمع لها النفوس المتباينة الأهواء، وتساق إليها بأزمتها، إذ تلتحم بمعانيهم وما تدعو إليه من سبيل الرشاد، وهي -بلا ريب- مثل أعلى في البراعة والدقة، ونقصد دقة الحس ولطف الشعور، ولعل مما يدل على ذلك قوله: "لا يقولن أحدكم: خبثت نفسي، ولكن ليقل: لقست نفسي"١، فقد كره أن يضيف المسلم الخبث إلى نفسه. ونؤمن بأن هذه العناية بحسن منطقه لم تكن نتاج تحبير، أو تكفير إنما طانت نتاج ما خوله الله من نعمته في بيانه الرائع. وليس في خطبتي الرسول السالفتين سجع، ومن المؤكد أنه لم يكن يستخدم السجع في خطابته، بل كان ينفر منه بسبب استخدام الكهان له في الجاهلية على نحو ما مر بنا في الفصل السابق، ولذلك صد عنه كما صد عنه خلفاؤه. روى الطبري أن عمر بن الخطاب، سأل صحارا العبدي البليغ المشهور عن مكران الفارسية أثناء غزو المسلمين لها، فقال صحار: "يا أمير المؤمنين! أرض سهلها جبل، وماؤها وشل، وتمرها دقل، وعدوها بطل، وخيرها قليل، وشرها طويل،

والكثير بها قليل، إن كثر الجند بها جاعوا، إن قلوا بها ضاعوا، فقال عمر: أسجاع أنت أم مخبر؟ فقال صحار: بل مخبر:. وواضح أن عمر أنكر عليه استخدامه للسجع في كلامه. ويروي الرواة أن عبد الله بن الزبير تكلم بكلام مسجوع عند معاوية، فقال له: "تعلمت السجاعة عند الكبر"، وفي أخبار معاوية أنه كتب إلى رجل كتابا، فأملى على كتابه: "لهو أهون علي من ذرة، أو كلب من كلام الحرة"، ثم استدرك قائلا لكاتبه: "امح من كلاب الحرة، واكتب من الكلاب". فالخلفاء كانوا يكرهون السجع لنهي الرسول، صلوات الله عليه عنه. وليس معنى ذلك أنه انمحى محوا من خطابة هذا العهد،

ثالثاً- من خطب الرسول صلى الله عليه وسلم:

١- خطبته في عشيرته:

عندما نزل قوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ { الشعراء: الآية ٢١٤ } أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الصفا، فصعد عليه، ثم نادى الناس، فاجتمعوا عليه، فقال: "يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني كعب، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقيّ؟ قالوا نعم؛ ما جربنا عليك كذبا، قال: إني نذير لكم بيد يدي عذاب شديد". فما سمعنا بمثل هذا الإيجاز، ولا بمثل هذا الإعجاز، لقد جعل من خطبته قضية منطقية، ألزمهم بها الحجة، وانقطع بها ما كان يمكن أن يقوم من جدل.

فهذا قول المبلِّغ، الذي يحرص على ألا يقيم بينه وبين غايته حواجز من التكلف والصنعة، والغموض، وسبيل الرسول الذي يريد أن يصل إلى قلوب سامعيه، من أقرب سبيل، ويبلغ رسالته كأحسن ما يكون التبليغ. هذا قول رجل يتذرع بما عرف قومه من صدقه وأمانته للتأثير فيهم، وترغيبهم في دعوته، وحملهم على موافقته. وهذه الخطبة الأولى هي خطبته القصيرة التي ألقاها على ملأ من أهل مكة حين جهر بالدعوة بعد أن نزل قول الله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين)عن ابن العباس رضي الله عنه لما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف : يا صباحاه فقالوا : من هذا فاجتمعوا إليه فقال: (أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سطح هذا الجبل أكنتم مصدقيّ قالوا: ما جربنا عليك كذباً قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) قال أبو لهب : تباً لك أما جمعتنا إلا لهذا ثم قام فنزلت (تبت يدا أبي لهب وتب) ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه : (وأنذر عشيرتك الأقربين) قال يا

معشر قريش –أو كلمة نحوها–اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً)

تحليل النص

أولاً– استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم عبارة مألوفة عندهم توحي بإنذار خطير : (واصباحاه) ليودع في مسامع قومه أهمية ما يلقيه عليهم من قول يتضمن دعوتهم إلى الإيمان بالهدي الرباني الذي أوحاه الله إليه ولما كان صلى الله عليه وسلم يتوقع تكذيبهم ذكرهم بما أجمعوا عليه من الإقرار والشهادة بصدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم حتى كانوا ينادونه بالصادق الأمين وقال لهم :لو أخبرتكم بغارة عدو عليكم جاءكم بخيله أتصدقونني فقالوا له : ما عهدناك إلا صادقاً وعندما استنطقهم بهذه الشهادة التي لا يجوز لهم نقضها أخبرهم بأنه نذير لهم من ربه وأنه يحمل لهم رسالة الله وحذرهم من جحودها لأن العذاب الشديد سينزل بهم جزاء وفاقاً

ثانياً– ولما كان أجرأ الناس على الرجال أهله صرخ عمه الشقي أبو لهب في وجهه قائلاً :(تباً لك) أي هلاكاً لك ألهذا الأمر جمعتنا وبذلك يكون أبو لهب أول رافض لدعوة الله التي بلغها له أقرب الناس إليه وهو ابن أخيه الصادق الأمين ولكن سرعان ما جاء الرد

الرباني على أبي لهب وزوجته لعدائهما لله ورسوله فكان قرآنا يتلى على مدار الزمان ليكون عبرة للمعتبرين ما دامت الأيام والليالي (تبت يدا أبي لهب وتب).

ثالثاً- وفي نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهله: عمم فيه وخصص أقرب الناس إليه وأراد أن يقرر حقيقة هامة من حقائق رسالته وهي أن النجاة عند الله لا يحظى بها إلا من كان من أهل الإيمان والتقوى . وأن مكانته عند الله كرسول لا تسمح له أن يشفع لأحد ولو كان من أقرب الناس إليه إن لم يكن من الذين آمنوا بالله ورسوله فبوسعه أن يعطي أهله ما سألوه من أمور الدنيا التي يملكها وأما النجاة عند الله فهذا أمر لا يملكه وهو بأيديهم وعليهم أن يتحملوا هذه المسؤولية ولا فلاح لهم في الدنيا والآخرة إلا باعتناقهم دين الإسلام واتباع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

٢- أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه:

حمد الله وأثنى عليه ثم قال: "إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا، وإنها لجنة أبدا

أو لنار أبدا" (٢ السيرة الحلبية ١: ٢٧٢، والكامل لابن الأثير ٢: ٢٧) .

تعليق: إن الدين الإسلامي قد احتضن المثل والفضائل كلها وعانق حياة الناس من جميع أطرافها بحيث أصبح الدين والخلق توأمين لا ينفصلان، وإذا كان الدين والخلق على هذا النحو توأمين، فإن التقوى هي العروة الوثقى التي تربط بينهما، وهي الروح التي فيها يشتركان وإذا كان هذا هو جوهر الدين الجديد فإن من الطبيعي أن يؤكد الرسول عليه الصلاة والسلام على هذه المعاني التي تجمع بين الدين والأخلاق. وأن يقرن هذا بأوائل خطبته التي أكد فيها صدق رسالته ووثوق مصدرها ووجود الله سبحانه وتعالى، وحقائق الموت والبعث والثواب والعقاب، ولذلك جاءت هذه الخطبة معبرة عن هذه المعاني، وعن معني الإيمان به رسولا وبرسالته من الله، فكان ذلك نقطة البدء ومنطلقا لكل القيم والمثل في دعوته الجديدة، ولذلك تتفق معاني هذه الخطبة مع معاني السور المكية. وقد استخدم الرسول –صلى الله عليه وسلم– ألفاظا جزلة، وعبارات قوية، رائعة التقسيم، تسمع فيها صوت البشير النذير، يؤكد قوله بألوان من التأكيد، وصور أخاذة، متنوعة، متتابعة، وتآلف بين اللفظ والمعنى، في إيجاز هو الإعجاز، مع الوضوح والسلاسة، والعذوبة والطبيعة في اتخاذ الحلية اللفظية، فأنت تتأثر بها، ولا تكاد تلحظها؛ لأنها

الحلية التي تليق بالإنسان العظيم، فالجمل متساوية، والمقابلة فيها متعددة، ولكنها غير مصنوعة ولا متعمدة، وفيها السجع والازدواج اقتضاهما المقام، فازدان بهما الكلام، ثم هو يتكئ في استمالتهم إلى أسباب من المودة والثقة، قامت من قبل بينه وبينهم، وألوان من التحبب العاطفي أثرت عنه، يفتح بها مغاليق قلوبهم. فهذه الصفات الكلامية ليست إلا للملامح البارزة في شخصية الرسول، القادر على تبليغ رسالته، قوية واضحة مؤثرة طبيعية، في إطار من الرفق بقومه، والمودة لهم، والثقة التي وجبت بينهم، وقد قدم لهذه الخطبة الوجيزة بكلمات كأحسن ما تكون المقدمات، صلة بالموضوع، وضمانا لقبوله، وإن شئت فقل: إنه وضع أساس الاقتناع بدعوته تلك الكلمات القلائل. ولن تجد قولا كهذا يدل على قائله، وينتسب إلى صاحبه، ولو أنك عرضته على عالم باللسان العربي، وبشيء من تاريخ الرسول –صلى الله عليه وسلم– فسألته: من تظن قائل هذا؟ لأجابك دون تردد: هذا دون ريب قول خاتم المرسلين. وعلى يدي هذه المواهب النبوية، وباهر الآيات الكتابية تخرج البلغاء، وعنهما أخذت القوانين والأصول البيانية والبلاغية، وفي مثل هذه الخطبة القصيرة تتمثل بعض الأسس الخطابية الهامة التي ينادي بها المحدثون، ويذكرون غناءها في عالم الخطابة، وأثرها في نجاحها، "ويدخل في نطاق العلاقة بين الخطيب ومستمعيه مدى

حكمته في كيف يتسلل إلى العواطف والدوافع التي لها أكبر الأثر فيهم؛ فيصل بذلك إلى نطاق أفكارهم، وأن يقدر مستوياتهم وذكاءهم، وأن يضرب على الوتر الحساس، الذي يمس ما يتعاطفون به، ويستجيبون له".

٣- خطبته في أول جمعة جمعها بالمدينة:

"الحمد الله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد(تاريخ الطبري جـ٢ ص ٢٥٥.)، ومن يعصمها فقد غوى وفرط، وضل ضلالا بعيدا، وأوصيكم بتقوى الله؛ فإنه خير ما أوصى به المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكرا، وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه، عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله، يكن له ذكرا في عاجل أمره، وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا،

ويحذركم الله نفسه، والله رءوف بالعباد، والذي صدق قوله، وأنجز وعده لا خلف لذلك؛ فإنه يقول عز وجل: ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ { ق : الآية ٢٩ } ، فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله، في السر والعلانية؛ فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجرا، ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما، وإن تقوى الله يُوقي مَقْتَه، ويوفي عقوبته، ويوقي سخطه، وإن تقوى الله يبيض الوجوه، ويرضى الرب، ويرفع الدرجة، خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله؛ ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين؛ ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، ولا قوة إلا بالله، فأكثروا ذكر الله، وأعملوا لما بعد اليوم؛ فإن من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي على الناس، ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، والله أكبر ولا قوة إلا بالله العظيم"١. والخطبة موعظة رائعة، يستهلها الرسول الكريم بتقرير وحدانية الله وأنه أتم نعمته على الناس بإرساله كي يخرجهم مما هم فيه من غواية وضلالة ويدخلوا في رعايته الإلهية، فلا يعملوا عملا بدونه. ليتركوا إذن الوراثة الضالة والوسط المشفى على

الهلاك، ويجتمعوا على هدى الله وتقواه، وليستشعروه في السر والعلانية؛ فإنه يعلم خائنة الأعين وما يستكن في الصدور، وليقدموا من خشيته وطاعته ما يكفرون به عن سيئاتهم وتبيض به وجوههم يوم الحساب حتى يدخلوا في جناته. إنه يوم ما بعده مستعتب، فإما الجنة وشفيعها العمل الصالح، وإما النار وبئس القرار. ويدفعهم دفعا إلى الجهاد في سبيل الله ونشر دعوة الحق والخير، فقد اجتباهم واختارهم؛ ليضطلعوا بأمانة الرسالة المحمدية، ولينشروها في أطراف الأرص، والرسول في كل ذلك يستوحي القرآن وآياته، وهي تقف منارات في موعظته، يستمد من إشعاعاتها ما يضيء به كلامه، بل إن وراء هذه المنارات منارات أخرى من هدي القرآن، بحيث نستطيع أن نرد كل موعظته إلى ينابيع الضوء التي تفجرت منها؛ إذ كانت تسيل في نفسه، بل كانت تشع بمعاني نورها، كما يشع نور الشمس في السماء.

٤- خطبة له عليه الصلاة والسلام:

"أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، فإن العبد بين مخافتين، أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه، وأجل باقٍ لا يدري ما الله قاضٍ فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات، فو الذي نفس محمد بيده: ما بعد الموت من

مستعتب٢، ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار. ("تهذيب الكامل ١: ٥، إعجاز القرآن ١١٠، البيان والتبين ١: ١٦٥، عيون الأخبار م٢، ص٢١٣، وغرر الخصائص الواضحة ١٥٠") .

تعليق : يبين الرسول –صلى الله عليه وسلم– معالم الدين وحدوده، وهي أيضا معالم الأخلاق وحدود الآداب، وعلى ضوئها تمضي معاملات العبد المؤمن، والله يقضي في كل ذلك ويحكم، والجنة والنار مرة أخرى هما النهاية التي ينتهي بها هذا الطريق بما فيه من معالم

٥– خطبة له عليه الصلاة والسلام:

"إن الحمد لله أحمده وأستعينه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إن أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زينه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إنه أصدق الحديث وأبلغه أحبوا من أحب الله، وأحبوا الله من كل قلوبكم، ولا تملوا كلام الله وذكره، ولا تقسو عليه قلوبكم، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، اتقوا الله حق تقاته، وصدقوا صالح ما تعملون بأفواهكم، وتحابوا بروح الله بينكم، والسلام عليكم ورحمة الله". ("إعجاز القرآن ص١٠٠".)

تعليق : يؤكد الرسول –صلى الله عليه وسلم– في خطبته صلة المؤمن بالقرآن الكريم وحفظه والمحافظة عليه، والعمل به، والاهتداء بخلقه، وبذلك تقترن هذه المعاني الخلقية جميعها بكتاب الله، ويتحلى بها من زينه الله في قلبه، ورده في حديثه، وأكثر من ذكره، وشغل به نفسه بعيدًا عن ترهات الناس وثرثرة ألسنتهم، فكتاب الله إذن ينبوع القيم ودستور الفضائل، تنبعث منه التقوى في القلوب، تعلق بمحبة الله، وترتبط بكل المحبين لله، وتكون النتيجة المنطقية لهذا محبة الإنسان لأخيه الإنسان، فتصلح بذلك حياة المجتمع.

٦– خطبته في حجة الوداع:

"الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير، أما بعد: أيها الناس، اسمعوا مني أبين لكم؛ فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا. أيها الناس: إن دماءكم حرام عليكم، إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد! فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن

ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبدا به ربا عمى العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد قود -القصاص -، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير، فمن زاد، فهو من أهل الجاهلية. أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم، ٣ أيها الناس: إنما النسيء٤ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما، ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله، يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب الذي يبن جمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!. أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أُذِنَ لكم أنت تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوانٍ لا يملكن لأنفسهن شيئا، أخذتموهن

بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيرا، ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد!. أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئ مال إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد! فلا ترجعنَّ بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض؛ فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده، كتاب الله، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!. أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! قالوا نعم. قال: فليبلغ الشاهد الغائب.. أيها الناس: إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لوارث وصية، ولا يجوز وصية في أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل، والسلام عليكم ورحمة الله.

٣ +- ٤ ملاحظة : في رواية الكامل لابن الأثير: "إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه يطاع فيما سوى ذلك، وقد رضي بما تحقرون من أعمالكم".

٤ - أي تأخير حرمة شهر إلى آخر، وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه، وحرموا مكانه شهرا

آخر فيحلون المحرم، ويحرمون صفرًا، فإن احتاجوا أحلوه وحرموا ربيعًا الأول، وهكذا حتى استدار التحريم على الشهور السنة كلها، وكانوا يعتبرون في التحريم مجرد العدد لا خصوصية الأشهر المعلومة، وأول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكناني، كان يقوم على جمل في الموسم فينادي: إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه، ثم ينادي في القبائل: إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم، فحرموه. زيادة في الكفر، أي كفر آخر ضموه إلى كفرهم. ليواطئوا: أي يوافقوا عدة الأشهر الأربعة المحرمة، وكانوا ربما زادوا في عدد الشهور بأن يجعلوها ثلاثة عشر أو أربعة عشر؛ ليتسع لهم الوقف، ويجعلوا أربعة أشهر من السنة حراما أيضا، ولذا نص على العدد المبين في الكتاب والسنة، وكان وقت حجهم يختلف من أجل ذلك، وكان في السنة التاسعة التي حج فيها أبو بكر بالناس في ذي القعدة، وفي حجة الوداع في ذي الحجة، وهو الذي كان على عهد إبراهيم الخليل ومن قبله من الأنبياء في تحريم الأشهر الحرام، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: "إن الزمان قد استدار ... إلخ" – (تفسير الألوسي ج٣ ص ٣٠٥. "البيان والتبيين ٢: ١٥، العقد الفريد ٢: ١٣، إعجاز القرآن ١١١، شرح ابن أبي الحديد ١: ٤١، تاريخ الطبري ٣: ١٦٨، الكامل لابن الأثير ٢: ١٤٦، سيرة ابن هشام ٢: ٣٩٠") . وواضح أن الرسول –صلى الله عليه وسلم–

يلم بالحمد لله والشهادة؛ لينتقل إلى شرح الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ { الحجرات : الآية ١٣ } ، ويصوغها بأسلوبه؛ ذلك أن الحسب والنسب الجاهليين ومظهر القوة الذى ارتدت إليه القيم الجاهلية لم يعد أساس الرفعة أو الوضاعة، وإنما يرجع الأمر كله إلى تقوى الله، باعتباره دعامة الفضيلة وميزان التفاضل بين الناس. وفي كل ذلك تكمن الثورة الروحية الكبرى التي جاء بها الإسلام، فانتظمت علاقة الإنسان بالله في صورة التقوى، وبصورة التقوى نفسها تنتظم أيضا علاقة الإنسان بأخيه الإنسان على نحو فريد. وعلى ضوء هذا تتعدد صور التقوى ممثلة في مختلف الأعمال الصالحة. ثم انتقل الرسول –صلى الله عليه وسلم– ليبين طائفة من التشريعات الإسلامية التي أقامها الدين الحنيف حدودا بين حياة العرب في الجاهلية وحياتهم في الإسلام، فقد كانوا مفككين متنافرين يتحاربون دائما؛ طلبا للأخذ بالثأر ونهبا للأموال. وجمعهم الإسلام تحت لوائه في جماعة كبرى متآخية متناصرة لا يبغي بعضهما على بعضه، ولكي يقضي على كل سبب للحرب بينهم رد دم القتيل إلى الدولة فهي التي تعاقب عليه، ولكي يستأصل هذا الداء دعا إلى التنازل عن حق الأخذ بالثأر القديم، وحزم النهب والسلب تحريما قاطعا مشدد فيه العقوبة. والرسول –

صلى الله عليه وسلم- يبين في الخطبة أوامر الإسلام ونواهيه بإعلان أن دماء المسلمين وأموالهم حرام، وأن كل من كانت عنده أمانة أن يردها على صاحبها، وأن على كل مسلم أن يرعى أخاه في ماله، فلا يأخذ منه شيئا إلا بالحق، ومن ثَمَّ حرم الربا، وبدأ بعشيرته وتاجرها الموسر العباس عبد المطلب فأسقط عن رقاب المدينين له رباه. وعلى نحو ما أسقط الربا أسقط دماء الجاهلية، فليس لمسلم أن يثأر لقتيل له، وبدأ بعشيرته فأسقط دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ولم يُبقِ من مآثر الجاهلية شيئا سوى خدمة الكعبة وسقاية الحجيج، وأوجب في قتل العمد القود، ولكن الدولة هي التي تقوم به، وبذلك قضى الإسلام على حروبهم الداخلية، وقد جعل في القتل شبه العمد مائة بعير؛ كل ذلك ليحفظ للجماعة وحدتها ويسود بين أفرادها السلام والوئام. ويحذر الرسول -صلى الله عليه وسلم- من الشيطان وغواياته، محرما للتلاعب بالأشهر الحرم، واضعا تقويما قمريا يتآلف من أثني عشر شهرا، منها أربعة حرم: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب. ويرفع من شأن المرأة ومعني علاقاتها بزوجها، فيجعل لها حقوقا وعليها واجبات، وفي الطرفين جميعا يحفظ لها كرامتها كما يحفظ لزوجها نفس الكرامة، داعيا إلى التعاطف بينهما والتراحم والتعامل برفق وإحسان. ويعود إلى العلاقة بين الفرد وجماعته الكبرى من الأمة،

فيقرر أن المؤمنين إخوة، لكل منهم على صاحبه ما للأخ على أخيه من التآزر والتعاون والتحاب، فلا بطش ولا ظلم ولا نهب، ولا حرب ولا سفك للدماء. وإنه لعهد من نقضه عاد كافرًا آثما قلبه. لقد انتهى عهد الحياة القبلية وكل ما اتصل بها من تنابذ وتفاخر، فالناس جميعا لآدم، ولا عربي عدناني ولا عربي قحطاني، بل لا عربي ولا أعجمي، فقد وضعت موازين جديدة لحياة العرب، فلم يعد التفاضل بالنسب والحسب، إنما أصبح بالتقوى فهي معيار التفاضل، ويلفت الرسول سامعيه إلى ما قرره القرآن الميراث وأنصبته، وأن للمورث أن يوصي بالثلث من ماله، ويرسي قاعدة مهمة في شرعية الأبناء، وخاصة هؤلاء الذين تلدهم العواهر، فينسبهم إلى أصحاب الفراش، وكانوا ينسبونهم إلى غير آبائهم، وقد لا ينسبوهم أبدا، فحرم ذلك تحريما باتًّا، وبذلك قضى عليه نبالة النسب من جهة الخؤولة قضاء مبرما. وعلى هذا النحو كان الرسول صلوات الله عليه يبين في خَطابته حدود الحياة الإسلامية وما ينبغي أن يأخذ به المسلم نفسه في علاقاته الكبرى مع أفراد أمته وعلاقاته الصغرى مع أسرته. فإن ترك ذلك فإلي وعظ المسلمين وما ينبغي أن يأخذوا أنفسهم به، في سلوكهم حتى تزكو نفوسهم، وفي عبادتهم لربهم وتقواه حق التقوى حتى لا يزيغوا ولا ينحرفوا عن المحجة، بل يتدرجون في مراقي الكمال الإنساني. وهذه الخطبة وسابقتها

تصوران في دقة حسن منطق الرسول في خطابته، وأنه لم يكن يستعين فيها بسجع ولا بلفظ غريب، فقد كان يكره اللونين جميعا من الكلام لما يدلان عليه من التكلف، وقد برأه الله منه؛ إذ يقول في كتابه العزيز: قل يا محمد: "ما أنا من المتكلفين". والذي لا شك فيه أنه كان يبلغ بعفوه وقوى فطرته ما تنقطع دونه رقاب البلغاء، وقد وصف الجاحظ بلاغته في خطابته أدق وصف، فقال إنه: جانب أصحاب التقعيب واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، لم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالترفق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته. لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقسم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة ... ولم يسمع الناس بكلام قد أعم نفعا ولا أقصد لفظا ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من

كلامه -صلى الله عليه وسلم- ونضيف إلى الجاحظ أنه عليه السلام هو الذي فتق معاني هذه الخطابة الدينية التي لم يعرفها العرب قبله، فهو الذي رسمها، وفجر ينابيعها بحيث أصبحت مادة للخطباء من بعده، وكأنما احتشد الكلم بأزمته إليه؛ ليختار منه أفصحه وأسلسه وأبينه في الدلالة، يسعفه في ذلك ذوق مرهف وحسن دقيق نتبينهما فيما روي عنه من قوله: "لا يقولن أحدكم خبثت نفسي، ولكن ليقل: لقست نفسي" كراهية أن يضيف المسلم الطاهر إلى نفسه الخبث، مما يدل على أنه لم يكن ينطق إلا باللفظ المختار البريء من كل ما يستكره، اللفظ الذي يحبب إلى النفوس؛ لحلاوته وعذوبته وصفائه ونقائه.

٧- خطبته يوم فتح مكة:

وقف على باب الكعبة ثم قال: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصره عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى، فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت، وساقية الحاج، ألا وقتل الخطأ مثل العمد بالسوط والعصا، فيهما الدية مغلظة، منها أربعون خلف في بطونها أولادها، يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها ٤ بالآباء، الناس من آدم، وآدم خلق من تراب، ثم تلا: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ

أَتْقَاكُمْ ﴾ ... { الحجرات : الآية ١٣ } "يا معشر قريش "أو يأهل مكة" ما ترون أني فاعل بكم؟ " قالوا. خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء. ("تاريخ الطبري ٣: ١٢، وإعجاز القرآن ص ١١٢، والكامل لابن الأثير ٢: ١٢١ وسيرة ابن هشام ٢: ٢٧٣".) في هذه الخطبة يؤكد الرسول –صلى الله عليه وسلم– إسقاط الإسلام لقيم الجاهلية التي تتنافى مع المبدأ الأساسي فيه، وهو مبدأ الأخوة، فقد حرم الله التفاخر بالمآثر والتعظم بالآباء والأخذ بالثأر، وأحل محل ذلك كله أخوة طيبة ومساواة كاملة بين الناس، فالناس جميعا من آدم متساوون في الخلق مرتبطون بالأخوة، ولم يكن يخفى على كفار قريش خلق محمد الأمين وروح الأخوة النقية التي تحلى بها، وبالرغم من كل ما فعلوه من قبل لم يتوقعوا منه نعمة أو عقابا وقد مكنه الله منهم، وإن كانوا هم الذي رفضوا أخوته، ولم يستجيبوا لهذه الروح، فأذوه، وأخرجوه من داره، وأهدروا دمه، ولكن شيئا من هذه النقمة لم يقع، فقد ضرب الرسول الكريم مثلا رائعا عبرت عنه أروع كلمات العفو عند المقدرة في قوله: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"، ولم يكن هذا ليكون إلا من أخ كريم وابن أخ كريم كرَّس حياته من أجل سنة ينطبق منها الفعل على القول، وما كان له ليحيد عن ذلك في كل موقف من مواقفه وتحت كل الظروف.

-خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة:

خطب النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة عدة خطب وردت بمرويات صحيحة

أ- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال: (يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالناس رجلان رجل بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من التراب قال الله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ... { الحجرات : الآية ١٣ } ، ثم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته(لا تثريب عليكم اليوم) اذهبوا فأنتم الطلقاء

ب - وخطب صلى الله عليه وسلم من الغد من يوم الفتح فقال: (إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجراً فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له إن أذن لرسوله

ولم يأذن لكم وإنما أذن له فيه ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالمس وليبلغ الشاهد الغائب)

ج- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم الفتح بمكة فكبر ثلاثاً ثم قال(لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية تذكر وتدعى من دم أو مال تحت قدمي إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت ثم قال ألا إن دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مئة من الإبل منها أربعون في بطنها أولادها)

٣ - خطبة حجة الوداع :

ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عرفة خطبة جامعة في جموع المسلمين الذين احتشدوا حوله في الموقف هذا نصها (أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا وأن كل شيء من أمر الجاهلي تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن عمي ربيعة بن الحارث وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله أيها الناس إن الشيطان قد يئس من أن يبعد بأرضكم

هذه أبداً ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم فاحذوره على دينكم أيها الناس إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحلو ما أحل الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان واتقوا الله في النساء فإنكم إنما أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله إن لكم عليهن حقاً ولهم عليكم حقاً لكم عليهم أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف فاعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به :كتاب الله وسنة رسوله : (يا أيها الناس اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدّع ما أقام فيكم كتاب الله تعالى ا سمعوا قولي واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفسه منه فلا تظلمن أنفسكم اللهم هل بلغت وستلقون ربكم فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون قالوا :نشهد

أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس :اللهم اشهد (ثلاث مرات)

تحليل الخطبتين:

حوت كلا من خطب الفتح وخطبة حجة الوداع جملة من الأفكار ومن ذلك

أولاً: المساواة الإنسانية : حيث يفاضل الناس بالتقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وإلغاء المقاييس الجاهلية في التفاخر في الأنساب والأحساب

ثانياً: إصدار العفو العام عن مجرمي الأمس : الذين حاربوا الله ورسوله أكثر من عشرين عاماً وبذلك فتح القلوب مع فتح مكة

ثالثاً: إعلان التأكيد على حرمة مكة المكرمة :فلا يسفك فيها دم ولا يقطع فيها شجر ولا ينفر فيها صيد فهي أمان لكل الخلائق فيها وأحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة من النهار وعادت حرمتها إلى سابق عهدها وهذا بيان للناس على مدار الزمان

رابعاً: إلغاء المآثر الجاهلية السلبية :

خامساً: تحديد دية قتل الخطأ وشبه العمد والقصاص: في قتل العمد أو العفو أو الدية

سادساً: إعلان حرمة الدماء بوجه عام :

سابعاً: أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً بالنساء: وأكد في كلمة مختصرة جامعة القضاء على الظلم البائن للمرأة في الجاهلية وتثبيت ضمانات حقوقها وكرامتها الإنسانية التي تضمنها أحكام الشريعة الإسلامية

ثامناً: أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جميع المشكلات التي تعترض حياتهم لا تكون إلا من مصدرين: كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والاعتصام بهما ضمان من كل شقاء وضلال وهذا على مر الدهور وإن صلاحية التمسك بهذين الدليلين ليس وفقاً على عصر دون آخر وأنهما الهادي للمسلمين في أي تطور حضاري يطرأ في المستقبل إلى يوم القيامة

تاسعاً : أوضح صلى الله عليه وسلم في هذه الخطبة ما ينبغي أن تكون عليه علاقة الحاكم أو الخليفة أو الرئيس مع الرعية: أو الشعب إنها علاقة السمع والطاعة من الشعب للحاكم مهما كان من نسبه وشأنه ومظهره ما دام يحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا حاد عنهما فلا سمع ولا طاعة فولاء الشعب للحاكم و اتباعه لا يكون إلا من خلال سيره على نهج كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولو كان الحاكم عبداً حبشياً مجدعاً ولا امتياز للحاكم على شعبه والحاكم على شعبه والحاكم في حقيقة أمره أمين من قبل المسلمين على تنفيذ حكم الله تعالى فلا

حصانة في الإسلام لأحد ولا امتيازات لطبقة على أخرى في شؤون الحكم والقانون والقضاء

عاشراً: أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ختام خطبة لحجة الوداع أنه أخرج مسؤولية الدعوة وتبليغها من عنقه : فها هو الإسلام قد انتشر وها هي ضلالات الجاهلية والشرك قد تبددت ويريد صلى الله علية وسلم أن يطمئن إلى شهادة أمته بذلك أمام الله تعالى يوم القيامة عندما يسألون :فأعقب توصياته هذه لهم بأن نادى فيهم قائلاً :إنكم ستسألون عني فما أنتم قائلون وارتفعت الأصوات من حوله تصرخ نشهد أنك قد بلغت الأمانة وأديت الرسالة ونصحت الأمة فجزاك الله عنا خير الجزاء

٨- خطبة له يوم أحد:

قام عليه الصلاة والسلام فخطب الناس فقال: "أيها الناس أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه، من العمل بطاعته، والتناهي عن محارمه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه، ثم وطَّن نفسه على الصبر واليقين، والجد والنشاط؛ فإن جهاد العدو شديد كربه، قليل من يصبر عليه إلا من عزم له على رشده، إن الله مع من أطاعه، وإن الشيطان مع من عصاه، فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي أمركم به؛ فإني حريص على رشدكم. إن الاختلاف والتنازع والتثبيط

من أمر العجز والضعف، وهو ما لا يحبه الله، ولا يعطي عليه النصر. أيها الناس، إنه قذف في قلبي أن من كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ما عند الله غفر له ذنبه، ومن صلى على محمد وملائكته عشرا، ومن أحسن وقع أجره على الله في عاجل دنياه، أو في آجل آخرته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فعليه الجمعة يوم الجمعة، إلا صبيا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا١، ومن استغنى عنها استغنى الله عنه، والله غني حميد.

ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله إلا وقد أمرتكم به، ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه، وإنه قد نفث الروح الأمين في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي أقصى رزقها لا ينقص منه شيء وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله ربكم، وأجملوا في طلب الرزق، ولا يحملنكم استبطاؤه على أن تطلبوه بمعصية ربكم؛ فإنه لا يُقدَر على ما عنده إلا بطاعته، قد بين لكم الحلال والحرام، غير أن بينها شبهًا من الأمر لم يعملها كثير من الناس إلا من عصم، فمن تركها حفظ عرضه ودينه، ومن وقع فيها كان كالراعي إلى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه، وليس ملك إلا وله حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، والمؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد، إذا اشتكى تداعي إليه سائر جسده، والسلام عليكم".("شرح بن الحديد ٣٢: ٣٦٥".) .

٩- خطبته بالخيف:

وخطب بالخيف من منى فقال: "نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن: إخلاص العلم لله، والنصيحة لأولى الأمر، ولزوم الجماعة، إن دعوتهم تكون من ورائه، ومن كان همه الآخرة جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كان همه الدنيا فرق الله أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له". ("إعجاز القرآن ص١١٢") .

١٠- خطبة له عليه الصلاة والسلام:

من خطبه أيضا أنه خطب بعد العصر فقال: "ألا إن الدنيا خضرة حلوة، ألا وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، ألا لا يمنعن رجلا مخافة الناس أن يقول الحق إذا علمه. ولم يزل يخطب حتى لم تبق من الشمس إلا حمرة على أطراف السعف فقال: إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى".("إعجاز القرآن ص١١٣") .

١١- خطبة له عليه الصلاة والسلام:

ألا١ أيها الناس، توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا الأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم

له، وكثرة الصدقة في السر والعلانية، ترزقوا وتؤجروا وتنصروا. واعلموا أن الله -عز وجل- قد افترض عليكم الجمعة، في مقامي هذا، في عامي هذا، في شهري هذا، إلى يوم القيامة، حياتي ومن بعد موتي، فمن تركها وله إمام فلا جمع الله له شمله، ولا بارك له في أمره، ألا ولا حج له، ألا ولا صوم له، ألا ولا صدقة له، ألا ولا بر له، ألا ولا يؤم أعرابي مهاجرًا، ألا ولا يوم فاجر مؤمنا، إلا أنه يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطة". ("إعجاز القرآن ص١١٠") .

١٢- خطبة له عليه الصلاة والسلام:

"أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب، وكأن الذي نشيع من الأموات سفر، عما قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجداثم، ونأكل من تراثهم، كأنا مخلدون بعدهم، ونسينا كل واعظة، وأمنا كل جائحة، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه من غير معصية، وجالس أهل الفقه والحكمة، وخالط أهل الذل والمسكنة، طوبى لمن زكت وحسنت خليقته، وطابت سريرته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة، ولم تستهوه البدعة".("صبح الأعشى ١: ٢١٣".) .

١٣- خطبته في الاستسقاء:

روي أن أعرابيا جاء إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم وآله- في عام جدب، فقال: أتيناك يا رسول الله، ولم يبق لنا صبيٌّ يرتضع، ولا شارف تجتر، ثم أنشده:

أتـيـنــاك والـعــذراء يـدمــي لـبانـها ...

وقـد شـغـلت أم الرضيع عن الطفل

وألـقــى بـكـفـيــه الـفتى لاستكانة ...

مـن الـجـوع حـتى ما يمرُّ ولا يحلي

ولا شـيء مـمـا يـأكل الناس عندنا ...

سوى الحنظل العاميّ والعلهز الفسلِ

ولـيـس لـنــا إلا إلـيــك فــرارنــا ...

وأيـن فـرار الـنـاس إلا إلـى الرُّسْلِ؟

فقام النبي -صلى الله عليه وسلم- يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: "اللهم اسقنا غيثا مغيثا، مريئا مريعا ، سحا سجالا ، غدقا ، طبقا ، ديما دررا ، تحيي به الأرض، وتنبت به الزرع، وتدر به الضرع، واجعله سقيا نافعة، عاجلا غير رائب" فو الله ما رد الرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وآله يديه إلى نحره، حتى ألقت السماء أرواقها، وجاء الناس يضجون: الغرق الغرق يا رسول الله، فقال: "اللهم حوالينا ولا علينا"، فانجاب السحاب عن المدينة، حتى استصدار حولها كالإكليل، فضحك رسول

الله –صلى الله عليه وسلم– حتى بدت نواجذه (. "شرح ابن أبي الحديد م٣ ص ٣١٦") .

١٤– خطبته في مرض موته:

عن الفضل بن عباس قال: جاءني جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت إليه فوجدته موعوكا قد صبّ رأسه، فقال: خذ بيدي يا فضل، فأخذت بيده حتى جلس على المنبر، ثم قال: ناد في الناس، فاجتمعوا إليه، فقال: "أما بعد: أيها الناس فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وإنه قد دنا مني خفوق من بين أظهركم، فمن كنت جلدت له ظهرا، فهذا ظهري فليستقدَّ منه، ومن كنت شتمت له عرضا، فهذا عرضي فليستقدَّ منه.

تعليق على خطب النبي –صلى الله عليه وسلم:

١– كان –صلى الله عليه وسلم– يقول في حمده لله والثناء عليه: "إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله".

٣– كان –صلى الله عليه وسلم– يقتبس من القرآن الكريم في خطبة فيقول:

﴿ وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : الآية ١ }. ويقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.{ آل عمران : الآية ١٠٢ }

٤- وكان -صلى الله عليه وسلم- يعظ في خطبه ويحذر بالقرآن وخصوصا سورة "ق" لما حوته من ذكر البعث والموت، والمواعظ الشديدة، والزواجر الأكيدة.

٥- وكان -صلى الله عليه وسلم- يخطب في الجمعة، قائما، ثم يقعد قعدة لا يتكلم ثم يقوم فيخطب خطبة أخرى.

٦- وكانت خطبته -صلى الله عليه وسلم- مقتصدة قصيرة.

٧- وكان -صلى الله عليه وسلم- إذا دعا في خطبته لم يرفع يديه.

٨- وكان -صلى الله عليه وسلم- إذا دعا في خطبته لا يخص نفسه بالدعا

٩- وكان المؤذن لا يؤذن إلا بعد جلوس النبي -صلى الله عليه وسلم- على المنبر.

١٠- وكان -صلى الله عليه وسلم- إذا سمع النداء وهو جالس على المنبر يردد ما يقوله المؤذن.

١١- وكان -صلى الله عليه وسلم- إذا انتهى المؤذن من النداء استقبل الناس بوجهه ليخطبهم، واستقبله الناس ليسمعوه.

الباب الثاني عشر
الفصل الثاني
المثل والحكمة في الحديث النبوي الشريف

أ- ماهية المثل في الحديث الشريف:

عبر الحديث النبوي الشريف عن كثير من قضايا الإنسان من خلال وسائل لغوية متعددة من بينها (المثل) وكما أن المثل حمل الكثير من القضايا الحياتية للإنسان من خلال اختزاله لمواقف انسانية متباينة كذلك عبر المثل النبوي عن الكثير من القضايا الإنسانية والمتصفح لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم يكتشف أن النبي أوضح الكثير من قضايا عصره والعصور اللاحقة من خلال المثل كقوله (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) وكقوله (مثل الصوات الخمس كمثل نهر جار ...) ، يعد التعبير بالمثل من أهم وسائل التعبير وطرقه ذلك أن العقل البشري يستطيع أن يتعلم

الدروس والعبر ويفهم مغازي الحياة من خلال هذه الأمثال ، فالأمثال طريقة فذة في خلق يعد واضحاً للتعبير عن معاني وأحاسيس يعيشها الإنسان وينقلها للآخرين حتى يستفيدوا من دروس الحياة ولقد استخدم القرآن الكريم أسلوب المثل في توصيل معاني الإيمان والكفر والجنة والنار والفوز والخيبة للناس حتى يتحولوا إلى معسكر الإيمان والفوز بالجنة والنجاة من النار والخروج من معسكر الكفر . والمثل هو نوع من مفردات الإقناع بالحوار الداخلي للعبارة وكذلك جاء الحديث النبوي الشريف بالإقناع بالمثلية واستخدام الأمثال من أجل توصيل المعاني الإيمانية التي تضمن لهم النجاح والفوز بالدارَيْن وإنك لو أردت أن تستقصي الأمثال النبوية لعثرت على المئات منها في كتب الصحاح لما في هذه الأمثال من قدرة على التعبير عن قضايا الحياة والكون والإنسان فقوله صلى الله عليه وسلم(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) وقوله صلى الله عليه وسلم (مثل الجليس الحسن والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يخديك أو تبتاع منه ونافخ الكير .....) يدلل على قدرة المثل على التعبير عن معنى الوحدة التي تؤدي إلى القوة والمنعة وتظافر جهود أفراد المجتمع الإسلامي الموحد في دفع ضعف هذا المجتمع والذي يمثله

المرض فإذا ما ضعف عضو من الأمة فعلى الأعضاء أن يكونوا السند له حتى يتعافى وهذا المثل عبر عن فكرة (الوحدة سبيل القوة والمنعة)وعدم تمكن الأعداء من بعض أجزاء المسلمين كما يتمكن المرض من الجسد وكذلك مثلية صديقي الحسن والسوء كبائع المسك والحداد ولو نظرت إلى الحدث التالي (الناس إبل مائة لا تجد فيهم راحلة) وحديث (المؤمن كالنخلة٠٠٠٠) لوجدت أن الأول قد عبر عن قضية مهمة من قضايا المجتمع الإسلامي وخاصة تنصل أفراده من تحمل أعباء المسؤولية عن الجماعة الإسلامية التي يشترك أفرادها كل واحد منهم من أجل تكملة رحلة الحياة الإنسانية نحو الآخرة فإذا ما تنصل كل أفراد المجتمع الإنساني ولم يبقَ واحداً بالمئة ممن يتعاون مع غيره فإن مركبة المسيرة الإسلامية ستتعثر وتضعف ويتحكم بها أعداؤها

ب- من أمثال النبي صلى الله عليه وسلم:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ((إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ ".)) [أخرجه البخاري ومسلم وابن ماجة وأحمد ومالك] عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ قَالَ: ((الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَرِيحُهَا طَيِّبٌ وَالْمُؤْمِنُ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْمَلُ بِهِ كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلَا رِيحَ لَهَا وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَالْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ أَوْ خَبِيثٌ وَرِيحُهَا مُرٌّ ".)) [البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجة وأحمد والدارمي. عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ".)) [أخرجه البخاري ومسلم وأحمد] ورد في بعض الأحاديث: ((أن زوج النبي صلى الله عليه وسلم، اشتكت شدة تعبها في أعمال البيت، وطلبت منه خادمة، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم والله لا أوثرك على فقراء المسلمين)) ".)) عن ابن عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَلَا يَتَحَاتُّ فَقَالَ الْقَوْمُ هِيَ شَجَرَةُ كَذَا هِيَ شَجَرَةُ كَذَا فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ وَأَنَا غُلَامٌ شَابٌّ فَاسْتَحْيَيْتُ فَقَالَ هِيَ النَّخْلَةُ.. وعَنِ ابْنِ عُمَرَ مِثْلَهُ وَزَادَ فَحَدَّثْتُ بِهِ عُمَرَ فَقَالَ لَوْ كُنْتَ قُلْتَهَا لَكَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ

مِنْ كَذَا وَكَذَا ".)) : ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ)) .. وعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيها".)) [أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وأحمد".)) " عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل ".عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَ ضِي اللَّه عَنْه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((قَالَ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ يَفِيءُ وَرَقُهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكَفِّئُهَا فَإِذَا سَكَنَتِ اعْتَدَلَتْ (يعني نبتة بسيطة، تأتيها الريح فتميل معها، فإذا وقفت الريح اعتدلت) وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكَفَّأُ بِالْبَلَاءِ وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ ".)) [أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد] وعَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ (النذير العريان مصطلح عربي يعني أنني صادق في ما أخبركم به) فَالنَّجَاءَ فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا (أي ساروا

ليلا). فانطلقوا على مهلهم فَنَجَوْا) وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ".)) [أخرجه البخاري ومسلم وأحمد]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ وَمَثَلُ الْمُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً ثُمَّ كَبْشًا ثُمَّ دَجَاجَةً ثُمَّ بَيْضَةً فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طَوَوْا صُحُفَهُمْ وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ ".)) [أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد ومالك . وعن عبد الله بن قيس رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكِيرِ الْحَدَّادِ لَا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً ".)) [رواه البخاري ومسلم وأحمد] ((" لا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ ".)) [أخرجه الترمذي وأبو داود وأحمد] وعَنِ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِي اللَّه عَنْهمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ

فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا ".)) [أخرجه البخاري والترمذي وأحمد] ، قال عليه الصلاة والسلام: ((" بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ الْعَوَامَّ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَزَادَنِي غَيْرُ عُتْبَةَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ قَالَ بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ قَالَ أَبو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ".)) [أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة] ،وعن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ تَقَعُ فِي النَّارِ وَقَالَ كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ وَقَالَتِ الْأُخْرَى إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى فَخَرَجَتَا عَلَى

سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَأَخْبَرَتَاهُ فَقَالَ ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا فَقَالَتِ الصُّغْرَى لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ هُوَ ابْنُهَا فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاللَّهِ إِنْ سَمِعْتُ بِالسِّكِّينِ إِلَّا يَوْمَئِذٍ وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا الْمُدْيَةُ ".)) [أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وأحمد] ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ ".)) [الترمذي وأبو داود وأحمد]

الباب الثاني عشر
الفصل الثالث
القصة
في الأدب النبوي الشريف

أولا- القصة من الأدب النبوي الشريف :

مثلما استثمر القرآن الكريم طريق القص في التعبير عن الكثير من القضايا الحياتية ويسرد حياة الانبياء وغيرهم من الطغاة كذلك استخدم الحديث النبوي الشريف طريقة القص في التعبير عن كثير من القضايا الإنسانية كقصة أصحاب الغار الثلاثة الذين أغلق باب الغار عليهم فدعا كل واحد بعمله الصالح ففرج الله عنهم وقصة الأعمى والأقرع والأبرص وقصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسا وأكملها على المئة وكقصة الغلام الذي كان يتردد على الساحر وعلى الراهب وغير ذلك من القصص. ولاشك أن القرآن استخدم القصة كأحد الطرق للتعبير عن المعاني الإنسانية الدينية والكونية والشخصية بما في ذلك قصص الأنبياء ومشاركة الملائكة للدفاع عن المسلمين وكذلك قصص الحيوان والطيور والحشرات (كالبقرة – والنحلة- والهدهد- والفيل) حيث قص علينا رسول الله صلى لله

عليه وسلم الكثير من القصص التي تمثل المعاني الإنسانية التي تقود الإنسان نحو تعديل السلوك الإيماني عند الكثير من الناس بعد أن انحرفت سلوكيات الكثير من الناس عن هذه المعاني الدينية والإنسانية فقد عبرت قصة(الأعمى والأقرع والأبرص) عن عمق النفس الإنسانية ومدى تمكن حب المال من هذه النفس بحيث يوجهها نحو معاني مادية حسية تجدف بعكس اتجاه ريح القيم والأخلاق والمبادئ الإسلامية فقد كانوا مرضى بالعمى والبرص والقرع إضافة إلى كونهم فقراء فبعث الله لهم ملكاً مكنه الله من تبرئتهم من مرضهم وأعطاهم ما تمنوا من المال فلما جاء هذا الملك إليهم بعد غناهم بهيئة سائل منعه اثنان منهم وأعطاه الثالث. وهكذا جاءت القصة لتمثل قضية اختبار الله للناس في قضية العطاء من المال وكون هذا المال مال الله ولتكشف عن شح هذه النفس ولو اغتنت بعد فقر ، وكذلك قصة (أصحاب الغار) الذين حبسهم الغار في يوم ماطر وأغلق باب الغار بصخرة لم يستطيعوا أن يخرجوا منه بسببها فدعا كل واحد بدعوة عسى الله أن يخرجهم من هذا الضيق فكان الأول باراً بوالديه وكان الثاني قد استأجر أجيراً فثمّر له أجره فلما طلبه أعطاه إياه وكان الثالث قد رفض أن يبتز ابنة عمه ويستغل حاجتها المادية من أجل نزوة عارضة وكان قبل يراودها عن نفسها فتمتنع فلما احتاجت أرخصت عرضها من أجل الحاجة للمال

ولكنه في حالة الضيق لم يستغل حاجتها فأعطاها النقود لم يخدش عرضها وهكذا فتح الغار وزالت الصخرة وهذه القصة تمثل معاني ثلاثة هامة في استقامة الحياة :

الأول: أهمية بر الوالدين على الأبناء

الثاني: والحفاظ على أجر العامل وتثميره وتمثل معاني الأمانة دون منه

الثالث: عدم استغلال حاجة الآخرين وخاصة المرأة وابتزازها ولو رحنا نستعرض القصص النبوي الشريف بأبعاد الروحية والإنسانية والاجتماعية لوجدنا رصيداً كبيراً من هذه الأنواع التي تمد المتلقي بكثير من القيم الواعدة التي ترتقي بالإنسان نحو الخير ويبعده عن الشر .

ثانيا- مغزى القصة في الحديث:

وللقصة في الحديث النبوي الشريف مغازي متعددة على رأسها العظة والعبرة وتنكب الطريق المستقيم واعتماد العمل الصالح من أجل الفوز بالجنة والابتعاد عن النار

ثالثا- نماذج من قصص النبي محمد صلى الله عليه وسلم:

١- قصة رجل من بني إسرائيل استدان ألف دينار: القصة رواها البخاري في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول

الله أنه ذكر "أن رجلاً من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يُسْلِفَه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أُشْهِدُهُم. فقال: كفى بالله شهيدًا. قال: فأتني بالكفيل. قال: كفى بالله كفيلاً. قال: صدقت. فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر، فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبها يَقْدَمُ عليه للأجل الذي أجَّله، فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفةً منه إلى صاحبه، ثم زجَّجَ موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسَلَّفْتُ فلانًا ألف دينار، فسألني كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك، وسألني شهيدًا، فقلت: كفى بالله شهيدًا، فرضي بك، وأَني جَهَدتُ أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له، فلم أقدِر، وإني أستودِعُكَها. فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبًا، فلما نَشَرَها، وجد المال والصحيفة، ثم قَدِم الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال: والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه. قال: هل كنت بعثت إليَّ بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت

فيه. قال: فإن الله قد أدَّى عنك الذي بعثت في الخشبة. فانْصَرِفْ بألف الدينار راشدًا". هذه قصة رجلين صالحين من بني إسرائيل، كانا يسكنان بلدًا واحدًا على ساحل البحر، فأراد أحدهما أن يسافر للتجارة، واحتاج إلى مبلغ من المال، فسأل الآخر أن يقرضه ألف دينار، على أن يسددها له في موعد محدد، فطلب منه الرجل إحضار شهود على هذا الدَّيْن، فقال له: كفى بالله شهيدًا، فرضي بشهادة الله، ثم طلب منه إحضار كفيل يضمن له ماله في حال عجزه عن السداد، فقال له: كفى بالله كفيلاً، فرضي بكفالة الله؛ مما يدل على إيمان صاحب الدين، وثقته بالله عز وجل. ثم سافر المدين لحاجته، ولما اقترب موعد السداد، أراد أن يرجع إلى بلده، ليقضي الدين في الموعد المحدد، ولكنه لم يجد سفينة تحمله إلى بلده، فتذكر وعده الذي وعده، وشهادةَ الله وكفالتَه لهذا الدين، ففكر في طريقة يوصل بها المال في موعده، فما كان منه إلا أن أخذ خشبة ثم حفرها، وحشا فيها ألف الدينار، وأرفق معها رسالة يبين فيها ما حصل له، ثم سوّى موضع الحفرة، وأحكم إغلاقها، ورمى بها في عرض البحر، وهو واثق بالله، متوكل عليه، مطمئن أنه استودعها من لا تضيع عنده الودائع، ثم انصرف يبحث عن سفينة

يرجع بها إلى بلده. وأما صاحب الدين، فقد خرج إلى شاطئ البحر في الموعد المحدد، ينتظر سفينة يقدُم فيها الرجل أو رسولاً عنه يوصل إليه ماله، فلم يجد أحدًا، ووجد خشبة قذفت بها الأمواج إلى الشاطئ، فأخذها لينتفع بها أهله في الحطب، ولما قطعها بالمنشار وجد المال الذي أرسله المدين له والرسالة المرفقة، ولما تيسرت للمدين العودة إلى بلده، جاء بسرعة إلى صاحب الدين، ومعه ألف دينار أخرى؛ خوفًا منه أن تكون الألف الأولى لم تصل إليه، فبدأ يبين عذره وأسباب تأخره عن الموعد، فأخبره الدائن بأن الله –عز وجل– الذي جعلها لرجل شاهد هو كفيله، قد أدَّى عنه دينه في موعده المحدد. إن هذه القصة تدل على عظيم لطف الله وحفظه، وكفايته لعبده إذا توكل عليه وفوَّض الأمر إليه، وأثر التوكل على الله في قضاء الحاجات. فالذي يجب على الإنسان أن يحسن الظن بربه على الدوام، وفي جميع الأحوال، والله عز وجل عند ظن العبد به؛ فإن ظن به الخير كان الله له بكل خير أسرع، وإن ظن به غير ذلك فقد ظن بربه ظن السوء

٢- عن صهيب -رضي الله عنه- أن رسول الله قال: "كان ملكٌ فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليَّ غلامًا أعلمه السحر. فبعث إليه غلامًا يعلمه، وكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم آلساحرُ أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس. فرماها، فقتلها ومضى الناس. فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بُنَيَّ، أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، فإن ابتُليت فلا تدُلَّ عليَّ. وكان الغلام يُبرِئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس الملك وكان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ها هنا لك أجمع، إن أنت شفيتني. فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله تعالى، فإن آمنتَ بالله تعالى، دعوتُ الله فشفاك. فآمن بالله تعالى، فشفاه الله تعالى. فأتى الملك فجلس إليه

كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: ولك رب غيري؟! قال: ربي وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذِّبه حتى دلَّ على الغلام. فقال له الملك: أي بُنَيَّ، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل. فقال: إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله تعالى. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك. فأَبَى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مَفْرِق رأسه فشقه حتى وقع شِقَّاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك. فأَبَى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه. ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك. فأَبَى، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه، وإلاَّ فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت. فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل بأصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى. فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت. فانكفأت بهم السفينة، فغرقوا. وجاء يمشي إلى

الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى. فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قُلْ: باسم الله رب الغلام. ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام. ثم رماه، فوقع السهم في صُدْغه، فوضع يده في صدغه، فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام. فأُتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر، قد والله نزل بك حذرُك قد آمن الناس. فأمر بالأخدود بأفواه السكك، فخُدَّت وأُضرم فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه. ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أماه، اصبري فإنك على الحق". رواه الإمام مسلم؛ فهذا الحديث وإن كان يحمل في جوانبه رقائق وزهدًا، فإنه يحمل في ثناياه معاني عظيمة، وفوائد جليلة وأفكار بناءة، وهذا ليس بعيدًا عن الحديث النبوي الجليل، فقد أوتي جوامع

الكلم، وكان الفقهاء يستنبطون من الحديث الواحد فوائد فقهية وتربوية جمَّة

١- بطل هذه القصة المثيرة هو غلام، وهذا يجعلنا، بل يثير انتباهنا كي نهتم بالأطفال أبلغ اهتمام

٢- قول الراهب: "أي بُنَيَّ، أنت اليوم أفضل مني". وهذا اعتراف من الأستاذ بأن تلميذه أصبح أفضل منه

٣- صدق الالتجاء إلى الله تعالى وطريقة الدعاء والثقة بالإجابة، وذلك عندما قال: "اللهم اكفنيهم بما شئت".

٤- الإصرار على نشر الدعوة، وهذا يؤخذ من هذا المشهد الذي تكرر مرتين في الحديث "وجاء يمشي للملك". فلماذا بعدما نجا في المرة الأولى وفي المرة الثانية لم يهرب بل عاد إلى الملك الظالم؟

٥- تبني عامَّة الناس المبدأ الصحيح. حيث طلب هذا الغلام من الملك أن يجمع له الناس على صعيد واحد..

٦- تحديد مفهوم النصر؛ حيث قام هذا الغلام -الذي هو أفضل بكثير من رجال في هذه الأمة- بتوضيح مفهوم النصر.. وليس

مفهوم النصر أن ينتصر الغلام، إنما المفهوم الحقيقي للنصر هو انتصار المبدأ السليم والفكر الصحيح.

٧- الثبات على مبدأ الحق الذي سطع، وذلك من خلال الفقرة التي مثلت صورة الأم مع طفلها وقول الطفل: "يا أماه اصبري.

الباب الثاني عشر
الفصل الرابع
فن الرسائل النبوية

أولاً- ازدهار فن الرسائل في هذا العصر

ازدهرت كتابة الرسائل وتطورت في عصر صدر الإسلام منذ استقطاب الرسول صلى الله عليه وسلم مجموعة طيبة من الصحابة حوله ممن يتقنون الكتابة مما يدل على أن النشر بنوعيه الترسلي والأدبي قد تطور في هذه الفترة وخاصة (الرسائل) و(الخطابة) وكتب التاريخ القديمة مملوءة بالرسائل ذات الأهداف المختلفة والأنواع المتعددة ويبدو أن هذه الرسائل في هذه الفترة كانت ذات موضوعات متعددة أبرزها:

١- موضوعات الدعوة إلى الإسلام: وهي المهمة الأولى للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك لتبليغ الدعوة في دائرة أهله وعشيرته ومحيطه العربي والمحيط الإنساني وقد تحقق له ذلك من خلال الرسائل الشفوية – ملاقاة الناس أفراداً وقبائل والرسائل المدونة (كتب ورسائل) ومن هنا كانت كتب النبي صلى الله عليه وسلم تتناول :

أ- عرض الدعوة .

ب- الترغيب في قبول الدعوة .

ج- الترهيب من رفض الدعوة .

١- موضوعات إجابة الدعوة وذلك من خلال :

أ- الرد باللين أو القبول كما فعل المقوقس والنجاشي وهرقل.

ب- الاستفسار عن الإسلام كما فعل أكثم بن صيفي.

ج- الإخبار بإسلام الناس ككتاب علي بإسلام أهل اليمن في يوم واحد.

د- طلب المعلمين والمتفقهين حتى يلموا بالدين وشرائعه.

هـ- التعاليم والفرائض والحدود لمن يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم معرفة حدود الدين .

و-التوصية بالمسلمين قبل الهجرة في حالة ضعف المسلمين ككتاب النبي للنجاشي.

٢-موضوعات رفض الدعوة: الذي يتراوح بين التملص المهذب بالرد واللين وبين الشدة والعنف (تمزيق الرسالة)، ومن موضوعات الرسائل في حال رفض الدعوة :

أ- تأليف القلوب

ب- تجسس الأخبار

طلب المدد-

د- الإغراء بالنبي صلى الله عليه وسلم وتخذيل المسلمين عنه

هـ- التهديد والوعيد

و- الأمر بتنفيذ العهود أو إبطالها

ز- تعاليم عن أهل الذمة

ثانياً- الرسائل وسيلة للدعوة

بعد أن أدت الغزوات والسرايا دورها في إظهار قوة المسلمين، والقضاء على صناديد الكفر، ومنذ أن عقد الرسول - صلى الله عليه وسلم - صلح الحديبية مع قريش، وما تلا ذلك من إخضاع اليهود، فإن الرسول . صلى الله عليه وسلم . لم يدخر جهداً لنشر الإسلام، وقد عبّر. صلى الله عليه وسلم . عن ذلك بإرساله لعدد من الرسائل إلى ملوك وأمراء العالم المعاصر خارج الجزيرة العربية يدعوهم فيها إلى الإسلام، فجاءت هذه الكتب وسيلة دعوية هامة، لإعلام الناس وإبلاغهم بدعوة الإسلام، وقد كان بعضهم يجهلها مثل كسرى، وبعضهم ينتظرها مثل قيصر.. وانطلقت مواكب رسل رسول الله . صلى الله عليه وسلم . تحمل بشائر وأنوار الهداية، من خلال رسائل وخطابات مختومة بختمه . صلى الله عليه وسلم .، وكانت تلك الرسائل تحمل حرص النبي . صلى الله عليه وسلم . على إسلام هؤلاء الملوك، وإبلاغ دعوته إليهم . وعن أنس . رضي الله عنه . : (أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . كتب إلى كسرى وقيصر وإلى

النجاشي – وهو غير الذي صلّى عليه – وإلى كل جبّار يدعوهم إلى الله عز وجل)(صحيح مسلم). وتوجه سفراء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالرسائل إلى النجاشي ملك الحبشة، وإلى المقوقس عظيم القبط في مصر، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى هرقل عظيم الروم، وإلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، وغيرهم من ملوك وأمراء .. وكان اختيار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لسفرائه قائما على مواصفات رباهم عليها، فكانوا يتحلون بالعلم والفصاحة، والصبر والشجاعة، والحكمة وحسن التصرف، وحسن المظهر . فاختار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ دحية الكلبي ، وأرسله إلى هرقل عظيم الروم . يقول ابن حجر في الإصابة عن دحية : " كان يُضرب به المثل في حسن الصورة ". وكان دحية ـ مع حسن مظهره ـ فارسا ماهرا، وعليما بالروم، وأرسل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبد الله بن حذافة إلى كسرى عظيم الفرس، وكان له دراية بهم ولغتهم، وكان ابن حذافة مضرب الأمثال في الشجاعة ورباطة الجأش، وأرسل ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المقوقس ملك مصر حاطب بن أبي بلتعة ، وقد قال فيه ابن حجر في الإصابة :" كان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية "، وكان له علم بالنصرانية، ومقدرة على المحاورة ..

ثالثاً– نماذج من رسائل النبي صلى الله عليه وسلم:

١ – رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم :

عن ابن عباس . رضي الله عنهما : (أن النبي . صلى الله عليه وسلم . كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام، وبعث بكتابه إليه دحية الكلبي ، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر، فإذا فيه: " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى: أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت عليك إثم الأريسيِّين، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : الآية ٦٤ } (البخاري) . وقد تسلم هرقل رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم – ودقق في الأمر كما في الحديث الطويل المشهور بين أبي سفيان وهرقل، حين سأله عن أحوال النبي . صلى الله عليه وسلم .، وقال هرقل بعد ذلك لأبي سفيان : (.. إن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه) (

البخاري). ومعنى تجشمت: تكلفت الوصول إليه، وارتكبت المشقة في ذلك . وفي رواية مسلم : " لأحببت لقاءه " .

٢- رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ملك الحبشة:

كتاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى النجاشي ملك الحبشة ذكر الواقدي أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتب إلى النجاشي كتابا، وأرسله مع عمرو بن أمية الضمري ، فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، أسلم أنت، فإني أحمد إليك الله، الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس، السلام المؤمن، المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم، وروح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول، فحملت به، فخلقه من روحه، ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى).

٣- رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ملك مصر:

كتاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المقوقس ملك مصر : ذكر الواقدي أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتب إلى المقوقس، مع حاطب بن أبي بلتعة : (بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإني أدعوك بداعية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط ، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : الآية ٦٤ }) .

٤ – رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ملك فارس:

كتاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى كسرى ملك فارس : وقد أرسله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع عبد الله بن حذافة ـ رضي الله عنه ـ كما ذكر الواقدي، وكان فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس) . قال الطبري في تاريخه: " وقد اختلف تلقي الملوك لهذه الرسائل، فأما هرقل والنجاشي والمقوقس، فتأدبوا وتلطفوا في جوابهم، وأكرم النجاشي والمقوقس رسل رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وأرسل المقوقس هدايا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وأما كسرى

لما قرئ عليه الكتاب مزقه، فعن ابن عباس . رضي الله عنهما .: (أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي ، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه) . قال ابن المسيب : فدعا عليهم رسول الله . صلى الله عليه وسلم . (أن يمزقوا كل ممزق) (البخاري). وقد وقع ما دعا به رسول الله . صلى الله عليه وسلم .، فقد استولى على عرش كسرى ابنه قباذ الملقب –شيرويه– ، وقُتِل كسرى ذليلاً مهاناً، وتمزق ملكه بعد وفاته وأصبح لعبة في أيدي أبناء الأسرة الحاكمة، فلم يعش شيرويه إلا ستة أشهر، وتوالى على عرشه في مدة أربع سنوات عشرة ملوك، وهكذا تحقق دعاء النبي . صلى الله عليه وسلم . ومن خلال هذه الرسائل أظهر الرسول – صلى الله عليه وسلم – دراية وحكمة في سياسته الخارجية، وأصبحت مثالاً لمن جاء بعده من الخلفاء، كما أظهر – صلى الله عليه وسلم – قوة وشجاعة فائقتين، فلو كان غير رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لخشي عاقبة ذلك الأمر، لاسيما وأن بعض هذه الكتب قد أرسلت إلى دول كبيرة وملوك أقوياء، كهرقل وكسرى والمقوقس، ولكن حرص الرسول . صلى الله عليه وسلم . وعزيمته على إبلاغ دعوة الله، وإيمانه المطلق بتأييد الله سبحانه وتعالى له، كل ذلك دفعه لأن يقدم على ما أقدم عليه .

وأظهرت كذلك هذه الرسائل حكمة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الدعوة، ونستطيع أن نرى ذلك من خلال الرجوع إلى ما تضمنته هذه الرسائل حيث كان هرقل والمقوقس ممن يدينان بالنصرانية المحرّفة التي تغلو في المسيح ـ عيسى عليه السلام ـ وترفعه إلى درجة الألوهية، ومن ثم أكد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على عبودية الناس عموما، والرسل خصوصاً لله رب العالمين، فذكر في رسالته إليهما قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : الآية ٦٤ }. وفي جانب الفرس ـ كان كسرى وقومه ممن يعبدون الشمس والنار، فحرص النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على تصحيح هذا المفهوم من خلال إيراده لحقيقة التوحيد في ثنايا رسالته.

رابعاً– من حكمة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذه الرسائل:

١ – أخذه بوسائل عصره المتاحة للدعوة، فقد اتخذ خاتما كتب عليه محمد رسول الله، تختم به الرسائل، وقبِل ـ صلى الله عليه وسلم ـ الهدايا من الملوك، وتعامل بأعرافهم ـ ما لم تكن إثما أو حراما ـ .

٢ – **اعتماده لغة المجاملة في مخاطبة الملوك والأمراء**، وقد ظهر ذلك في رسالته إلى هرقل عظيم الروم، وبمثلها خاطب كسرى وسائر الملوك.

٣ – **لم تحمل رسائله ـ صلى الله عليه وسلم تهديدا**، بل تضمنت في ثناياها طمأنتهم على ملكهم، إن أسلموا أو هادنوا، ففي رسالته إلى المنذر بن الحارث صاحب دمشق جاء فيها كما قال الواقدي : (سلام على من اتبع الهدى وآمن به، وأدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى ملكك). وفي رسالته إلى المنذر بن ساوي حاكم البحرين، قال له : (أسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك) ، وفي رسالته إلى جيفر وأخيه ملك عمان : (فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما). فآمن بعض الملوك فأنقذ نفسه وقومه من ظلمات الكفر، وكان من هؤلاء المنذر بن ساوى ملك البحرين، وجَيْفر وعبد ابني الجُلُنْدَي صاحبي عمان، وبقي البعض يتخبط في ظلمات الكفر، طمعاً في جاهٍ زائل، أو خوفاً من حاشيته وقومه ..

٤ – **في هذه الرسائل نقل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعوته إلى ملوك الأرض**، وعرفهم بالدين الجديد الذي يكفل لأتباعه سعادة الدارين، وفي ذلك دلالة على عالمية الإسلام، تلك العالمية التي أكد عليها القرآن في قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ { الأنبياء: الآية ١٠٧ }..

٥- رسائل النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الملوك والأمراء تعتبر نقطة تحول في سياسة دولة الإسلام، فعظم شأنها، وأصبحت لها مكانة بين الدول ..

خامساً- الخصائص الفنية للترسل في عصر صدر الإسلام

اتخذت الرسالة في عهد صدر الإسلام خصائص مميزة تميزها عن الرسالة الجاهلية بسبب ظروف الدين الجديد وجاءت ضمن منهج من أبرز سماتها :

أ- في المضمون

١- البسملة(بسم الله الرحمن الرحيم)

٢- العنوان (من فلان إلى فلان)

٢- السلام والتحية

٣- التحميد لله تعالى

٤- التخلص وفصل الخطاب وهي قولهم (أما بعد)

٥- المضمون : وهو غرض الكاتب من الرسالة

٦- الختام: بعبارة تؤذن في نهاية الرسالة مثل (والسلام عليكم ورحمة الله)

٧- التذييل بتاريخ الرسالة واسم كاتبها

ب- وفي الأسلوب

تميزت رسائل عصر صدر الإسلام من حيث الجوانب البلاغية

١- الاعتدال في استخدام الفنون البديعية كالطباق والمقابلة والاستعارة والكناية والتشبيه والتمثيل وصحة التقسيم والاستدارة والمساواة والترادف والتكرار والسجع والموازنة والازدواج والجناس

٢- وتميزت من حيث الأسس النائية للأسلوب بالإيجاز والوضوح والقرب والتعبير الطبعي والفصاحة والتماسك وقوة التأليف وضعف التصوير

٣- وتميزت من حيث البناء الموضوعي للرسالة باقتصارها على موضوع واحد لا تتعداه إن كانت قصيرة أو على عدة مواضيع إن كانت طويلة

٤- وبقيت الرسالة تشبه الخطبة من حيث الأسلوب ومن حيث الموضوعات وكذلك تميزت الرسائل من حيث المعاني أنها مستمدة من مصدرين اثنين

أ- مصدر خارجي يستمده الكاتب من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر والحكم والأمثال وأجزاء من الرسائل الأخرى .

ب- ومصدر داخلي ذاتي يعتمد على القدرة الشخصية للكاتب على ابتداع المعاني وابتكارها .

الباب الثاني عشر
الفصل الخامس
الموعظة التقوية
في الحديث النبوي
الشريف

أ- مقدمة :

الموعظة من وعظ يعظ فهو واعظ، وتعني: النصح والتذكير بالعواقب، وهو تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب. وقد وردت كلمة موعظة في القرآن الكريم في موارد متعددة، منها على سبيل المثال، قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُم﴾ أي وحذّرهم وخوفهم. وقوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: أي ينهاكم ويحذركم. كما في وقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ وهو زجر مقترن بالتخويف. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ

الْمَضَاجِعِ...﴾ . وفي قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. أي يذكركم علكم تتذكرون.

ب- أهمية الموعظة :

وتأتي أهمية الموعظة من كون الإنسان بطبعه اجتماعي يتفاعل مع محيطه، ويمكن أن يتأثر به سلباً أو إيجاباً، والموعظة الحسنة تشكّل عاملاً خارجياً يساعد الإنسان على تخطي فتن الدنيا وزخارفها وشبهاتها، وتتأكد ضرورتها عند غفلة الإنسان وخمود أو خمول الواعظ الداخلي فيه، حيث يصبح لها الدور الأساسي في النجاة من النار، وهذا ما يعترف به المجرمون في الآخرة: ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ كما نقل القرآن الكريم عن لسانهم.

ج- تأكيد القرآن الكريم على الموعظة: وقد أكد القرآن الكريم على أسلوب الموعظة فقال: ﴿ ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ { النحل : الآية ١٢٥ } . ونحن

نمارسها كأسلوب من أساليب الدعوة إلى الله تعالى وهي نافعة ومفيدة، إذ تفتح أبواب هداية المؤمنين: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ { يونس : الآية ٥٧ } .

د- تأثير الموعظة: إن الموعظة تؤثر في الناس جميعا بشكل عام ، أثرها في المؤمن بشكل خاص، لأنه يستحضر الالتزام الشرعي في أموره، وقد تغيب عنه بعض التفاصيل، أو يدفعه بالاتجاه الخاطئ، فيكون دورها دور المنبه للضمير المذكر بالمسؤولية الشرعية والرقابة الإلهية. ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ { الذاريات : الآية ٥٧ }، فربّ موعظة ردعت عن عمل ظالم وفاسد لسبب أو لآخر وأنقذت جيلاً أو أبطلت بدعة، ورب موعظة تركت أثراً بسيطاً يتراكم مع غيرها من المواعظ والأساليب الأخرى لتؤثر أثرها وتحدث التغيير المنشود، وإن لم تفعل ذلك كله فهي على الأقل تلقي على الآخرين وتبرئ ذمة

هـ- ارتقاء الموعظة في عصر صدر الإسلام: وقد ارتقت الموعظة التقوية الدرجات العلى في عصر صدر الإسلام وتبوأت منزلة

مرموقة بسبب كون الإسلام دين موعظة ولأن القرآن الكريم قد جاء ليؤكد على قضيتين مهمتين

الأولى: تتمثل بضرورة الاعتراف بوجود إله واحد في هذا الكون ونبذ ما عداه من الآلهة سواء كانت آلهة (صنمية) من الحجارة أو آلهة (طبيعية) من مكونات الكون (شمس قمر – كواكب)

والثانية: تسوية السلوك الإنساني تجاه الآخر وتعريف الإنسان بضرورة العمل الصالح والسلوك الحسن وكلاهما لا يأتي إلا بالموعظة التقوية الداعية إلى طاعة الله وامتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه وعبادته حق العبادة واتقاء ناره والإقبال على جنته من خلال عبادات ومعاملات حسنة ومن هنا فقد جاء القرآن الكريم من أول حرف إلى آخر حرف فيه سلسلة من المواعظ الرشيدة والقارئ لهذا القرآن الكريم يخلص إلى نتيجة واحدة هي (التقوى) والتقوى موعظة حتى ولو جاءت على شكل وصايا أو بصيغة الطلب

و- طرق أداء الموعظة في القرآن الكريم: استخدم القرآن الكريم في أداء الموعظة في القرآن الكريم الطرق التالية:

١- الطريقة المباشرة في الوعظ كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ { التحريم : الآية ٦ } .

٢- أو الوعظ بطريقة الوصية كما فعل لقمان مع ابنه ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ { لقمان : الآية ١٣}

٣- أو الوعظ بالتذكير بآلاء الله في الطبيعة ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ. . . . ﴾ { البقرة : الآية ١٦٤ } .

ز- الموعظة في الحديث الشريف :

وكذلك جاءت السنة النبوية المطهرة نهراً سلسبيلاً من المواعظ يروي غليل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمثلة كثيرة في ذلك ومما قاله صلى الله عليه وسلم : ((إن أقربكم مني مجالسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً)) .

ح- صور الموعظة في الحديث الشريف: وقد اتخذت الموعظة التقوية في عهد صدر الإسلام صورا متعددة وسبلاً مختلفة كلها

يصب في طمأنينة استسلام العبد لربه والانقياد له وطاعته واجتناب محرماته

ط- خطاب الموعظة التقوية :

والموعظة التقوية في صدر الإسلام جاءت تخاطب العقل والوجدان فلم تهمل شيئاً من الجوانب الإنسانية على حساب جوانب أخرى. ولكل من العقل والوجدان أساليب تناسبه وتنفذ إليه.

١- فالدليل والبرهان والمقارنة أساليب تخاطب العقل بقصد تأهيله إلى إدراك المعارف الموصلة إلى اللَّه، فيقول اللَّه سبحانه وتعالى في خطاب للعقل: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ { يس : الآية ٧٨-٧٩ } .

٢- التأمل والنظر وإثارة الشعور أساليب لمخاطبة الوجدان لكي تسمو الروح وتكتسب القدرة على التذوق الرفيع الذي يوصلها إلى حب اللَّه. يقول اللَّه سبحانه وتعالى في خطاب الوجدان: ﴿ أَمَّن

يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ { النمل : الآية ٦٢-٦٣ } .

٣- والله تبارك وتعالى أنزل القرآن على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه بصفات كثيرة تربو على الأربعين، ومن هذه الأوصاف وصفه بأنه (موعظة)، وقريب من هذا المعنى وصفه بأنه (ذكرى)، وهذا أمرٌ يلمسه كلُّ من قرأ القرآن، ويعظم وقع هذه المواعظ على النفس حينما تُقرأُ بقلب حاضر، وسمع متصل بقلب شاهد: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ { ق : الآية ٣٧ } . يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وهُدًى ورَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ { يونس : الآية ٥٧ } ، فالوعظ والموعظة جاءت في القرآن وصفا للقرآن الكريم كما جاءت من

مهمات النبوة ونَفَر من المؤمنين. بل قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ { النحل : الآية ١٢٥ } .إن الموعظة الحسنة هي مواعظ القرآن، وكذا قيل في تفسير قوله سبحانه: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ { المدثر : الآية ٤٩ } . أي: عن مواعظ القرآن. وما القصص القرآني النوراني، أو النبوي المبارك؛ إلا وسيلة من وسائل التربية لكل الأمة، ليس المقصود منها سرد القصص وتدوين التاريخ بقدر ما تكون "العبرة" والاتعاظ هي الخطوة الأولى التي يجب أن تكون في وجدان المتلقي، حتى تكون نافعة له، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ { يوسف : الآية ١١١ } .

ي- أركان الموعظة المؤثرة:

هناك شروط عديدة تسهم في تأثير الموعظة في الآخرين هي:

١- تخير الوقت المناسب والجو النفسي المهيأ للسماع

٢- اللين في الخطاب والشفقة في النصح: فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ { آل عمران : الآية ١٥٩ } .

٣- الحديث المتناسب ومراعاة أحوال المخاطبين: لأن اللَّه عزَّ وجلَّ خلق الناس لهم طبائع متعددة، وعقول متفاوتة، ومشارب متنوعة و ﴿ وَلَو شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَلا يَزالونَ مُختَلِفينَ ﴾ { هود : الآية ١١٨ } .

٤- التآلف مع الناس: فيفعل كما فعل رسولنا صلى الله عليه وسلم، يتألفهم مرة بالهدية، ومرة بالزيارة، فإن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم دعا الناس وآلفهم وأعطاهم وأهدى لهم، بل كان يعطي الواحد منهم مائة ناقة، وكان يأخذ الثياب الجديدة، وكان يعانق الإنسان ويجلسه مكانه، فهذا من التآلف.

٥- حسن المظهر: لأنَّ سوء المظهر في الصورة واللباس ينفّر الناس، والناس يحبون الجمال والنظافة بصورة فطرية. ولهذا كان رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم يولي اهتماماً كبيراً بنظافة الملبس والجسم والأسنان حتى أن الناس كانوا يتحدثون عن عطره الفواح . ولقد قال يوماً لأصحابه: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"، فقال رجل: يا رسول اللَّه، إني رجل أولعت بالجمال في كل شيء، حتى ما أحب أن يفوقني أحد بشراك نعل. فهل هذا من الكبر؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "إن اللَّه جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس" . واعلم أن للمواعظ أهلها ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ { الزمر : الآية ٢٣ } ، فقد وصف الله تعالى قلوب أهل الإيمان عند سماع الوعد والوعيد، بالرقة وجلودهم بأنها تقشعر خوفاً من الوعيد، ثم تلين و ترجو عند الوعد. ويزداد خوف المؤمن القارئ للقرآن الكريم حينما

يقرأ الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ { الزمر : الآية ٢٢ } . وقد تقف بعض العوائق لتمنع الإنسان من التفاعل مع الموعظة، كما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ { يوسف : الآية ١٠٥ } ، بل إن أكثر الناس مبتلون بمثل هذه العوائق، و" ما أكثر العبر وأقل الاعتبار بالغفلة "، وكحب الدنيا، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ { القيامة : الآية ٢٠-٢١ } .

ك- مقاصد الموعظة وحكمها: الموعظة باب من أبواب الدعوة إلى الله، وأسلوب من أساليب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ويحسن هنا إيراد مقاصد الموعظة وحكمها:

١- إقامة حجة الله على خلقه: كما قال- تعالى-: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِأَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ { النساء: الآية ١٦٥ } .

٢- الإعذار إلى الله - والخروج من عهدة التكليف: قال الله - تعالى في صالحي القوم الذين اعتدى بعضهم في السبت: ﴿ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ ﴾ { الأعراف: الآية ١٦٤ } . وقال- عز وجل-: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴾ { الذاريات: الآية ٥٤ } .

٣- رجاء النفع للمأمور: كما قال- تعالى-: ﴿ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ { الأعراف: الآية ١٦٤ } . وقال- عز وجل-: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ { الذاريات: آية ٥٥ } .

٤- رجاء ثواب الله- عز وجل -: إذ الدعوة باب عظيم من أبواب البر.

٥- الخوف من عقاب الله- تبارك وتعالى -: إذ إن ترك الدعوة مؤذن بالعقوبة .

الباب الثاني عشر

الفصل السادس
الدعاء في الحديث النبوي الشريف

أ- تعريف الدعاء :

الدعاء:

خطاب يتوجه به المرء على خالقه في خلوة خاصة بينه وبين الله تعالى أو في اجتماع ديني عام لغرض من الأغراض (صلاة الجمعة – العيدين – الاستسقاء –الخسوف – الكسوف) ويتم هذا الدعاء بصوت خافت يتبع بكلمة (آمين) عند الجماعة

ب- أوقات الدعاء:

يكثر الدعاء في أوقات حلول البلاء ووقوع الكوارث حيث يضرع الناس لله تعالى سائليه كشف البلاء ويفتتح بنداء الله تعالى (اللهم – يا رب – ربنا – رب) بعد أن يثني الداعي على الله تعالى بما

هو أهله ويصلي على رسوله عليه الصلاة والسلام وتكون هذه الأدعية من خلال قوالب فنية رفيعة

ج- ميزات الدعاء :

يتميز الدعاء بـــ:

١- الايجاز والاختزال

٢- ذكر العبارات المأثورة عن النبي في الدعاء

٣- ذكر الآيات الواردة في الذكر الحكيم

٤- تضمين الدعاء بطلب الداعي من رزق أو صحة أو علم أو مكانة أو رفع مكروه

هـ- آداب الدعاء :

وللدعاء أداب خاصة به منها:

١- التذلل لله تعالى

٢- إظهار الضعف والمسكنة وقد حض الله تعالى الناس على دعائه : قال تعالى في سورة { البقرة : الآية ١٨٦ } ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ ، وقال تعالى في سورة { غافر : الآية ٦٠ } : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، وقال تعالى في سورة { الزمر :الآية ٤٩ } ﴿ فَإِذَا مَسَّ

الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ﴾ ، وقال تعالى في سورة { لقمان :الآية ٣٢} :

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ .

و- من أمثلة الدعاء النبوي :

دعاء الأنبياء

أ- دعاء سيدنا آدم علية السلام:

١- ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ { الأعراف : الآية ٢٣ }

٢- اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتي فأقبل معذرتي ، وتعلم حاجتي فأعطني سؤالي، و تعلم ما في نفسي فأغفر لي ذنوبي.

٣- اللهم إني أسألك أيمانا يباشر قلبي ، ويقينا صادقا حتى أعلم ما يصيبني إلا ما كتبته على و الرضا بما قسمته لي يا ذا الجلال و الإكرام.

ب- دعاء سيدنا إبراهيم علية السلام:

١- ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ { البقرة : الآية ١٢٧-١٢٨ }

٢- ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاء * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ { إبراهيم : الآية ٤٠-٤١ }.

٣- ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ { الشعراء : الآية ٨٣-٨٥ } .

٤- ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ . رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ { الممتحنة : الآية ٤-٥ } .

ج- دعاء سيدنا موسى عليه السلام:

١- ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ { طه : الآية ٢٥-٢٨ } .

٢- ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ { القصص : الآية ١٦ } .

٣- ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ { القصص : الآية ٢٤ }.

د- دعاء سيدنا زكريا عليه السلام:

١- ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء ﴾ { آل عمران : الآية ٣٨ } .

٢- ﴿ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ { الأنبياء : الآية ٨٩ } .

هـ- دعاء سيدنا سليمان عليه السلام:

١- ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ { النمل : الآية ١٩ } .

و- دعاء سيدنا نوح عليه السلام:

١- ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ { هود : الآية ٤٧ } .

٢- ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً ﴾ { نوح : الآية ٢٨ } .

ز- دعاء سيدنا يونس عليه السلام:

﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ { الأنبياء : الآية ٨٧ } .

ح- دعاء سيدنا أيوب:

﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ { الأنبياء : الآية ٨٣ } .

ط- دعاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

١- دعاء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في الطائف:

(اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك) .

٢- ﴿ اللَّهُمَّ آتِنِي الحِكْمَةَ الَّتِي مَنْ أُوتِيهَا فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ { مقتبس من سورة البقرة، الآية:٢٦٩ } .

٣- ﴿ اللَّهُمَّ ثَبِّتْنِي بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ { مقتبس من سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.} .

٤- ﴿ اللَّهُمَ حَبَّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ ﴾ { مقتبس من سورة الحجرات، الآية: ٧.}.

٥- ﴿ اللَّهُمَّ قِنِي شُحَّ نَفْسِي وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ { مقتبس من سورة التغابن، الآية: ١٦.} .

٦- ﴿ اللَّهُمَ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ { مقتبس من سورة البقرة، الآية:٢٠١ } (البخاري، برقم ٤٥٢٢، ورقم ٦٣٨٩، ومسلم، برقم ٢٦٩٠.)

٧- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ قَلْبِي بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنْ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنْ الدَّنَسِ،

وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْكَسَلِ وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ) (البخاري، برقم ٨٣٢، ومسلم، برقم ٥٨٩.)

٨- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْهَرَمِ، والْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ) (البخاري، برقم ٢٨٢٣، ومسلم، برقم ٢٧٠٦.)

٩- ((اللهمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ)) (البخاري، برقم ٦٣٤٧، ومسلم، برقم ٢٧٠٧) ، ولفظه: ((كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء)).

١٠- (اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ) (أخرجه مسلم، برقم ٢٧٢٠.)

١١- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى، وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ، وَالْغِنَى) (أخرجه مسلم، برقم ٢٧٢١.)

١٢- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ

زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا) (أخرجه مسلم، برقم ٢٧٢٢.)

١٣- (اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ) (٣ أخرجه مسلم، برقم ٢٧٢٥.)

١٤- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ) (أخرجه مسلم، برقم ٢٧٣٩.)

١٥- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ) (مسلم، برقم ٢٧١٦.)

١٦- (اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالِي، وَوَلَدِي، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَنِي) (يدل عليه دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لأنس: (اللهمّ أكثر ماله، وولده، وبارك له فيما أعطيته) (البخاري، برقم ١٩٨٢، ومسلم، برقم ٦٦٠.)

١٧- (وَأَطِلْ حَيَاتِي عَلَى طَاعَتِكَ، وَأَحْسِنْ عَمَلِي، وَاغْفِرْ لِي) (البخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٥٣، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٢٢٤١، وفي صحيح الأدب المفرد، ص ٢٤٤، وما بين المعقوفين يدل عليه قوله - صلى الله عليه وسلم - عندما سئل: من خير الناس؟ فقال: ((من طال عمره وحسن عمله))، الترمذي، برقم ٢٣٢٩، وأحمد، برقم ١٧٧١٦، وصححه

الألباني في صحيح الترمذي، ٢/ ٢٧١، وقد سألت سماحة شيخنا ابن باز رحمه الله عن الدعاء به وهل هو سنة؟ فقال: ((نعم)).

١٨- (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) (البخاري، برقم ٦٣٤٥، ومسلم، برقم ٢٧٣٠.)

١٩- (اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ) (أبو داود، برقم ٥٠٩٠، وأحمد، ٥/ ٤٢، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٣/ ٢٥٠، وفي صحيح الأدب المفرد، ٢٦٠، وقد حسن إسناده أيضاً العلامة ابن باز في تحفة الأخيار، ص ٢٤.

٢٠- (لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (الترمذي، برقم ٣٥٠٥، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٥٠٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٦٨،) ولفظه: (دعوة ذي النون إذْ دعاه وهو في بطن الحوت: ﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ { الأنبياء : الآية ٨٧ }، فإنه لم يدعُ بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له).

٢١- (اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ

نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي) (أحمد، ١/ ٣٩١، ٤٥٢، والحاكم، ١/ ٥٠٩، وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار، وصححه الألباني في تخريج الكلم الطيب، ص٧٣.)

٢٢- (اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ) (مسلم، برقم ٢٦٥٤.)

٢٣- (يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّت قَلْبِي عَلَى دِينِكَ) (الترمذي، برقم ٣٥٢٢، وأحمد، ٤/ ١٨٢، والحاكم، ١/ ٥٢٥، و٥٢٨، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٦/ ٣٠٩، وصحيح الترمذي، ٣/ ١٧١. وقد قالت أم سلمة رضي الله عنها: ((كان أكثر دعائه – صلى الله عليه وسلم –)).)

٢٤- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ [الْيَقِينَ] و [الْعَفْوَ] الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) (الترمذي، برقم ٣٥١٤، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ٧٢٦) ، ولفظه عند الترمذي: (سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة) ، وفي لفظ: (سلوا الله العفو والعافية فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية)، وقد صححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٣/ ١٨٠، و٣/ ١٨٥، و٣/ ١٧٠، وله شواهد، انظرها في: مسند الإمام أحمد بترتيب أحمد شاكر، ١/ ١٥٦ – ١٥٧.)

٢٥- (اللهمّ أحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، وَأجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ) (أحمد، ٤/ ١٨١، والطبراني في الكبير، ٢/ ٣٣/ ١١٦٩)، وفي الدعاء، برقم ١٤٣٦، وابن حبان، برقم ٢٤٢٤، ٢٤٢٥ (موارد)، قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ١٧٨: ((رجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني ثقات)). (٢) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٦٤، و٦٦٥، وأبو داود، برقم ١٥١٠، ١٥١١، والترمذي، برقم ٣٥٥١، وابن ماجه، برقم ٣٨٣٠، وأحمد ١/ ١٢٧، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٥١٩، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ٤١٤، وفي صحيح الترمذي، ٣/ ١٧٨.

٢٦- (رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الهُدَى إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُخْبِتًا أَوَّاهاً مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي) .

٢٧- (اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ - صلى الله عليه وسلم -، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ - صلى الله عليه وسلم -، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَلَا حَوْلَ

وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) (الترمذي، برقم ٣٥٢١، وابن ماجه، برقم ٣٨٤٦، بمعناه، وقال الترمذي: (هذا حديث حسن غريب)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي، ص ٣٨٧.

٢٨- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي) (أبو داود، برقم ١٥٥١، والترمذي، برقم ٣٤٩٢، والنسائي، برقم ٥٤٧٠، وغيرهم. وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٦٦، وصحيح النسائي، ٣/ ١١٠٨.)

٢٩- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجُذَامِ، وَمِنْ سَيِّئِ الأَسْقَامِ) (أبو داود، برقم ١٥٥٤، والنسائي، برقم ٥٤٩٣، وأحمد، ٣/ ١٩٢ وصححه الألباني في صحيح النسائي، ٣/ ١١١٦، وصحيح الترمذي ٣/ ١٨٤.)

٣٠- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ) (الترمذي، برقم ٣٥٩١، وابن حبان، برقم ٢٤٢٢ (موارد)، والحاكم، ١/ ٥٣٢، والطبراني في الكبير، ١٩/ ٣٦/١٩. وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٨٤.)

٣١- (اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي) (الترمذي، برقم ٣٥١٣، والنسائي في الكبرى، برقم ٧٧١٢، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٧٠)

٣٢- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي، وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ) (أخرجه أحمد بلفظه، ٥/ ٢٤٣ والترمذي، برقم ٣٢٣٥، بنحوه، وحسنه، وقال: سألت محمد بن إسماعيل - يعني البخاري - فقال: ((هذا حديث حسن صحيح))، وفي آخر الحديث قال - صلى الله عليه وسلم -: ((إنها حقٌّ فادرسوها وتعلّموها))، والحاكم ١/ ٥٢١، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ٣١٨.)

٣٣- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ: عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ)

٣٤- ((اللَّهُمَّ احْفَظْنِي بِالإِسْلاَمِ قَائِماً، واحْفَظْنِي بِالإِسْلاَمِ قَاعِداً، واحْفَظْنِي بِالإِسْلاَمِ رَاقِداً، ولا تُشْمِتْ بِي عَدُوّاً ولا حَاسِداً. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ خزائِنُهُ بِيَدِكَ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ شَرٍّ خَزَائِنُهُ بِيَدِكَ) (مِنْ شَرِّ [مَا اسْتَعَاذَ بِكَ] [مِنْهُ] عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا)) (١). (١) ابن ماجه، برقم ٣٨٤٦، بلفظه، وأحمد، ٦/

١٣٤، ولفظ الزيادة الثانية له، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ١/ ٥٢١، ولفظ الزيادة الأولى له، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٢٧. (٢) الحاكم، ١/ ٥٢٥ وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ٢/ ٣٩٨، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤/ ٥٤، برقم ١٥٤٠.

٣٥- (اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّاتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا) (الترمذي، برقم ٣٥٠٢، والحاكم، ١/ ٥٢٨ وصححه ووافقه الذهبي، وابن السني، برقم ٤٤٦، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٦٨، وصحيح الجامع، ١/ ٤٠٠.)

٣٦- (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذ بِكَ مِنَ البُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ القَبْرِ) (البخاري، برقم ٢٨٢٢.)

٣٧- (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي هَزْلِي، وَجِدِّي، وَخَطَئِي، وَعَمْدِي،

وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي) (متفق عليه: البخاري، برقم ٦٣٩٨، ومسلم، برقم ٢٧١٩.)

٣٨- ((اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)) (٣). متفق عليه: البخاري، برقم ٨٣٤، مسلم، برقم ٢٧٠٥.)

٣٩- ((اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ)) (١). متفق عليه: البخاري، برقم ٦٣٩٨، ومسلم، برقم ٢٧١٩.

((اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِباتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزائِمَ مَغْفِرَتِكَ، والسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، والغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، والفَوْزَ بالجَنَّةِ، والنَّجاةَ مِنَ النَّارِ)) (١) (٢) الحاكم، ١/ ٥٢٥، وصححه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الدعوات، برقم ٢٠٦، وانظر: الأذكار للنووي، ص٣٤٠، فقد حسنه المحقق عبد القادر الأرنؤوط.)

٤٠- ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ)) (٣).(٣) لحديث عبادة - رضي الله عنه -، قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة))، الطبراني في الكبير، ٥/ ٢٠٢، برقم ٥٠٩٢، و٣/ ٣٣٤، وبرقم ٢١٥٥، وجوَّد إسناده الهيثمي في مجمع

الزوائد، ١٠/ ٢١٠، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٥٩٠٢، ٥/ ٢٤٢.

((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي، وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي)) (١) أخرجه أحمد، ٤/ ٦٣، برقم ١٦٥٩٩، ورقم ٢٣١١٤، ورقم ٢٣١٨٨، والترمذي، برقم ٣٥٠٠، وقال محققو المسند، ٢٧/ ١٤٤، وفي ٣٨/ ١٩٧، وفي ٣٨/ ١٤٥: ((حسن لغيره))، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ١/ ٣٩٩.

٤١- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك مِنْ فَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَمْلِكُهَا إِلاَّ أَنْتَ)) (٢). أخرجه الطبراني. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ١٥٩: ((رجاله رجال الصحيح غير محمد بن زياد وهو ثقة))، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ١/ ٤٠٤، برقم ١٢٧٨

٤٢- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَرَمِ، وَالتَّرَدِّي، وَالْهَدْمِ، وَالْغَمِّ، وَالْغَرَقِ، وَالْحَرَقِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِيَ الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوت فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا)) (١) أخرجه أبو داود، برقم ١٥٥٢، والنسائي، برقم ٥٥٣١، ورقم ٥٥٣٢، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ٣/ ١١٢٣، وصحيح سنن أبي داود،.

٤٣- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ؛ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ)) (٢). (٢) أخرجه أبو داود،

برقم ١٥٤٧، والنسائي، برقم ٥٤٨٣، وحسنه الألباني في صحيح النسائي، ٣/ ١١١٢.

٤٤- ((اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ، والكَسَلِ، والجُبْنِ، والبُخْلِ، والهَرَمِ، والقَسْوَةِ، والغَفْلَةِ، والعَيْلَةِ، والذِّلَّةِ، والمَسْكَنَةِ، وأعُوذُ بِكَ مِنَ الفَقْرِ، والكُفْرِ، والفُسُوقِ، والشِّقاقِ، والنِّفاقِ، والسُّمْعَةِ، والرِّياءِ، وأعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ، والبَكَمِ، والجُنُونِ، والجُذامِ، والبَرَصِ، وَسَيِّىءِ الأَسْقامِ)) (١). (١) أخرجه النسائي، برقم ٥٤٩٣، والحاكم، ١/ ٥٣٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ١/ ٤٠٦، وإرواء الغليل، برقم ٨٥٢.

٤٥- ((اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، [وَالْفَاقَةِ]، وَالْقِلَّةِ، وَالذِّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ)) (٢). (٢) أخرجه أبو داود، برقم ١٥٤٤،والنسائي، برقم ٥٤٧٥،وصححه الألباني في صحيح النسائي،٣/ ١١١١، وصحيح الجامع، ١/ ٤٠٧، وما بين المعقوفين عند ابن حبان (موارد)، وصححه الألباني، في صحيح موارد الظمآن، ٢/ ٤٥٥.

٤٦- ((اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ؛ فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ)) (٣). البخاري في الأدب المفرد، برقم ١١٧، والحاكم، ١/ ٥٣٢، وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه النسائي، برقم

٥٥١٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ١/ ٤٠٨، وصحيح النسائي، ٣/ ١١١٨.

٤٧- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، ومِنْ دُعَاءٍ لاَ يُسْمَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ، وَمِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلاَءِ الأَرْبَعِ)) (١). (١) الترمذي، برقم ٣٤٨٢، وأبو داود، برقم ١٥٤٩، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع، برقم ١٢٩٥، وصحيح النسائي، ٣/ ١١١٣.

٤٨- ((اللَّهُمَّ إِنّي أعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْمِ السُّوءِ، وَمِنْ لَيْلَةِ السُّوءِ، وَمِنْ سَاعَةِ السُّوءِ، وَمِنْ صَاحِبِ السُّوءِ، وَمِنْ جَارِ السُّوءِ في دَارِ الْمُقامَةِ)) (٢). (٢) أخرجه الطبراني وقال الهيثمي في الزوائد، ١٠/ ١٤٤: ((ورجاله رجال الصحيح)). وحسنه الألباني في صحيح الجامع، ١/ ٤١١، برقم ١٢٩٠

٤٩- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَسْتَجِيْرُ بِكَ مِنَ النَّارِ)) (ثَلاَثَ مَرَّاتٍ) (٣). (٣) أخرجه الترمذي، برقم ٢٥٧٢، وابن ماجه، برقم ٣٣٤٠، والنسائي، برقم ٥٥٣٦، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٢/ ٣١٩، وصحيح النسائي، ٣/ ١١٢١، ولفظه: ((من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهمّ أدخله الجنة ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهمّ أجره من النار)).

٥٠- ((اللَّهُمَّ فَقِّهْنِي فِي الدِّينِ)) (١). (١) يدل عليه رواية البخاري ومسلم في دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لابن عباس رضي لله عنهما. البخاري، برقم ١٤٣، ومسلم، برقم ٢٤٧٧.

٥١- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ أَعْلَمُ)) (٢). (٢) رواه أحمد، ٤/ ٤٠٣، وابن أبي شيبة، ١٠/ ٣٣٧، والطبراني في المعجم الأوسط،٤ / ٢٨٤، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ١٩.

((اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا)) (٣). أخرجه الترمذي، برقم ٣٥٩٩، وابن ماجه، برقم ٢٥٩،وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/ ٤٧.

٥٢- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا)) (١). (١) أخرجه ابن ماجه، برقم ٩٢٥،والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ١٠٢،وأحمد، ٦/ ٢٩٤، و٣٠٥، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/ ١٥٢.

٥٣- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا أَللَّهُ بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)) (٢). (٢) أخرجه النسائي، برقم ١٣٠٠، واللفظ

له، والنسائي في الكبرى، برقم ٧٦٦٥، وأبو داود، برقم ٩٨٥، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ١/ ١٤٧.

٥٤- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ [وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ] الْمَنَّانُ [يَا] بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ [الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ])) (١). (١) أبو داود، برقم ١٤٩٥، وابن ماجه، برقم ٣٨٥٨، والنسائي، برقم ١٢٩٩، والترمذي، برقم ٣٥٤٤، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/ ٢٧٩، وفي صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٢٩.

٥٥- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، الأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)) (٢). (٢) أبو داود، برقم ٩٨٥، والترمذي، برقم ٣٤٧٥، وابن ماجه، برقم ٣٨٥٧، وأحمد ٥/ ٣٦٠، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، ٣/ ١٦٣.

٥٦- ((رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ)) (٣).(٣) أبو داود، برقم ١٥١٨، والترمذي، برقم ٣٤٣٤، واللفظ له، والنسائي في الكبرى، بر قم ١٠٢٩٢، وابن ماجه، برقم ٣٨١٤، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٢١، وفي صحيح الترمذي، ٣/ ١٥٣.

٥٧- ((اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيماً لاَ يَنْفَدُ، وأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لاَ تَنْقَطِعْ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعَدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلاَ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ)) (النسائي، برقم ١٣٠٥، وأحمد، ٤/ ٢٦٤، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/ ٢٨٠، و١/ ٢٨١.)

٥٨- ((اللَّهُمَّ ارزُقني حُبَّكَ، وحُبَّ مَنْ يَنْفَعُني حُبُّهُ عندَك، اللَّهُمَّ ما رَزَقْتَني مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، اللَّهُمَ مَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغاً لِي فِيمَا تُحِبُّ)) (أخرجه الترمذي، برقم ٣٤٩١، وحسنه. وقال الشيخ عبد القادر الأرنؤوط: ((وهو كما قال)). انظر تحقيقه لجامع الأصول، ٤/ ٣٤١.)

٥٩- ((اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْهَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنْ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ)) (أخرجه مسلم، برقم ٤٧٦، والنسائي، برقم ٤٠٠.)

٦٠- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَالْجُبْنِ، وَسُوءِ الْعُمُرِ، وَفِتْنَةِ الصَّدْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ)) (النسائي، برقم ٥٤٦٩، ولفظه: ((كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتعوذ من خمس: من البخل،

والجبن، وسوء العمر، وفتنة الصدر، وعذاب القبر))، وأخرجه أبو داود، برقم ١٥٣٩، وحسنه الأرنؤوط في تخريجه لجامع الأصول، ٤/ ٣٦٣.)

٦١- ((اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَرَبَّ إِسْرَافِيلَ، أَعُوذُ بِكَ مِنَ حَرِّ النَّارِ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)) (أخرجه النسائي، برقم ١٣٤٤، وأحمد، ٦/ ٦١، والبيهقي في الدعوات، برقم ١٠٩، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ٣/ ١١٢١، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٥٤٤.)

٦٢- ((اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي)) (رواه الترمذي واللفظ له، ٥/ ٥١٩، برقم ٣٤٨٣، وأخرجه أحمد، ٢٣/ ١٩٧، برقم ١٩٩٩٢،، والحاكم، ١/ ٥١٠، بنحوه أيضاً. وقال محققو المسند عن الحديث عند أحمد، ٣٣/ ١٩٧: ((إسناده صحيح على شرط الشيخين ...))، وأما لفظ الترمذي فضعفه الألباني في ضعيف الترمذي، ص ٣٧٩.

٦٣- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ)) (أخرجه النسائي في الكبرى، برقم ٧٨٦٧، وابن ماجه، برقم ٣٨٤٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٢/ ٣٢٧، ولفظه: ((سلوا الله علماً نافعاً، وتعوذوا بالله من علم لا ينفع)).

٦٤- ((اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ [السَّبْعِ] وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ

وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ)) (أخرجه مسلم، برقم ٢٧١٣، عن أبي هريرة – رضي الله عنه –.

٦٥- ((اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُلُوبِنَا، وَأَزْوَاجِنَا، وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعَمِكَ مُثْنِينَ بِهَا عَلَيْكَ، قَابِلِينَ لَهَا، وَأَتِمِمْهَا عَلَيْنَا)) (أخرجه أبو داود، برقم ٩٦٩، والحاكم، واللفظ له ١/ ٢٦٥، وقال: ((صحيح على شرط مسلم))، ووافقه الذهبي، ١/ ٢٦، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٦٣٠)

٦٦- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَسْأَلَةِ، وَخَيْرَ الدُّعَاءِ، وَخَيْرَ النَّجَاحِ، وَخَيْرَ الْعَمَلِ، وَخَيْرَ الثَّوَابِ، وَخَيْرَ الْحَيَاةِ، وَخَيْرَ الْمَمَاتِ، وَثَبِّتْنِي، وَثَقِّلْ مَوَازِينِي، وَحَقِّقْ إِيمَانِي، وَارْفَعْ دَرَجَاتِي، وَتَقَبَّلْ صَلَاتِي، وَاغْفِرْ خَطِيئَتِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ العُلَا مِنَ الْجَنَّةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَوَاتِحَ الْخَيْرِ، وَخَوَاتِمَهُ، وَجَوَامِعَهُ، وَأَوَّلَهُ، وَظَاهِرَهُ، وَبَاطِنَهُ، وَالدَّرَجَاتِ الْعُلَا مِنَ الْجَنَّةِ آمِينْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا آتِي، وَخَيْرَ مَا أَفْعَلُ، وَخَيْرَ مَا أَعْمَلُ، وَخَيْرَ مَا بَطَنَ، وَخَيْرَ مَا ظَهَرَ،

وَالدَّرَجَاتِ العُلَا مِنَ الْجَنَّةِ آمِينْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أنْ تَرْفَعَ ذِكْرِي، وَتَضَعَ وِزْرِي، وَتُصْلِحَ أمْرِي، وَتُطَهِّرَ قَلْبِي، وَتُحَصِّنَ فَرْجِي، وَتُنَوِّرَ قَلْبِي، وَتَغْفِرَ لِي ذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا مِنَ الْجَنَّةِ آمِينْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أنْ تُبَارِكَ فِي نَفْسِي، وَفِي سَمْعِي، وَفِي بَصَرِي، وَفِي رُوحِي، وَفِي خَلْقِي، وَفِي خُلُقِي، وَفِي أَهْلِي، وَفِي مَحْيَايَ، وَفِي مَمَاتِي، وَفِي عَمَلِي، فَتَقَبَّلْ حَسَنَاتِي، وَأَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ العُلَا مِنَ الْجَنَّةِ، آمِينْ)) (١ أخرجه الحاكم عن أم سلمة مرفوعاً، ١/ ٥٢٠، وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٥٢٠، والبيهقي في الدعوات، برقم ٢٢٥، والطبراني في الكبير، ٢٣/ ٣٢٦، برقم ٧١٧.)

٦٧- ((اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ اَلْأَخْلَاقِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَدْوَاءِ)) (أخرجه الحاكم، ١/ ٥٢٣، وقال: ((صحيح على شرط مسلم))، ووافقه الذهبي، ١/ ٥٣٢، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ١٩/ ١٩ برقم ٣٦، وصححه الألباني في ظلال الجنة، برقم ١٣.)

٦٨- ((اللَّهُمَ قَنِّعْنِي بِمَا رَزَقْتَنِي، وَبَارِكْ لي فِيهِ، وَاخْلُفْ عَلَيَّ كُلَّ غَائِبَةٍ لِي بِخَيْرٍ)) (أخرجه الحاكم، ١/ ٥٣٢، وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٥١٠، عن ابن عباس رضي الله عنهما، والبيهقي في الآداب، برقم ١٠٨٤، وفي الدعوات الكبير، ٢١١، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتوحات الربانية، ٤/ ٣٨٣.)

٦٩- ((اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابَاً يَسِيراً)) (رواه أحمد، ٦/ ٤٨، والحاكم، ١/ ٢٥٥، وقال: ((صحيح على شرط مسلم))، ووافقه الذهبي، ١/ ٢٥٥، قالت عائشة رضي الله عنها: فلما انصرف قلت: يا نبي الله ما الحساب اليسير؟ قال: ((أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه إنه من نوقش الحساب يومئذ يا عائشة هلك، وكل ما يصيب المؤمن يكفر الله – عز وجل – به عنه حتى الشوكة تشوكه))، وقال عنه العلامة الألباني في مشكاة المصابيح: ((وإسناده جيد)).

٧٠- ((اللَّهُمَّ أعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)) (أخرجه أحمد، ٢/ ٢٩٩، والحاكم، ١/ ٤٩٩، وصححه، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، وهو عند أبي داود، برقم ١٥٢٤، والنسائي في الكبرى، برقم ٩٩٧٣، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٣٤.)

٧١- ((اللَّهُمّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لاَ يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لاَ يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ مُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وسلم – فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ)) (١ أخرجه ابن حبان (موارد)، ص ٦٠٤، برقم ٢٤٣٦، عن ابن مسعود – رضي الله عنه – موقوفاً، ورواه أحمد من طريق آخر، ١/ ٣٨٦، ٤٠٠، والنسائي في عمل اليوم والليلة، برقم ٨٦٩، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، تحت رقم ٢٣٠١ ..)

٧٢- ((اللَّهُمَّ قِنِي شَرَّ نَفْسِي، وَاعْزِمْ لِي عَلَى أَرْشَدِ أَمْرِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَخْطَأْتُ، وَمَا عَمَدْتُ، وَمَا

عَلِمْتُ، وَمَا جَهِلْتُ)) (أخرجه النسائي في الكبرى، ٦/ ٢٤٦، برقم ١٠٨٣٠، والحاكم، ١/ ٥١٠ وصححه، ووافقه الذهبي، وأخرجه أحمد، ٤/ ٤٤٤، والمسند المحقق، ٣٣/ ١٩٧، برقم ١٩٩٩٢، وقال الحافظ في الإصابة: ((إسناده صحيح))، وصححه الألباني في تخريج رياض الصالحين، في تعليقه على الحديث رقم ١٤٩٥.

٧٣- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ)) (أخرجه النسائي، برقم ٥٤٧٥، وأحمد ٢/ ١٧٣، وصححه الألباني في صحيح النسائي،٣ / ١١١٣.)

٧٤- ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي، وَعَافِنِي، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ضِيقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) (٢). (٢٩)النسائي، برقم ١٦١٧، وابن ماجه، برقم ١٣٥٦، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي، ١/ ٣٥٦، وفي صحيح ابن ماجه، ١/ ٢٢٦)

٧٥- ((اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِسَمْعِي، وَبَصَرِي، وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ يَظْلِمُنِي، وَخُذْ مِنْهُ بِثَأْرِي)) (أخرجه الترمذي، برقم ٣٦٨١، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٥٠، والحاكم، ١/ ٥٢٣، وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٨٨.

٧٦- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِيشَةً نَقِيَّةً، ومِيتَةً سَوِيَّةً، ومَرَدّاً غَيْرَ مَخْزٍ ولا فاضِحٍ)) (أخرجه الحاكم، ١/ ٥٤١، وزوائد مسند البزار، ٢/

٤٤٢، برقم ٢١٧٧، والطبراني في الدعاء، برقم ١٤٣٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ١٧٩: ((إسناد الطبراني جيد)).

٧٧- ((اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لاَ قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلاَ بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلاَ هَادِيَ لِمَنْ أَضْلَلْتَ، وَلاَ مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلاَ مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ، وَرَحْمَتِكَ، وَفَضْلِكَ، وَرِزْقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لاَ يَحُولُ وَلاَ يَزُولُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ، وَالأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَنَا، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ، وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ مَفْتُونِينَ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ، اللَّهُمَّ قَاتِلْ كَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ، إِلَهَ الْحَقِّ [آمِينْ])) (أحمد بلفظه، ٣/ ٤٢٤، و٢٤/ ٢٤٦، برقم ١٥٤٩٢، وما بين المعقوفين للحاكم، ١/ ٥٠٧، ٣/ ٢٣ - ٢٤، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٩٩، وصححه الألباني في تخريج فقه السيرة، ص ٢٨٤، وفي صحيح الأدب المفرد للبخاري، برقم ٥٣٨، ص ٢٥٩، وقال محققو المسند، ٢٤/ ٢٤٦: ((رجاله ثقات)).

٧٨- ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي)) (مسلم، برقم ٢٦٩٦، ورقم ٢٦٩٧، وفي رواية لمسلم: ((فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك))، وفي سنن أبي داود، برقم ٨٥٠: قال: ((فلما ولَّى الأعرابي قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((لقد ملأ يديه من الخير)).

((... وَاجْبُرْنِي، وَارْفَعْنِي)) (٣). (٣) انظر: الترمذي، برقم ٢٨٤، وابن ماجه، برقم ٨٩٨، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/ ١٤٨، وصحيح الترمذي، ١/ ٩٠.)

٧٩- ((اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا)) (الترمذي، ٥/ ٣٢٦، برقم ٣١٧٣، والحاكم، ٢/ ٩٨، وصححه، وحسنه الشيخ عبد القادر الأرنؤوط في تحقيقه لجامع الأصول، ١١/ ٢٨٢، برقم ٨٨٤٧.

٨٠- ((اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي فَأَحْسِنْ خُلُقِي)) (أخرجه أحمد، ٦/ ٦٨، و١٥٥، و١/ ٤٠٣، وابن حبان (٢٤٢٣ - موارد)،والطيالسي،٣٧٤، ومسند أبي يعلى، برقم ٥٠٧٥، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ١/ ١١٥، برقم ٧٤.

٨١- ((اللَّهُمَّ ثَبِّتْنِي وَاجْعَلْنِي هَادِياً مَهْدِيًّا)) (دلّ عليه دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لجرير - رضي الله عنه -. انظر: البخاري، برقم ٦٣٣٣، وكذلك بأرقام ٣٠٢٠، ٣٠٣٦، وغيرها ..

٨٢- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْباً سَلِيماً، وَلِسَاناً صَادِقاً، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ)) (أحمد، ٢٨/ ٣٣٨، برقم ١٧١١٤، و٢٨/ ٣٥٦، برقم ١٧١٣٣، والترمذي، برقم ٣٤٠٧، والطبراني في المعجم الكبير بلفظه، برقم ٧١٣٥، وبرقم ٧١٥٧، و٧١٧٥، ورقم ٧١٧٦، و٧١٧٧، و٧١٧٨، و٧١٧٩، و ٧١٨٠، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، ٣/ ٢١٥، برقم ٩٣٥، و٥/ ٣١٠، برقم ١٩٧٤، وحسنه شعيب الأرنؤوط في صحيح ابن حبان، ٥/ ٣١٢، وحسنه بطرقه محققو المسند، ٢٨/ ٣٣٨، وذكره الألباني سلسلة الأحاديث الصحيحة في المجلد السابع، برقم ٣٢٢٨، وفي صحيح موارد الظمآن، برقم ٢٤١٦، ٢٤١٨، وقال: ((صحيح لغيره)).

٨٣- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْفِرْدَوْسَ أَعْلَى الْجَنَّةِ)) (مأخوذ من قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((... فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ

الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ)). البخاري، برقم ٢٧٩٠، ورقم ٧٤٢٣.)

٨٤- ((اللَّهُمَّ جَدِّدِ الإِيْمَانَ فِي قَلْبِي)) (مقتبس من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((إنّ الإيمانَ لَيَخْلَقُ في جَوْفِ أحدِكُمْ كما يَخْلَقُ الثَّوْبُ الخَلَقُ، فاسْأَلُوا اللَّهَ أن يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلُوبِكُمْ))، الحاكم، ١/ ٤، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١/ ٥٢: ((رواه الطبراني في الكبير، وإسناده حسن))، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤/ ١١٣، برقم ١٥٨٥.)

٨٥- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ صَلَاةٍ لَا تَنْفَعُ)) (أبو داود، برقم ١٥٤٩، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ١/ ٤٢٤.)

٨٦- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ، وَمِنْ زَوْجٍ تُشَيِّبُنِي قَبْلَ المَشِيبِ، وَمِنْ وَلَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ رَبّاً، وَمِنْ مَالٍ يَكُونُ عَلَيَّ عَذَابَاً، وَمِنْ خَلِيْلٍ مَاكِرٍ عَيْنُهُ تَرَانِي، وَقَلْبُهُ يَرْعَانِي؛ إِنْ رَأَى حَسَنَةً دَفَنَهَا، وَإِذ رأَى سَيِّئَةً أَذَاعَهَا)) (الطبراني في الدعاء، ٣/ ١٤٢٥، برقم ١٣٣٩، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٧/ ٣٧٧، برقم ٣١٣٧:((قلت: وهذا إسناد جيد، رجاله كلهم من رجال التهذيب)).

٨٧- ((اللَّهُمَّ لاَ تُخْزِنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) (أحمد في المسند، ٢٩/ ٥٩٦، برقم ١٨٠٥٦، وقال محققو المسند: ((إسناده صحيح))،

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ٣/ ٢٠، برقم ٢٥٢٤ بلفظ: ((اللهم لا تخزني يوم القيامة، ولا تخزني يوم البأس)).

٨٨- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)) (ابن ماجه، برقم ٣٨٥١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٣/ ٢٥٩، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١١٣٨.)

٨٩- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، وَعَمَلٍ لاَ يُرْفَعُ، وَقَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، وَقَوْلٍ لاَ يُسْمَعُ)) (أخرجه ابن حبان، برقم ٢٤٤٠ (موارد)، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمآن، ٢/ ٤٥٤، برقم ٢٠٦٦.)

٩٠- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ)) (البخاري، برقم ٦٣٦٣، قال أنس: ((كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ-صلى الله عليه وسلم - كُلَّمَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ:((اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ ...)).

٩١- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجالِ)) (مسلم، برقم ٢٨٦٧، وفيه: ((تَعَوَّذُوا بِاَللَّهِ مِنْ عَذَاب النَّار)) ، [تَعَوَّذُوا بِاَللَّهِ مِنْ عَذَاب الْقَبْر ...] إلى آخره.)

٩٢- ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ شَهَادَةً فِي سَبِيلِكَ)) (مسلم، برقم ١٩٠٩، مقتبس من قوله - صلى الله عليه وسلم -: ((مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ)).

٩٣- ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَأَدْخِلْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُدْخَلاً كَرِيمًا)) (البخاري، برقم ٤٣٢٣، ومسلم، برقم ٢٤٩٨، وهو مقتبس من دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم – لعُبَيْدٍ أبي عامر، ومن دعائه – صلى الله عليه وسلم – لأبي بردة رضي الله عنهما.)

٩٤- ((اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّمَا قَضَيْتَ، إِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ)) (أحمد في المسند، ٣/ ٢٤٩، برقم ١٧٢٣، وقال محققو المسند، ٣/ ٢٤٩: ((إسناده صحيح))، وهذه رواية مطلقة غير مقيدة بالوتر كما جاء في الرواية الأخرى، ففي هذه الرواية قال أنس – رضي الله عنه –: ((وكان يعلمنا هذا الدعاء ...)).

٩٥- ((رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)) (مسلم، برقم ٢١٤، قيل للنبي – صلى الله عليه وسلم –: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ ابْنَ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: ((لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ)).

٩٦- ((أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، الحَيُّ القَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيهِ)) (الترمذي، برقم ٣٥٧٧، وصححه الألباني في صحيح

الترمذي، ٣/ ٤٦٩: ((مَنْ قَالَهُ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنْ الزَّحْفِ)).

٩٧- ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي، وَأَعِذْنِي مِنْ مُضِلاتِ الْفِتَنِ)) (مأخوذ من دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لعائشة رضي الله عنها: ((اللهمَّ اغفرْ لهَا ذنبَهَا، وأذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِهَا، وَأَعِذْهَا مِنْ مُضِلاّتِ الفِتَنْ)) أخرجه ابن عساكر بإسناده في ((الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين))، ص ٨٥ عن عائشة رضي الله عنها، وقال: ((هذا حديث صحيح حسن، من حديث بقية بن الوليد))، وأخرجه ابن السني بنحوه في عمل اليوم والليلة، برقم ٤٥٧، وفي نسخة أخرى لابن السني قال: ((وأجرني من الشيطان)) بدل: ((من مضلات الفتن))، وانظر تخريجه عند الألباني في الضعيفة، برقم ٤٢٠٧.)

٩٨- ((اللَّهُمَّ أَحْيِنِي عَلَى سُنَّةِ نَبِيِّكَ - صلى الله عليه وسلم - وَتَوَفَّنِي عَلَى مِلَّتِهِ، وَأَعِذْنِي مِنْ مُضِلاَّتِ الْفِتَنِ)) (أخرجه البيهقي في الكبرى، ٥/ ٩٥ من دعاء ابن عمر موقوفاً عليه، وقد نقل ذلك ابن الملقن في البدر المنير، ٦/ ٣٠٩، وقال نقلاً عن الضياء: ((إسنادها جيد)). وقال ابن مسعود - رضي الله عنه -: ((لا يقل أحدكم: اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، فليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة؛ لأن الله يقول: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ { التغابن: الآية ١٥ }، فأيكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات

الفتن))، أخرجه ابن جرير، في تفسيره، ١٣/ ٤٧٥، برقم ١٥٩١٢، وذكره ابن بطال في شرحه على صحيح البخاري، ٤/ ١٣.)

٩٩- ((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، [فِي الْعَالَمِينَ] إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)) (البخاري، برقم ٣٣٧٠، وما بين المعقوفين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عند مسلم، برقم ٤٠٥ ..).

الباب الثاني عشر
الفصل السابع
الوصايا
في الحديث النبوي الشريف

١- وصايا النبي صلى الله عليه وسلم:

ترك لنا النبي صلى الله عليه وسلم مجموعة كبيرة من الوصايا في الجوانب الأخروية ، والجوانب الدنيوية (اجتماعيا وإنسانيا وفكريا وأسريا .....) والمتصفح لهذه الوصايا تغنيه في مسيرة حياته وترشده إلى طريق الخير

٢- قيمة وصايا النبي صلى اللله عليه وسلم

٣- من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم

قال تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ { النجم : الآية ٣-٤ }

(١) الوصية الأولى : أكثروا من قول لا حول ولا قوه إلا بالله

الشرح: نعم أكثر من قول لا حول ولا قوه إلا بالله كي تعلم أن القوة منه لا منك وعندما تجد أي قوة فيك ((قل إنها هبة الله و إن شاء سلبها)) و لا تكن كمثل ما قال قارون قال : { إنما أوتيتها على علم من عندي } [ ] ، فقال الله له احفظها بعلمك فخسف به وبدارة الأرض ، إذن الحق سبحانه وتعالى يريد منا أن نكون ذاكرين دائما لقوه الله تعالى .

(٢) الوصية الثانية : اتق المحارم تكن اتقى الناس .

الشرح : نعم كل شيء حرمه الله ابعد عنه لتسلب عن نفسك المعاصي أولاً ثم افعل إيجاب في الطاعة ، و اسلب المعصية أولاً ، لأن الطاعة ثوابها سيكون لك أما المعصية فمن الممكن أن تكون بضرر لغيرك فكف عنها أولاً ثم افعل الطاعة ثانياً و بذلك تكن أتقى الناس .

(٣) الوصية الثالثة : رُفعت الأقلام و جفت الصحف .

الشرح : نعم لأن كل شيء تم ترتيبة من الله تعالى، فإذا قضى الله تعالى أمراً فلا ينقض أمر الله تعالى أحد، فقد تم ترتيب كل شيء بأمر من الله .

(٤) الوصية الرابعة : من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً .

الشرح : نعم لأنه كلما ارتقت الدنيا كلما زادت الشهوات ، فمنذ زمن كنا نركب الخيل للمواصلات أما الأن فأصبحت هناك سيارات و طائرات للسفر ، فكلما زاد التطور في الدنيا كلما زادت الشهوات ، فإن لم يستطيع الإنسان أن يتمسك بدينة فسيميل الإنسان إلى شهوات نفسة ، فيجب علينا ان نتقى الله و نفعل ما يريده الله و نبتعد عن ما نهاه الله .

(٥) الوصية الخامسة : صل الصلاة لوقتها .

الشرح : الحق سبحانه و تعالى يريد أن يديم صله الإنسان به ، فالذي خلقك يستدعيك إلى لقائه ليخفف عنك ما ألم بك من متاعب و يعطى لك طاقة من الإيمان واعلم أن لك ربا يدعوك ليحتفي بك فإن طلبك للقائه فلا تؤجل لقائه لأنه سيمدك بطاقة إيمانية كبيرة .

(٦) الوصية السادسة : أفشوا السلام بينكم .

الشرح : نعم لأن الإنسان إذا كان جالس وطرأ علي طارىء فإن نفسة تحدثة هل جاء بشر أم جاء بخير ؟! فإن قال : السلام عليكم و رحمة الله و بركاته فإن هذا دليل أنه قدم بخير و ليس بشر فيحدث طمأنينة بين الطرفين .

(٧) الوصية السابعة : أحدث لكل ذنب توبة .

الشرح : نعم ، أي لا تغفل ، فإن فعلت ذنبا يجب أن تلحقه بندم و توبة و لكن لا تدم على هذا الذنب لأن الراجع عن توبته

كالمستهزئ بربه ، فيجب عليك أن تتوب سريعاً وتندم على فعل هذا الذنب .

(٨) الوصية الثامنة : إذا استعنت فاستعن بالله .

الشرح : نعم لأن قول الله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين﴾ { الفاتحة : الآية ٥ } ، أي حببني في عبادتك و امنحني إشراقها حتى أتشجع وتقوى عبادتي ، لكن الاستعانة بالله ليست في كل شيء .

(٩) الوصية التاسعة : أحسن لجارك .

الشرح : نعم لأن أول ما تقول عند الفزع ، يا فلان ((تنادى على جارك)) ولا تنادى على أحد آخر ، فجارك هو المطلع على عوراتك وهو المواجه لك في جميع أحوالك سواء المسيئة أو السارة فيجب عليك أن تحسن جوار جارك لأنك إذا أحسنت جواره فقد وجب عليه أن يحسنه هو الآخر و بذلك تكون قد أخذت إحسانا من الناحيتين .

(١٠) الوصية العاشرة : احفظ الله يحفظك .

الشرح : أي لا تعتدى على محارمه لأنك إذا أمرت أمراً أو نهيت نهياً فخالفته فيه فكأنك لم تحفظ عهده معك .

الباب الثاني عشر
الفصل الثامن
المناظرات
في عصر صدر الإسلام

المناظرات من أهم أشكال الخطاب الأدبي في هذا العصر لأن القرآن الكريم قد فتح للناس باب الحوار للوصول إلى الحقيقة ومن المناظرات المتخيلة في هذا العصر

١- مناظرة الله عز وجل مع العبيد:

يروى: أن الله تعالى يخاطب عبده ويقول: ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل فيقول: بلى يا رب فيقول: أظننت أنك ملاقيّ فيقول: لا فيقول: إني أنساك كما نسيتني وقال النبي صلّى الله عليه وسلم: إن الله يدني المؤمن يوم القيامة حتى تقع عليه الهيبة فيقول: أي عبدي أتعرف ذنب كذا وكذا فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى العبد في نفسه أنه قد هلك فيقول إني قد سترتها عليك في الدنيا وقد غفر بها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه وقال الله تعالى ﴿ وَقُلْ لِعِبادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ ، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ ﴾ [ ]. يا موسى بن عمران قل لعبادي اعملوا ما شئتم، فإن مع اليوم غدا يا عبادي أنتم رفعتم أنسابكم ووضعتم نسبي، فاليوم أضع أنسابكم وأرفع نسبي أين المتقون، وقال: يا موسى أشكو إليك جفاء عبادي استقرضتهم فلم يقرضوني ودعوتهم فلم يجيبوني وأعطيتهم فلم يشكروني يا ابن آدم خلقتك لتربح عليّ ولم أخلقك لأربح عليك فاتخذني بدلا من كل شيء يا ابن آدم لو يعلم الناس منك ما أعلم لنبذوك ولكن سأغفر لك، ما لم تشرك بي.

٢- مناظرة النبي صلّى الله عليه وسلم مع النصارى:

جاء وفد نجران إلى النبي صلّى الله عليه وسلم وقالوا: إذا لم يكن عيسى ولد الله تعالى فمن أبوه فقال: النبي صلّى الله عليه وسلم : ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه ؟ قالوا بلى قال: ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء ؟ قالوا بلى . قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيوم على كل شيء، يحفظه ويرزقه ؟ قالوا بلى، قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئا ؟ قالوا لا قال: فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء ؟ وربنا لا يأكل، ولا يشرب ولا يموت قالوا بلى قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته وغذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم

ويشرب ويحدث ؟ قالوا بلى. قال: فكيف يكون ربنا؟ فسكتوا وانقطعوا.

٣- مناظرة الروح

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم تزل الخصومة دائمة إلى يوم القيامة حتى تختصم الروح مع الجسد فيقول الجسد أي رب خلقتني كالجبة ولم تجعل لي يدا أبطش بها ولا رجلا أمشي بها ولا عينا أبصر بها حتى دخل هذا عليّ كالشهاب فبه نطق لساني وسمعت أذني وأبصرت عيني وبطشت يدي فأحل عليه العذاب ونجني من النار، فتقول الروح يا رب خلقتني كالريح، ولم تجعل لي يدا ولا رجلا وعينا وسمعا فلم أتحرك إلا بحركته ولم أسكن الا بسكونه فما ذنبي وما جرمي يا رب ؟ أحل عليه العذاب ونجني قال: فيضرب الله تعالى لهما مثلا : كالأعمى والمقعد يصطحبان أما الاعمى فلا يبصر والمقعد لا يقدر على المشي فبلغا إلى بستان فجلسا وتشاورا وطلبا حيلة فقال الأعمى أنا لا أبصر فمر أنت وائت بالعنب وقال المقعد: بل مر أنت فإني لا أقدر على المشي، ثم تناظرا وتناصفا وقالا هذا أمر لا يتم بأمر دون الآخر، يا أعمى، قم أنت فارفعني حتى أتسلق الحائط وأقطف العنب فلما توافقا قطعا العنب وأكلاه وقال المقعد: لولا أنت يا أعمى لما أكلت وقال الأعمى لولا أنت لما أكلت فكل واحد، محتاج إلى صاحبه لولا الروح لكان القالب خشبا مسندة ولولا القالب

لما كان روح فكل واحد فاعل وعامل من وجه فيكون الخطاب والثواب والعقاب لهما جميعا فافهم واعلم.

٤- مناظرة إبليس لعنه الله:

في الخبر: أنه جاء إبليس الى النبي صلّى الله عليه وسلم وهو شيخ أعور كوسج ليس في وجهه غير تسع شعرات مشقوق طولا بخلاف الآدمي وله نابان خارجان، فقال النبي صلّى الله عليه وسلم: من أبغض الناس إليك؟ قال: أنت يا محمد قال: ثم من؟ قال: شاب تقي قال: ثم من؟ قال: عالم ورع قال: ثم من؟ قال: سلطان عادل والمقيم على الطهارة قال: ما تقول في أبي بكر؟ قال: لم يطعني في الجاهلية بكذبة فكيف في الاسلام، قال: فمن ضيفك من أمتي؟ قال: مبغض أبي بكر وعمر قال: فمن خازنك؟ قال: مانع الزكاة قال: فمن خليلك؟ قال: آكل الربا قال: فمن جليسك؟ قال: تارك الصلاة قال: فمن ضجيعك ؟ قال: السكران والسارق قال: فمن صهرك؟ قال: الزاني قال: فمن رسولك؟ قال: الساحر قال: فمن قرة عينك؟ قال: الذي يحلف بالطلاق قال: فما يكسر ظهرك؟ قال: صهيل الفرس في سبيل الله عز وجل قال: فما يذيب جسمك؟ قال: توبة التائب قال: فما يخزى وجهك؟ قال: صدقة السر قال: فما يطمس عينك؟ قال: صلاة السحر قال: فأي الناس أشقى عندك؟ قال: الأسخياء، والقدرية إخواني ، والعلماء والفقهاء يغلبونا مرة ونغلبهم أخرى وإني

نصحت نوحا فأمره الله تعالى أن يعمل بنصيحتي فقلت له: إياك والعجلة فان قابيل عجل قتل هابيل، فأصبح من النادمين وإياك والعجب فإني أول من أعجب بنفسه وإياك والحسد، فإني أول من حسد وإياك والكذب فاني أول من حلف بالله كاذبا، ثم قال: والذي بعثك بالحق إني ألعب بثلثي أمتك كما تلعب الصبيان بالكرة، ثم قال: ما حبائلك؟ قال: النساء، قال: وأين بيتك؟ قال: الحمامات قال: وأين مسكنك؟ قال: الأسواق قال: وما قرآنك؟ قال: الشعر والهجاء قال : وما غناؤك؟ قال: الأوتار والعود والطنبور، قال: ومن رسولك؟ قال : الكهان والمنجمون قال: ومن أمتك؟ قال: الشياطين ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: هل لك أن تتوب يا أبا مرة وأضمن لك الجنة؟ قال: لو أراد مني التوبة لتبت ولكن قضاؤه غلب توبتي.

٥- مناظرة أهل القبور مع أهل القصور: واعلموا أنهم مناظرون أهل القصور بلسان الحال ولسان الحال أعدل من لسان المقال، فيقولون يا أهل القصور لا تنسوا أهل القبور وارحموا ضعفنا ومسكنتنا، يا معشر الإخوان ارحمونا يرحمكم الله فقد أكلنا التراب وقد سالت العيون وتفرقت الخدود وتمزقت القدود مساكين أهل القبور عن يمينهم التراب وعن يسارهم التراب ومن خلفهم التراب ومن أمامهم التراب، كنا أهل القصور فصرنا أهل القبور كنا أهل النعمة، فصرنا أهل الوحشة والمحنة قد سالت العيون وصدئت

الجفون وانقطعت الأوصال وبطلت الآمال. صار الضحك بكاء والصحة داء والبقاء فناء والشهوة حسرات والتبعات زفرات فما بيدنا إلا البكاء والحسرات نفدت الأعمار وبقيت الأوزار، هيهات هيهات ولات حين مناص حسرتنا أن ندرك وقتا نصلي فيه ركعتين ولا نقدر وأنتم تقدرون فاغتنموا معشر إخواننا نحن قوم محرومون وحيل بينهم وبين ما يشتهون فاذكرونا بالخير وواسونا بالصدقة فإنا مساكين وأنتم أغنياء ميامين مساكين أهل القبور ما أشد بلاءهم وأعظم حسراتهم، لنا الويل الطويل والحسرة والزفير وأنتم تفعلون ما تشتهون ونحن كما قال الله تعالى ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ما يَشْتَهُونَ ﴾ { سبأ : الآية ٥٤ }، يا معشر الأصحاب الغياث من التراب، وإن نمنا فعلى التراب، وإن استيقظنا فعلى التراب، وإن اضطجعنا فعلى التراب، على اليمين تراب، وعلى الشمال تراب، واحسرتاه من التراب، واوحدتاه من التراب، فكم من حسرة تحت التراب

يا حسرة ما أكاد أحملها ... آخرها مزعج وأولها

لنا ما قدمنا وعلينا ما خلفنا تبا للجاه والمال، وتعسا للدنيا وسوء الحال:

أنوح على نفسي وأبكي خطيئة ...

نقود خطايا أثقلت مني الظهرا

فيا لذة كانت قليلا بقاؤها ...

ويا حسرة دامت ولم تبق لي عذرا

إني أرى هذه الدنيا وزخرفها ...

خضاب غانية أو حلم وسنان

وإن امرأ دنياه أكبر همه ...

لمستمسك منها بحبل غرور

إني لأعلم واللبيب خبير ...

أن الحياة وإن حرصت غرور

ومن صحب الدنيا على جور حكمها ...

فأيامه محفوفة بالمصائب

عجبا عجبت لغفلة الانسان ...

قطع الحياة بغرة وتوان

فكرت في الدنيا فكانت منزلا ...

عندي كبعض منازل الركبان

أبغي الكثير على الكثير تضاعفا ...

ولو اقتصرت على القليل كفاني

مجرى جميع الخلق فيها واحد ...

وكثيرها وقليلها سيان

لله در الوارثين كأنني ...

بـأخـصـهـم مـتـبـرم بـمـكـانـي

يا معشر الإخوان لا تنسونا من الدعاء والصدقة فكنا زمانا أحياء بمنزلتكم فصرنا أسراء تحت صدقتكم اخبرونا كيف أيتامنا، أنشدكم الله كيف آباؤنا وأبناؤنا كيف معارفنا وأصدقاؤنا أين الآباء والاخوان أين الاصدقاء والولدان؟ .

أبكي فراقهم عيني وأرقها ... أن التفرق للأحباب بكاء

أخبرونا ما حال أزواجنا وما عاقبة أصدقائنا وما عاقبة أموالنا ارحموا أيتامنا وأعطفوا على أطفالنا، هيهات أن يرجع ما قد فات يا أيها المغرور بزهرة الدنيا وسلامة الوقت هلا اعتبرت بتغير الأزمان وموت الاخوان هذا والله غاية الظلم والعدوان أصحاب القصور ابكوا علينا ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ { الزخرف : الآية ٧٧ } اشتقنا الى أولادنا وسئمنا طول مقامنا وطال حسابنا وعذابنا فما هذه العلل وحتام هذا المهل، يا أهل القصور الأعمال قد انقطعت والحسرات قد بقيت والاموال قد فنيت والأزواج قد نكحت والدور قد خربت، فيا أهل القصور: الاعتبار الاعتبار، ويا أهل الدور: الاعتذار، الاعتذار، كل يوم يأتينا خطاب الجبار كيف أنتم يا عبادي كيف أنتم أيها المحبوسون، كيف أنتم يا أهل القبور والسجون ﴿ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ { النجم : الآية

٥٧-٥٨ }.(دخل أمير المؤمنين علي بن ألب طالب رضي الله عنه المقبرة) وقال: السلام عليكم إن دياركم قد سكنت، وإن أزواجكم قد نكحت وأموالكم قد قسمت هذا خبركم عندنا فما خبرنا عندكم فهتف به هاتف: عليكم السلام يا ابن أبي طالب خبرنا ما عملنا ربحنا وما قدمنا وجدنا وما خلفنا خسرنا، فأقبل علي على أصحابه وقال: يا أصحابي﴿ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى وَاتَّقُونِ يا أُولِي الْأَلْبابِ﴾ { البقرة : الآية ١٩٧ }

٦- مناظرة الاغنياء مع الفقراء ومناظرة الفقراء مع الاغنياء:

-قال الفقراء للأغنياء : نحن أفضل منكم فإن محمدا صلّى الله عليه وسلم اختار الفقر على الغنى

-وقال الاغنياء: بل نحن أفضل منكم إن الغني صفة الرب والله الغني وأنتم الفقراء -قال الفقراء: نحن أفضل فإن حسابنا أقل ومن قل شيئه قل حسابه ومن كثر شيئه كثر حسابه ومن طال حسابه طال عذابه ومن نوقش الحساب عذب على قدر جرم الفيل تبنى قوائمه

-وقال الاغنياء: بل نحن أفضل لأن صدقاتنا وزكواتنا أكثر فيكون ثوابنا أكثر

– قال الفقراء : يموت أحدنا وحاجته في صدره ولم تقض ويموت أحدكم وقد قضى منها وطرا فكيف يستويان؟ يقال لكم ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا ﴾ { الأحقاف : الآية ٢٠ }

–قال الاغنياء: لا تتهيأ لكم شرائع الإسلام والإيمان فلا تحجون ولا تزكون ولنا فضول أموال نحج ونزكي ونغزوا والحسنة بعشر أمثالها وويل لمن غلبت آحاده عشراته فنحن أفضل منكم

–فقال: الفقراء إذا لم يجب علينا لا نطالب بقضائها وأدائها وأما أنتم فتسألون عن كل ذرة وحبة حرفا حرفا ، وتحاسبون ألفا ألفا ، وقد قال النبي صلّى الله عليه وسلم: (لا تزول قدما عبد عن الصراط حتى يسأل عن أربع عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه) ، فنحن أفضل منكم –فقال الاغنياء: نحن أفضل منكم نشتري بالمال الأسرى ونتصدق على المساكين ونسر المسلمين والمال سبب لإدخال السرور على الاخ المؤمن،

–قال الفقراء: إن كنتم اكتسبتم بها الأجر والثواب وإدخال السرور فأنا قد استفدنا بالفقر الراحة والقناعة وقلة الهم والغم، فإن الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن

– قال الأغنياء: المال عدة الزمان وعدة الانسان والغنى قرة العين به يتقرب العبد إلى طاعة الله تعالى والنفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت وأما الفقير فحيٌّ كميت لا عيش له ولا قرار،

–قال الفقراء: عرفتم شيئا وغابت عنكم أشياء فإن المال سبب الحرص والحسد والكبر والعجب والفتنة والخصومة وأهل الدنيا يتقاتلون عليها ويتناحرون وهذه الآفات بمنزلة العقارب والحيات، فمن سلم من الحيات لدغته العقارب وأما الفقراء فلا حرص ولا حسد ولا كبر ولا عجب طرحوا وفرحوا

–قال الاغنياء: أخطأتم شتان بين من قدر فترك وبين من لا يقدر فيعجز فأنتم أصحاب العجز ونحن أصحاب القدرة فكيف يتفقان إنا وجدنا الأموال واشترينا بها الجنان والثواب وعجزتم عن ذلك فانظروا إلى هذا البيان والبرهان

–قال الفقراء: المال روح الدنيا والدنيا يبغضها الله أما الفقر فهو غنى والغنى يحبه الله فإن الله موجود حقيقي ومن سواه فموجود مجازي

–قال الاغنياء: تأملوا ما تقولون فخلق المال من حكمة الله وتخصيص المال من كرامة الله

–قال الفقراء: إن فرعون كان من الأغنياء المسرفين ، فهو عند الله من الكافرين وكم من كافر منعم عليه وكم من مؤمن مقتر عليه

-قال الاغنياء: هذا القياس ينتقض ولا يصح إلا بقياس فإن سليمان كان من المرسلين وقد ملك الدنيا سنين وهذا داود كان له ثلاثة وثلاثون ألف حارس وكراسي من ذهب وفضة وهذا عثمان وعبد الرحمن وغيرهما،

- قال الفقراء: القياس صحيح فإن المال كان لهم ولم يكونوا هم للأموال فشتان بين من يكون للمال وبين من يملك المال

-قال الاغنياء: أهل الجنة أغنياء فرحون وإنهم على أطيب عيش وأعدل حال وأهل النار فقراء مغمومون فنحن أفضل،

- قال الفقراء: امسكوا فإن آلة المعصية ما أطغى وما أبغى ولم يتبع الهوى إلا كل ذي مال وأما الفقراء فحسبهم الخمول والسكون يطيعون ربهم شاؤوا أم أبوا؟

- قال الاغنياء: غلطتم فإن التقوى مركوزة في طباع المرء أفتقر أو استغنى

-قال الفقراء: أتسلمون لنا أن قلب المرء مع ماله، فالغني لا يحب الموت ويكره مفارقة الدنيا وأما الفقير فلم ير خيرا إلا من ربه فيقدم عليه كالغائب. غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه. والفقير قلبه إلى ربه ؛ فشتان بين من يميل إلى ربه وبين من يميل إلى الدنيا فلما أورد على الاغنياء هذه الحجة كادوا أن يتقطعوا

فقال الأغنياء : لا نسلم هذا هواجس وترهات دسائس بل الغني صفة الرب والله الغني ، ونحن أفضل فصاحوا وتهارشوا وقالوا أما غنى الرب فوصف ذاتي لا يتعدد ولا يتبدل هو واجب الوجود غني بذاته لا بالمال والحال وغناكم عرضي، يزول في حال فهذا قياس الملائكة بالحدادين فتحاكموا إلى قاضي العقل فنظر واعتبر وطول وهول

-قال قاضي العقل : قد تحيرت فيما بينكم إن قلت الفقر أفضل فينادين الشرع كاد الفقر أن يكون كفرا وإن قلت الغنى أفضل سمعت القرآن ﴿ أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ { الانفال : الآية ٢٨ }

-فبعثوا رسولا الى النبي صلّى الله عليه وسلم في مأثور الأخبار أن الفقراء شكوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم الأغنياء وقالوا فازوا بخيري الدنيا والآخرة يزكون ويتصدقون ويحجون ويغزون ولهم فضول أموال ينفقونها ولا نجد شيئا فحالنا أفضل أم حالهم فرحب النبي صلّى الله عليه وسلم برسول الفقراء وقال جئت من عند أكرم قوم على الله قل لهم إن من صبر على الفقر لأجل الله يكون له ثلاث خصال لا تكون لأحد من الاغنياء

إحداها أن في الجنة قصورا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ولا يسكنها إلا الأنبياء والفقراء والشهداء،

والثانية أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام،
والثالثة إذا قال الفقير مرة واحدة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ويقول الغني مثل ذلك فلا يبلغ درجة الفقراء أبدا فقالت الفقراء رضينا
فهذه مناظرة الفقراء مع الاغنياء ولا شك ولا خفاء أن الفقراء أفضل من الأغنياء قطعا.

٧- مناظرة العافية مع النعمة:

-قالت العافية : أنا أفضل فليس لي نظير في الدنيا كل أحد يحتاج إلي وأنا لا أحتاج إلى أحد، وأنا التي قالوا في حقي لو سألت من الله شيئا ما سألت سوى العافية وأنا التي قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة،
- قالت النعمة: كل من أصبح في عالم الله يطلبني ويذكرني الناس في المحاريب والمنابر يقولون نسألك الغنى عن الناس
- قالت العافية: كل العالمين يسألون من الله العافية،
- فقالت النعمة: ولكنهم يسألون الغنى عن الناس
- قالت العافية: إذا حضرت في موضع جاء الملك أو الرياسة
أجابت النعمة: إذا حضرت فقد جاء الفرح والسيادة
-قالت العافية: لا تتهيأ أمور الخلق إلا معي
-فقالت النعمة: أنا أكون معك

-قالت النعمة: والله الغني وأنتم الفقراء ولا يقال والله صاحب العافية فبهتت العافية

-قالت العافية : غنى الله صفة ذاته وهي قديمة وأنت محدثة فالمشاركة في الاسماء لا يوجب المشاركة في المعاني

-قالت العافية: إن كان يقنعك التعلق بالأسماء فأنا الذي لا عيب لي ولا قدح في والله بريء من العيوب،

-فقالت النعمة: إن صحبت واحدا ألف سنة فما لم أحضر لا يطيب عيشكما إن الجنة تطيب بحضوري وشهودي

-فقالت العافية: إن الحياة لا تطيب إلا معي وبي

-فأطنبا الكلام وأطالا المقام فتحاكما إلى قاضي العقل الذي لا يحيف فقضى بينهما وقال: أنتما أخوان ورضيعا لبان وفرسا رهان لا يستغني أحدكما عن الآخر فيا صاحب العافية لك البشرى ، ويا صاحب النعمة لا تقل بشرى ولكن بشريان.

٨- مناظرة السخاء والبخل

وتناظر السخاء والبخل يوما

-فقال البخل: أنا أفضل فإني سبب الغنى وأنت سبب الفقر فصاحبي يمسكني فيصبح غنيا وصاحبك ينفقك فيصبح فقيرا فأنا قوة القلب وأنا حارس العرض وأنا قائد الغنى وبشير العلا وسائق الجيش وأنا أورث المال والفرج وأحفظ البيوت والدنيا وأغنى عن القرض وأذب

عن العرض وأغنى عن الناس والغنى عن الناس هو الغنيمة العظمى والدولة الكبرى وأنا وأنا .....؛

-واحتج عليه السخاء فقال : يا فل ابن فل يا ملوما بكل لسان يا مذموما عند كل إنسان أتتكلم في هذا الزمان ؟ أما تستحي وأنا ممدوح بكل لسان محمود عند كل إنسان أنا سبب المحبة أنا سبب الذكر الجميل أنا ساتر العيوب أنا الذي اذا عثرت

أخذ بيدي ربي أنا الذي يشار إليّ بالأصابع ! أنا الذي يحبني كل واحد من الناس أنا أنفع في الدنيا والآخرة أنا الذي وجودي للمنفعة وأنت الذي وجودك للمضرة والله جواد كريم وإبليس شحيح بخيل وكل سخي في الجنة وكل بخيل في النار وأنا شجرة في الجنة وأنت شجرة في النار وأنا قريب من الله وأنت بعيد من الله قريب إلى النار وأنا يحبني كل أحد وأنت يبغضك كل أحد وأنا أكون مع المؤمنين وأنت تصبح مع الكافرين ولي منشور توقيعه [هذا دين أرتضيه لنفسي ولن يصلحه الا السخاء] ولك منشور توقيعه [سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة] وأنا مع الأنبياء وكل نبي وولي سخي وأنت مع اليهود. فلما حاجّة بهذه الدلائل فكأنه ألقمه الحجر فهرب البخل إلى ديار الكفر خجلا وجلا نادما منقطعا فأمر الشرع حتى ينادي ألا فاسمعوا وعوا خلق الله الإيمان وحفه بالسخاء وخلق

الكفر وحفه بالبخل والبخل دهليز ، وكل سخي فيه شعب وخصال من الايمان وكل بخيل فيه خصلة من الكفر

٩- مناظرة الدولة مع العقل

اعلم أن الدولة سماوية والعقل رباني ولا حظ للعقل دون الدولة، والدولة قد تصحب من لا عقل له فإذا أقبلت الدولة أعطته محاسن غيره وإذا أدبرت الدولة سلبته محاسن نفسه فمن أقبلت عليه الدولة يصير خطأه صوابا وكذبه يعد صدقا ويجتني من الشجرة اليابسة ثمرا وتبيض الدجاجة على رأس الوتد فإذا أدبرت فقد جاءت المحن والفاقة بحيث لا طاقة له. في الأثر: لما نزل الايمان من السماء استقبلته جميع الطاعات فيقول كل انزل في بيتي فقال أنا أعرف بيتي فنزل في دار السخاء، وكل سخي صاحب إيمان أو فيه خصلة منه ولما نزل الكفر استقبلته جميع المعاصي فقال كل انزل بنا، فقال أنا أعرف بمكاني منكم ثم نزل في بيت البخلاء فلهذا قيل البخل أخو الكفر، وتناظر العقل والدولة

- فقال العقل : معي الخطاب

-وقالت الدولة : العيش معي وفي ناصيتي الجد والبخت،

-فقال العقل : بني الإسلام على أساسي

-فقالت الدولة : بقاء الدين والدنيا في ناصيتي

-فقال العقل : وقع على منشوري بك أخاطب وبك آمر، فقالت الدولة: وأعطاني تشريفا بقوله وتلك الأيام نداولها بين الناس

-فقال العقل : أنا حجة الله

-فقالت الدولة: أنا عطاء الله

- فقال العقل: أنا أصحب الأنبياء

-فقالت الدولة: ولا أخلو عن صحبتهم قال العقل: فمن عدمني فمثل البهيمة،

-فقالت الدولة: من عدمني فهو حي كميت

- فقال العقل: لقد ذكرني الله في القرآن بقوله:﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ﴾ { الأنعام : الآية ١٤٩} ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ { الشرح : الآية ١ } ﴿ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ { ق : الآية ٣٧ } أي :عقل

-فقالت الدولة: اسمي في القرآن ﴿ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ مِنْكُمْ ﴾ { الحشر : الآية ٧ } وقوله تعالى: ﴿ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ ﴾ { آل عمران : الآية ١٤٠ } ﴿ نَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ نَشاءُ﴾ { الأنعام : الآية ٨٣ }

-فقال العقل: الدولة اتفاقات حسنة

-فقالت الدولة: هذا من كلام الفلاسفة أنا عطية الله وهدية الله

-قالت الدولة للعقل: أنت صاحب الحرمان لأن عقل الرجل محسوب من جملة رزقه وأنا صاحب النعمة والكرامة، يا عقل أنت صاحب الهموم والأحزان فإنه ما رؤى عاقل مسرورا،

-فقال العقل : يا دولة عرفت شيئا وغابت عنك أشياء لا تعيرني بإمارة خمسة أيام فالدنيا لعب ولهو والولاية وراءها العدل

-فقالت الدولة: أنا أجعل الخسيس شريفا والفقير غنيا وإذا حضرت وكشفت البرقع فملوك العالم يتبعوني ويعطلون التخوت والسرر،

- فقال العقل : أنت تجالسين الكفار فإن القرين بالقرين يقتدي،

- فقالت الدولة: أتشركني في العقل وتفردني باللائمة

-فقال عقل الملوك: صحبت أياما مع فرعون فأخرت عنه الصداع والعذاب أربعمائة سنة وصحبت أيام حاتم الطائي فبنيت له بيتا في النار باطنه الرحمة وأنا القوال الفعال وأنا لا أخطىء وما ضاع عرف بين الله والناس فطال بينهما القيل والقال فتحاكما إلى سليمان النبي عليه الصلاة والسلام،

فقال سليمان : وحق الله لأفصلن بينكما بحكم الله لا يحسن أحدكما إلا مع الآخر رب هب لي ملكا، فإن العقل لا يطيب إلا مع الدولة فمثالكما مثال الروح والنفس لا يحسن أحدهما إلا مع الآخر يا عقل إذا لم تكن مع الرجل فآخرته خراب ويا دولة إن لم تكوني مع الرجل

فدنياه مكدرة –ومن كل شيء خلقنا زوجين –إن ازدواجكما لحسن وإن اجتماعكما لغاية النظام والتمام والفرد هو الله فلم ينطاعا له وتطاولا وتناغصا فحلفت الدولة أنها لا تسكن الأرض ولا تحصل بكسب الآدمي فذهبت الى السماء فالدولة سماوية والعقل نور رباني فهذه مناظرتهما ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

الباب الثالث عشر
المنطق النبوي

أ- معنى المنطق النبوي:

هو أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغ دعوة الله تعالى لعباده من أجل توحيده وإقامة أحكامه وتطبيق شرعه ، فقد روى أبو موسى الأشعري "رضي الله عنه" أن رسول الله " صلى الله عليه وسلم" قال: «أعطيت فواتح الكلم وخواتمه» (صححه الألباني).

ب- خصائص المنطق النبوي:

١- إيثار الوضوح والبيان، وهو الأمر الذي تجده ظاهرًا مستعلنًا في حديث أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- أنها قالت: «ما كان رسول الله " صلى الله عليه وسلم" يسرد سردكم، أو كسردكم، ولكنه يتكلم بكلام بين».

٢- الكلام عند الحاجة، ومما ورد في وصف منطقه " صلى الله عليه وسلم" ما رواه هند بن أبي هالة أنه قال: كان رسول الله " صلى الله عليه وسلم" لا يتكلم في غير حاجة، أي من غير ضرورة دينية أو دنيوية، وهو أمر مفهوم في إطار قضية التحرز والتوخي من الكلام بلا فائدة حسية أو معنوية، والمفهوم هو التطبيق العملي

لقول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ { المؤمنون : الآية ٣ }.

٣- إحاطة الكلام افتتاحًا واختتامًا بذكر الله تعالى، وقد نص العلماء في معرض بيان خصائصه " صلى الله عليه وسلم" في الكلام أنه كان يفتتح الكلام ويختمه أو يختتمه بذكر الله تعالى، والمعنى أن كلامه " صلى الله عليه وسلم" كان محفوفًا بذكر الله، ومستعانًا بالله، ويستفاد من هذه السمة تعليم الأمة استيعاب الزمان بذكر الوقتين ابتداءً وانتهاءً لتحقيق البركة حالًا وقالًا.

٤- التكلم بجوامع الكلم، وهذه سمة من متواتر ما استقر عند أهل العلم وصفًا لمنطقه " صلى الله عليه وسلم" ، وهي تعني انطلاقه فيه واحتكامه إلى القرآن في كلامه، وهو من هذه الناحية أعلى نموذج ذاب القرآن الكريم في جنانه وتجلى على لسانه. ولأمر ما قالوا قديمًا: المرء مخبوء تحت لسانه، فإذا تكلم ظهر، وفي هذا السياق يمكن أن يقف المرء طويلًا أمام النصوص العوالي التالية:

«المحتكر ملعون» (المستدرك للحاكم).

«الندم توبة» (مسند أحمد).

«الصوم جنة» (سنن النسائي).

«المستشار مؤتمن» (صحيح مسلم).

«الصبر رضا» (تاريخ ابن عساكر).

ففي هذه النصوص دليل واضح على هذه السمة، ودليل واضح على ما يندرج تحتها من علم وافر، لا فضول فيه ولا تقصير، بحيث لا يمكن استشعار نقصان أو زيادة فيه. وجوامع الكلم الموصوف بها حديثه " صلى الله عليه وسلم" نصوص مكتنزة بالحكمة، ترمي نحو الفصل بين الحق و الباطل، ومن ثم كان كلامه " صلى الله عليه وسلم" فصلًا، متناسقًا.

ه- استثمار اللسان وغير اللسان في منطقه " صلى الله عليه وسلم" ، ومما اتسم به حديثه " صلى الله عليه وسلم" أنه كان حريصًا على استثمار اللغة، أي الألفاظ بجوار أعضاء جسمه الشريف في عملية التواصل مع الآخرين، في بر بالغ ظاهر من وصفه بأنه لم يكن جافيًا ولا غليظًا قولًا وفعلًا، وفي هذا السياق يرصد شراح المرويات حول صفة كلامه ما يلي:

أ- أنه إذا أشار إلى أحد أشار إليه بيده، أو بكفه كلها، فرارًا من احتمال مظنة التكبر والتجبر.

ب- وأنه إذا تعجب قلب كفه من الهيئة التي كانت عليها حال التعجب.

ج- وأنه يصل إشارته بكلامه في المسألة التي يستعمل الإشارة فيها.

د- وأنه إذا غضب أعرض وأشاح إما عدولًا عما يقتضيه الغضب، أو أظهره التماسًا لفهم الآخرين.

هـ- وأنه إذا فرح غض طرفه، تواضعًا، وظهرت الوضاءة على وجهه.

الباب الرابع عشر
القسم النبوي الشريف

أ- القسم :

أسلوب يأتي به لتوكيد المعنى وإثباته و إقرار جديته ..استعمله الكثير من العرب قبل نزول القرآن الكريم، ثم استعمله القرآن الكريم ، وكذلك استعمله النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه لتعظيم اسم الله تعالى لأنه قسم باسمه أو صفة من صفاته ، والقسم أصلا هو القطع والقول الفصل وهو اليمين ، وفي الحديث (يمينك على ما يصدقك به صاحبك) وبذلك يكون القسم ربطا للنفس بالامتناع عن الشيء أو الإقدام عليه ،وقد استخدمه النبي صلى الله عليه وسلم للتأكيد والإقناع واقامة الحجة والدليل على المقسم عليه في كل زمان ومكان ، من هنا قال صلى الله عليه وسلم: في الحديث الذي رواه ابو داوود في سننه باب كراهة الحلف بالآباء _٣٢٤٨_((لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا إلا بالله وأنتم صادقون)) وكذلك نهى عن الحلف بالأمانة في الحديث

الذي رواه ابو داوود في سننه كتاب الإمام باب كراهية الحلف بالأمانة رقم _٣٢٥٣_((من حلف بالأمانة فليس منا)) وكذلك قول صلى الله عليه وسلم عندما سمع عمر بن الخطاب يحلف بأبيه في الحديث الذي رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور وباب لا تحلفوا بآبائكم رقم_٦٢٧٠ /٦٢٧١/ ((إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو يصمت وكذلك من أقسم باللات والعزة نهاه عن ذلك ودعاه إلى ترك هذا القسم والتوبة عنه بقوله(لا اله الا الله) كفارة لقسمه وكان صلى الله عليه وسلم قدوة في قسمه . كان لا يقسم بالله تعالى أو صفة من صفاته وإن تقل عنه أنه أقسم مرة قائلا لأعرابي : ((أفلح وأبيه إن صدق)) أو ((دخل الجنة وأبيه إن صدق)) وقد تعددت صيغ القسم عنده صلى الله علبه وسلم ،واخلفت صفات الله تعالى التي أقسم بها ولم يصرح النبي صلى الله عليه وسلم بفعل القسم إلا في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة رقم_٢٥٨٨_((ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه : ما نقص مال من صدقة وما ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزا ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر)) فذكر صلى الله عليه وسلم فعل القسم وحذف المقسم به ((الله تعالى)) مع إن صيغة القسم الأصلية ((أقسم أو أحلف)) متعديا بالباء إلى المقسم به ثم يأتي المقسم

عليه وهو ما نسميه جواب القسم قال تعالى في سورة { النحل : الآية ٣٨ } ﴿ وَأَقسَموا بِاللَّهِ جَهدَ أَيمانِهِم لا يَبعَثُ اللَّهُ مَن يَموتُ ﴾ ثم صار يحذف فعل القسم ويكتفي بالباء أو الواو أو التاء . واستعمل صلى الله عليه وسلم في أقسامه صيغا متعددة :

١- (والذي نفس محمد بيده) وفيها إقراره بالربوبية لله تعالى وأن الأنفس بيده وهو خالقها وهو الذي يحييها ويميتها وهذا التأكيد تطهير لأنفس السامعين من الشرك

٢- (والذي نفسي بيده) وفي هذه الصيغة إشارة إلى أن النبي وإن كان يتيما فإنه لا يملك من أمره شيئا حتى نفسه وفي ذلك تسليم مطلق لإرادة الله تعالى واعتراف بعبوديته وبشريعته

٣- (والله) وقد أقسم بها صلى الله عليه وسلم في مواقع عدة لبيان ضآلة الدنيا وسعة الآخرة وعلى حقوق الجار وعظم شهادة الزور « والله لا يؤمن كررها ثلاثا قلنا من يا رسول الله؟ قال : من لا يأمن جاره بوائقه » (رواه أبو داوود في سننه كتاب الفتن والترمذي في سننه كتاب الفتن رقم /٢٢٠٥/)

٤- (لا ومقلب القلوب) على تقدير لا أفعل كذا وحتى (مقلب القلوب) : استعملها النبي صلى الله عليه وسلم لما كان يراه من

إسلام من كان يكن العداوة للمسلمين فتتحول قلوبهم بين ليلة وضحاها إلى دعاة ومجاهدين

٥- (ورب الكعبة) تعظيما لمكانة هذا البيت في نفوس العرب (مؤمنين ومشركين)

٦- (وأيم الله) حين سمع صلى الله عليه وسلم من يطعن بإمارة أسامة بن زيد حب رسول الله

٧- (والذي لا اله غيره) وذلك لنفي الشرك

٨- (والله الذي لا اله الا هو) وذلك لإعلان وحدانية الله تعالى الذي لا يقسم إلا به

٩- (والذي نفس أبي القاسم بيده) .

والقسم في حديثه صلى الله عليه وسلم نوعان قسم ظاهر وهو قسم ذكر به المقسم به وقسم مضمر وهو كل قسم لم يصرح بالمقسم فيه بل جاء محذوفا « إن دماؤكم وأموالكم حرام عليكم حرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا .....» وتقدير الكلام (والله إن دماءكم .....) وما أقسم عليه النبي صلى الله عليه وسلم يمكن أن يصنف الى

ما يتعلق بأمور الاعتقاد

ما يتعلق بأمور العبادة

القسم على ما سيحدث من فتن وملاحم في المستقبل

القسم على أحوال يوم القيامة

ب- معاني القسم في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم:

من المعاني التي أعطاها القسم غير التوكيد في أحاديثه صلى الله عليه وسلم

١- التحذير والترهيب: (وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) صحيح البخاري الحدود باب إقامة الحدود

٢-التحريم والإباحة : كما فعل صلى الله عليه وسلم حين حرم الذهب على الرجال فرمى بخاتمه ورمى الناس بخواتيمهم بعد أن قال (والله لا ألبسه أبدا) رواه مسلم في صحيحه رقم /٢٠١٩/

٣- الحض والترغيب: (والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل) رواه مسلم في صحيحه /١٩٤/

٤- التوسع والإباحة: (والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم) رواه مسلم رقم /٢٧٥٠/

٥- الإشارة على فضل المخاطبة: (والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك) والمخاطب عمر بن الخطاب البخاري رقم /٣١٢٥/

ج- وللقسم في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بلاغ يتمثل في :

١- توكيد الأمر وإثباته

٢- الدلالة على جدية القول

٣- الإيجاز

٤- التنبيه ولفت النظر

٥- تنويع أساليب الخطاب

٦- تقديم الدليل على ذكر الدعوة

٧- إثارة الشك في الفكرة المخالفة

٨- إضعاف الفكرة المخالفة

٩- بيان أهمية المقسم عليه

١٠- بيان مكانة المقسم به

الباب الخامس عشر
دراسة أدبية
لحديث نبوي شريف

جاء في الصحيحين عن النعمان بن بشير – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ﴿ مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوَادِّهِم وَتَرَاحُمِهِم وَتَعَاطُفِهِم ؛ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى ﴾[ ]

. إذا وقفنا أمام قضية التمثيل في الحديث الشريف ، نتلمس مواطن الجمال في الصورة الرائعة ، وجدنا أنها ترسم لمجتمع الإيمان صورة حية بديعة وأخاذة ، تَشُدُّ أبصارنا وتوقظ ضمائرنا ، يبدو فيها هذا المجتمع ، وقد تآلفت عناصره ، وامتزجت جماعاته في أنحاء المعمورة لتشكل جسداً واحداً ، تسري فيه الروح ، وتنبض في قلبه كل معاني الحب والعطف والرحمة ، وتنطوي في نفسه كل المشاعر النبيلة ، فهو عند السراء يفرح ويترنم ، وعند الضراء يتأوه ويتألم . إنه لجسد تتجاذب عواطفه ومشاعره ، حتى إذا سمعت أذنه ما

تطرب له من حلال ، بعثت به – حباً وكرامة – إلى سائر أنحاء الجسد ، فانبسطت أسارير وجهه ، وبدا البشر على محياه ، وأرسلت العين دمعة الفرحة على وجنته ، حتى يتملك السرور كل ذرة في هذا الجسد فيهتز طرباً ، وينتشي سروراً . أما إذا سمعت الأذن نبأ كارثة حلت ببعض المسلمين ، أو أبصرت العين منظر فاجعة نزلت بالمستضعفين ، فإن الخيال يسرع إلى رسم هذه اللوحة القاتمة الحزينة فتتمثلها النفس ولا تفارقها ، فتدفق أمواج الألم والحزن في النفس . ثم إنه لما كان تمثيل المؤمنين بالجسد يمثل أروع تصوير ، وأصدق تمثيل ، فإنه يقودنا إلى أن نبحث عن خصائص هذا الجسد ومقوماته حتى إذا علمنا أنه ليس جسداً خاملاً ولا بالياً ، لأنه يحس ويتألم ، أدركنا أن للحديث إيحاءات تدفعنا إلى أن نمثل إيمان الأمة بالروح في هذا الجسد ، ونمثل معاني أُخُوَّتِها النابعة من توادِّها وتراحمها وتعاطفها بنبضات القلب في هذا الجسد ، كما نمثل قيادتها الحكيمة الرشيدة التي تقودها إلى كل خير ، وتبعدها عن كل شر ، بالعقل في هذا الجسد الذي ينظم شؤونه ، ويسعى في مصالحه . وعليه فإن الجسد حين تفارقه روحه يتحول إلى جثة هامدة ، وتتوقف دقات قلبه تبعاً لذلك ، وتفارقه الحياة . وهذه حال الأمة المؤمنة إذا ضعف إيمانها أو غاب ، فإن معاني أُخُوَّتها تتأثر بما يحدث لإيمانها ، فتقوى بقوته ،

وتضعف بضعفه ، وتموت لفقده ، وإذا اعتلَّت فيها معاني أُخوَّتِها ، أو غربت دلَّ ذلك على نقص إيمانها أو غيابه ، فحيثما وجد الإيمان كانت الأخوة ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ { الحجرات : الآية ١٠ }. قال- صلى الله عليه وسلم - : ((لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنون حتى تحابوا)) ، وقال عليه الصلاة والسلام : ((الحياء والإيمان قُرنا جميعاً ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر)). وقال - صلى الله عليه وسلم - : ((لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له)) . وقال ابن القيم - رحمه الله - : (وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة ، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة ، وكلما قوي قويت ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله ، فلأتباعه من المواساة بحسب اتباعهم له) . فهذا الترابط بين الإيمان والأخوة في مجتمع الإيمان الذي جعل منهما قرينين لا يفترقان ، هو مثل الترابط الذي وضحنا صورته بين الروح ونبضات القلب في جسد الإنسان سواء بسواء . ومن هنا كانت براعة التصوير في تمثيل المؤمنين بالجسد ، في روحه ، ونبضات قلبه ، وعقله . فصلى الله وسلم على هذا الرسول العظيم ، الذي أوتي جوامع الكلم ، فكان بيانه أنصع بيان ، وتمثيله أروع تصوير وأصدقه . فحيث تعتبر الخلية أساساً في تركيب الجسد ،

يعتبر المؤمن أساساً في بناء مجتمع الإيمان . وهذا مثل المؤمن إذ تتكون شخصيته من التآلف البديع ، والانسجام العجيب بين روحه ونفسه وعقله وعواطفه ، بما يتناسب وفطرته السليمة التي فطره الحكيم الخبير عليها ، بحيث لا يطغى جانب على جانب ، حتى يكون عنصراً صالحاً للحياة الكريمة في مجتمعه

منقول باختصار

الفهرس